صبري ابو المجد

المسيرة الطويلة مع السادات على طريق النضال

Bibliotheca Alexandrina
0125630

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب
تصدر عن مؤسسة
دار الشعب
للصحافة والطباعة والنشر
رئيس مجلس الادارة
جمال الدين زكى
المدير العام
مصطفى فواز
رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

ستظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام
النابض.. تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية ..
فى عالم الفكر والثقافة والنشر !!

الادارة: ٩٢ شارع قصر العينى - بالقاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠/ ٣٥٥١٨١٨/ ٣٥٤٣٨٠٠/ ٣٥٥٧٧٣٠/ ٣٥٤٤٤٤١
تلكس دولى: ٢٠٥٧٤ - ص. ب ١٤ - رقم بريدى ١١٥١٦

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

مع السادات على طريق النضال

صبري أبو المجد

المسيرة
الطويلة

مع السادات

على طريق النضال

صبرى أبو المجد

الإهـــداء

الى شعبنا العظيم فى مصر وفى كل أرجاء الوطن العربى .. الى كل مؤمن بالحق ، والعدل ، والحب والسلام .. اليهم جميعا ـ ومن أعماق القلب ـ أهدى هذه الكلمات ، كلمات صـــدق ، ووفاء وتاريخ لمصر وللســـادات .

صبرى أبو المجد

جيل ثورة ١٩١٩

فى حياة كل شعب من الشعوب ، تظل دائما بعض الأيام والأحداث محفورة فى الوجدان والأحاسيس : يتذكرها باستمرار ويحاول أن يجعل منها منطلقات للأمل ، وللعمل ، وللثورة ، وللتقدم وفى مقدمة تلك الأيام التى لا يمكن أن ينساها أبناء شعبنا فى مصر يوم **١٤ سبتمبر ١٨٨٢** : ذلك اليوم الذى وطئت فيه قوات الاحتلال البريطانى أرض القاهرة بعد أن تحالفت تلك القوات ، مع السراى ، والاقطاع ، وكل عوامل التخلف لضرب أول ثورة شعبية هزت بنيان الظلم والطغيان فى الشرق الأوسط : كانت ثورة ١٨٨٢ فى مصر ثورة شعبية بكل ما تحملها كلمة «الثورة الشعبية» من معان : لم يتخلف أحد من أبناء مصر وقتئذ عن المساهمة ــ قدر جهوده وطاقته ــ فى تلك الثورة التى تغلبت فى الشهور الأولى لانطلاقتها على أكبر دولة استعمارية فى ذلك الوقت : بريطانيا العظمى ، كما كانوا يطلقون عليها وقتئذ ، وقد كان من المؤكد أن كل تلك الانتصارات ستقود شعبنا الى النصر النهائى ، لو لم تلجأ بريطانيا الى استخدام سلاح الرشوة على أوسع نطاق ، ولو لم تلجأ بريطانيا والسراى وبعض الجهات المؤهلة دوما ،وفى كل العصور للخيانة ، الى التأثير على حفنة من ضباط الجيش المصرى كانوا يحتلون مراكز هامة فى ميادين القتال : وفى مقدمة هؤلاء الضباط الذين باعوا الثورة ، والوطن بأبخس الأثمان على خنفس الذى ما نزال و سنظل نعتبره رائد الخيانة فى تاريخنا الحديث ! !

وبالطبع يقودنا يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ الى أيام أخرى هامة وخطيرة لعبت ــ رغم سوادها ــ دورا هاما فى بعث الحركة الوطنية المصرية من جديد ، بعد أن توهم الاحتلال البريطاني وأذنابه انها دفنت فى يوم الرابع عشر من سبتمبر ١٨٨٢ : **من بين تلك الأيام التاريخية ذات الأهمية الخاصة يوم ١٣ يونيو ١٩٠٧ ــ يوم دنشواى ــ** حيث قتل ضابط اسمه بول ، وجرح آخرون من ضباط الجيش البريطاني . الماجور « بين كوفين » والكابتن « بوستك » والملازمان « سمتويك » و « بورثر » بأيدى أبناء دنشواى . وأمام المحكمة المخصوصة التى تألفت لمحاكمة أكثر من خمسين شخصا من أبناء دنشواى وقف المحامى ابراهيم الهلباوى كمدع عام يقول : انه لا يوجد مصرى لا يشاركه أسفه لوقوع هذا الحادث ولذلك فهو ــ أى ابراهيم الهلباوى ــ يطلب الحكم على المتهمين بأشد العقوبة وانه ــ هكذا قال بالحرف الواحد ــ اذ يتقدم الى هيئة المحكمة ويطلب رفع كل رحمة من نفوس هيئة المحكمة ، لمعاقبة هؤلاء المتهمين وخاصة رؤساء العصابة لا يكون مغاليا وخلص ابراهيم الهلباوى من مرافعته الى أن حرق الجرن والادعاء بالاصابة هما دعويان كاذبتان لأن المتهمين كانوا لا يريدون فقط الانتقام لصيد الحمام ، أو لحرق الجرن ، أو لاصابة الجرحى من أبناء قرية دنشواى بل الغرض الحقيقى هو رغبتهم فى اعدام الضباط الانجليز .

وقد رد شاعر النيل حافظ ابراهيم على مرافعة ابراهيم الهلباوى بقوله :

أيها المدعى العمومى مهلا	**بعض هذا فقد بلغت المرادا**
قد ضمنا لك القضاء بمصر	**وضمنا لنجلك الاسعادا**
فاذا ما جلست للحكم فاذكر	**عهد مصر فقد شفيت الفؤادا**
لاجرى النيل فى نواحيك يا مصـ	**ـر ولا جادك الحيا حيث جادا**
أنت أنبت ذلك النبت يا مصـ	**ـر فأضحى عليك شوكا قتادا**
أنت أنبت ناعقا قام بالأمـ	**ـس فأدمى القلوب والأكبادا**
ايه يا مدره القضاء ويا من	**ساد فى غفلة الزمان وشادا**
أنت جلادنا فلا تنس انا	**قد لبسنا على يديك الحدادا**

وكان يوم ٢٨ يونيو ١٩٠٧ ــ يوم تنفيذ الحكم فى أبناء دنشواى ــ يوما من أكثر أيام مصر حزنا وشقاء : جيء بالمتهم الأول حسن على محفوظ ــ وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ــ الى المشنقة التى أقيمت فى قرية دنشواى أمام أبناء دنشواى وتقدم عشماوى وشد وثاقه من خلف ، فقال حسن على محفوظ : ((أشهد ألا اله الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله ..)) ثم صعد الى المشنقة ــ كما يقول أحمد حلمى كاتب اللواء الأول الذى حضر

أبناء شهداء دنشواى عند تنفيذ الحكم على آبائهم

تنفيذ الحكم ـ بقدمين ثابتتين ووجهه متجه الى القرية ليراها قبل موته وكان بين مكان تنفيذ الحكم ، ومنزله نحو ٦٠ مترا على الأكثر ، وكانت نساؤه وأولاده ، وأحفاده فوق سطح المنزل يراهم ، ويرونه ، فلما نظروه ضجوا ضجيجا عاليا وصاحوا وأعولوا فنادى بأعلى صوته قائلا : يا محمد يا شاذلى يا أحمد يا زايد يا محمد يا عمر الله يخرب بيوتكم)) ـ وكان صوته يسمعه بقية المحكوم عليهم بالاعدام ثم وضع عشماوى الحبل فى عنقه وحرك لولب المشنقة فهوى الرجل وهو ينظر الى بيته .

وجىء بحسن اسماعيل السيسى وهو من المحكوم عليهم بالجلد والسجن سنة واحدة حيث جرد من ملابسه ، ثم صلب على آلة خاصة فى وضع يراه رجال القرية ونساؤها ثم جلد بسوط له خمس شعب ، وكانت الدماء تسيل منه ولم يكمل جملة السياط ، عدد خمسين جلدة ، حتى كان السيسى بين الموت والحياة ، وجىء بآخرين لينفذ فيهم حكم الاعدام وكان آخر من نفذ فيهم الحكم بالاعدام محمد درويش زهران : قرأ المدير عليه الحكم وشد

وثاقه عشماوى وقال زهران : أشهد ألا اله الا الله ، محمد رسول الله اللهم عوضنا خيرا ، اللهم أمتنا على دين الاسلام ، يارب عوضنا خيرا ، واستمر على هذه الأقوال حتى صعد الى أعلى المشنقة فصوب المصورون عدسات آلاتهم الفوتوغرافية نحوه وتسابقوا الى أخذ صورته ، وهنا ردد زهران الشهادة أكثر من مرة وقال : ((اللهم اقبلها على خير)) : أشهد ألا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، وقد وضع عشماوى الحبل فى عنقه وتباطأ قليلا فصاح فيه محمد درويش زهران : اخلص : انهى .. ثم هوى !!

وقد اتخذ مصطفى كامل من حادثة دنشواى ومن تنفيذ الحكم فى المتهمين بهذه الوحشية سلاحا هاجم به الاحتلال البريطانى فى كل أنحاء العالم حتى داخل بريطانيا ذاتها ، ونجح مصطفى كامل فى اثارة الرأى العام العالمى ، ضد الاستعمار البريطانى ، وكانت نهاية عميد ذلك الاستعمار فى مصر : لورد كرومر ، وتم الافراج عمن بقى حيا من الذين سجنوا فى قضية دنشواى وعندما خرج هؤلاء من سجنهم واتجهوا الى مكتب مصطفى كامل لشكره على جهوده الطيبة المثمرة ، لم يجدوه الا ملقى على سرير المرض : لقد مات مصطفى كامل وسار هؤلاء فى مقدمة جنازته ضمن شعب مصر ، الذى اشترك كله فى تشييع تلك الجنازة فى يوم ١١ فبراير ١٩٠٨ : وصف قاسم أمين ذلك اليوم الحزين بقوله : ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل : هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق : المرة الأولى يوم تنفيذ حكم دنشواى اما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب اللواء فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا فى قوة جماله ، وانفجر بفرقعة هائلة سمع دويها فى العاصمة ، ووصل صدى دويها جميع أنحاء البلاد ، هذا الاحساس الجديد : هذا المولود الحديث ، الذى خرج من أحشاء الأمة ، من دمها ، وأعصابها ، هو الأمل الذى يبتسم فى وجوهنا البائسة ، هو الشعاع الذى يرسل حرارته الى قلوبنا الجامدة الباردة هو المستقبل : لقد كان موت مصطفى كامل فى زهرة شبابه بعد أن وقف حياته القصيرة المليئة بالأعمال الجسام على خدمة الوطن المحبوب وضحى شبابه ، وصحته فى خدمة بلادنا العزيزة : ان الدموع التى سكبت من يوم وفاته الى اليوم والتى روت جسده الطاهر يوم دفنه ، لكافية لارواء هذا النبت وتغذيته فكانت أقوى سماد طبيعى ..)) .

ويخلف مصطفى كامل فى قيادة الحركة الوطنية زميله وصديقه ، وصفيه ، محمد فريد وتخوض الحركة الوطنية بقيادة محمد فريد أعنف المعارك ضد الاحتلال البريطانى ، ضد السراى ، المتحالفة معه بل ضد كل العناصر التى تعمل فى خدمة الاستعمار البريطانى : تطالب الحركة الوطنية

ـ بقيادة محمد فريد ـ بالدستور : تنشيء مدارس الشعب الليلية للعمال والفلاحين . وتعتمد على الشباب الذى تطوع للقيام بالتـــدريس فى تلك المدارس ، تهتم بشئون العمال ، وتنادى بوضع التشريعات التى تحميهم من الجشع والاستغلال ، ثم تولى انشـــاء النقابات العمالية كل اهتمامها فكانت أول نقابة للعمال فى مصر ، نقابة عمال الصنائع اليدوية فى ١٩٠٩ وفى بولاق بالذات : كان لها ناديها ، وكان لها ، قيادتها ، العمالية ، وبعد انشاء نقابة عمال الصنائع اليدوية توالى انشاء عشرات من النقابات العمالية فى القاهرة والاسكندرية والمنصورة وطنطا وبور سعيد و .. و .. وتخـوض الحركة الوطنية المصرية ، أعنف المعارك دفاعا عن حـرية الصحافة وتنزل الجماهير ، الى الشارع لتتظاهر فى مارس ١٩٠٩ ضد اعادة قانون المطبوعات ويصطدم الشعب بقوات الاحتلال فى أكثر من موقعة حربية .. لقـــد بلغ الشعب ذروة الغضب من أجل الدفاع عن حرية الصحافة .

وتهتم الحركة الوطنية المصرية اهتماما بالغا بشبابنا فى الخارج ، الذى رأى أن يتلقى العلم فى أوروبا بعد أن ساءت أحوال التعليم فى مصر ، وأصبح الهدف منه تمجيد الاحتلال وخلق طائفة من « الموظفين » يسيرون فى ركاب الاستعمار الأجنبى !.. تنظم الحركة الوطنية المصرية المؤتمرات للشـــبيبة المصرية فى جنيف وباريس ولندن ، كما تقيم الحركة الوطنيـــة المؤتمرات الكثيرة والعديدة فى كل أنحاء البلاد ، وعندما رأى البعض مد امتياز قنـــاة السويس جندت الحركة الوطنية المصرية الجماهير ضد هذا المشروع حتى تمكنت من اسقاطه ، وكان لسقوطه دوى كبير فى كل أرجاء البـــلاد ، دعم الحركة الوطنية ومكنها من مواصلة انتصاراتها **وكان لمشروع مد امتياز قناة السويس ، ذيوله السياسية حيث صوب ابراهيم ناصف الوردانى رصاصات الى قلب بطرس غالى باشا رئيس الوزراء وكانت تلك الحادثة أولى حـوادث القتل السياسى ، التى وقعت فى مصر بعد مصرع كليبر ،** القـــائد الفرنسى وخليفة نابليون بونابرت فى قيادة الاحتلال الفرنسى ، لمصر فى نهـــاية القرن الثامن عشر على يد سليمان الحلبى ، ولأن أسباب الاغتيال كانت سياسية ووطنية فقد وقف الشعب فى مصر ، الى جانب ابراهيم الوردانى وامتلأت البلاد بالأهازيج والمواويل الشعبية التى تظهر العطف على القاتل ، ومن بينها ـ مثلا ـ :

قولوا لعين الشمس ما تحماشى

احسن غزال البر صابح ماشى

بل ان كثيرين من الشعراء قد راحوا يصوغون الكثير من القصائد الوطنية فى رثاء ابراهيم الوردانى ، والاشادة بوطنيته وجرأته وشجاعته ، وخاصة عندما وقف على حبل المشنقة يقول : أشهد الا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وان الحرية والاستقلال آيتان من آيات الله .. وكان أبناء الشعب يحفظون تلك القصائد والأزجال التى قيلت فى ابراهيم الوردانى ، وكذلك يحفظون ويرددون تلك المواويل التى أطلقها شعبنا تمجيدا للوردانى !!

وانتهزت قوات الاحتلال البريطانى كون القاتل مسلما ، والقتيل قبطيا ــ برغم أن كل التحقيقات قد أثبتت أن الجريمة سياسية ولا دخل للطائفية فيها ــ أقول انتهزت قوات الاحتلال الفرصة لتضرب الحركة الوطنية فى الصميم ولكى تعمل ــ جهد استطاعتها ــ على خلق فتنة طائفية فى البلاد، التى لم تعرف يوما ما الطائفية والتى ترفع باستمرار شعارها : الدين لله ، والوطن للجميع ، وقامت سلطات الاحتلال بحملاتها العنيفة ضد الصحافة وضد العناصر الوطنية وملأت السجون بالكثير من القادة وكبار الصحفيين وفى مقدمتهم محمد فريد وعبد العزيز جاويش ، وغيرهم ، وغيرهم ، أملا فى أن تقضى على الحركة الوطنية المصرية ، ولما كانت الحركة الوطنية الصادقة لا يقضى عليها الضغط والارهاب بل تزداد قوة ، ومنعة كلما تعرضت للشدائد ، **أقول قويت الحركة الوطنية المصرية ، ونمت ، وازدهرت وانتقلت من ميدان العمل المحلى ، الى ميدان العمل فى الخارج ، واتصلت القيادة المصرية بكثير من قيادات العالم ، وعقدت الكثير من المؤتمرات الدولية التى استهدفت الدفاع عن كل الشعوب المضطهدة بل انها شاركت فى كثير من المؤتمرات الاشتراكية ذات الصبغة الدولية . وبعد أن خرج محمد فريد من السجن بعد ستة أشهر قضاها فيه رافضا العفو الخديوى ولم يكن دخوله السجن الا لأنه قدم ، كتاب « وطنيتى » للاستاذ على الغاياتى وقال فى نهاية مقدمته لذلك الكتاب : على حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معلومة ومواسم معدودة . وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية العالية فى خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها فى خدمة الأغنياء ، وتملق الأمراء والتقرب من الوزراء فالحكام زائلون والأمة باقية ، والسلام ، على من سمع ووعى ، ووفق لخدمة بلاده وسعى ، فان سعيه سوف يرى ثم يجزى الجزاء الأوفى »** .. بعد أن خرج محمد فريد من السجن ووجد أن خطة الاستعمار البريطانى تستهدف اعادته من جديد الى السجن بحيث لا يخرج

من السجن الا ليدخله من جديد ، رأى أن ينقل ميدان كفاحه الى أوروبا فهاجر من مصر الى أوروبا وبذلك فقدت الحركة الوطنية قيادتها الرشيدة الحكيمة ، وأصيبت تلك الحركة بعد فترة قصيرة من غياب محمد فريد فى الخارج بالتمزق والتفكك ، الأمر الذى جعل قوات الاحتلال البريطانى لمصر ، تنجح بعد بدء قيام الحرب العالمية الأولى فى اعلان حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وفى عزل الخديو عباس حلمى الثانى لانضمامه ـ وكان خارج مصر ـ الى تركيا التى كانت تخوض الحرب ضد بريطانيا ، وتعيين حسين كامل أكبر الموجودين من سلالة محمد على بدلا منه ، على أن مصر كلها بأصالة شعبها ، وثوريته ، ووطنيته لم تقبل أبدا الحماية عليها : راح الشعب منذ اليوم الأول لاعلان الحماية يقاومها بكل ما يملك من قوة ، عشرات من الشباب الوطنى سيقوا الى السجون ، والمعتقلات متهمين بتوزيع المنشورات الثورية ضد الاحتلال البريطانى ، أو متهمين بمحاولات اغتيال السلطات حسين ، ووزرائه ، وبعض أعمدة الاحتلال البريطانى فى مصر ، وسجلات المحاكم العسكرية مليئة بكثير من تلك القضايا الخاصة بمقاومة الاحتلال البريطانى وكانت الأحكام فيها اما بالاعدام واما بالسجن ، أو النفى خارج الديار المصرية ، وسجن الاستئناف ومعتقلات درب الجماميز وطرة والجيزة وسيدى بشر ، وسجن الحضرة بالاسكندرية ، وغيرها وغيرها كانت مليئة أيضا عن آخرها بالقيادات الوطنية التى كانت تظهر كل يوم ، وكل ساعة عداوتها للاحتلال البريطانى !.

وإذا كانت تركيا قد دخلت الحرب ضد بريطانيا ، فقد وقف الشعب كله فى مصر ، مع تركيا ، ضد بريطانيا ولم يكن ذلك الموقف انطلاقا من قاعدة « عدو عدوى ، صديقى » وانما كان انطلاقا من تلك العلاقات الطيبة التى تربط مصر وتركيا منذ الاحتلال البريطانى فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ : كانت تركيا قبل ذلك الاحتلال تمثل بالنسبة لمصر ، عدوا محتلا فلما زال الاحتلال وأصبح الاحتلال بريطانيا ، راحت مصر ، تتطلع الى تركيا من أجل أن تساعدها فى اخراج الانجليز من أرضها ، كما راحت تركيا ـ بعد أن تعلمت العديد من الدروس ، تبدى ـ حسب مصالحها ـ مشاعر الود ، تجاه مصر .

وقد كان ارتباط مصر ، بالخلافة الاسلامية قويا للغاية وكانت هناك صلات قوية بين الحزب الوطنى فى مصر ، وبين بعض الأحزاب التركية التى نشأت وهدفها الأساسى القضاء على الاستبداد العثمانى : وكان معظم الطلاب المصريين الراغبين فى الدراسة العسكرية يتجهون الى تركيا حيث لم تكن المعاهد الأوروبية العسكرية ذات فائدة للطلاب المصريين ! ! وأذكر أن ابراهيم

الوردانى كان قد ذهب الى تركيا ـ قبل حادث اغتيال بطرس غالى باشا ببضعة أشهر ـ للتفاوض باسم الحزب الوطنى مع حكومة تركيا من أجل قبول دفعة كبيرة من الطلاب المصريين فى المعاهد العسكرية التركية ، وقد قويت العلاقات بين القيادات المصرية ، والتركية مع بداية القرن العشرين .

وبعد توقيع الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٤ الذى تم بمقتضاه الاتفاق بين الدولتين الكبيرتين « انجلترا وفرنسا » على اقتسام شمال افريقية ـ الذى كان خاضعا للحكم التركى ـ بحيث تكون تونس ، والجزائر ، والمغرب من نصيب فرنسا ، ومصر ، من نصيب بريطانيا ، وكانت مصر باستمرار ـ رغم ما قاسته من الاحتلال العثمانى ـ تقف الى جانب تركيا فى أية محنه تمر بها ، بل كانت مصر ، وهى الدولة الصغيرة الفقيرة التى يستغلها الاحتلال البريطانى الى آخر قطرة من دمها ، تقدم كل ما تملك من عون مادى ، وأدبى الى تركيا ـ دولة الخلافة ـ عندماتتعرض قواتها المسلحة لأى عدوان من أية دولة استعمارية أوروبية : وما أزال حتى تلك اللحظات ، التى أكتب فيها تلك الكلمات ، ترن فى أذنى عبارات عزيز على المصرى ، وصالح حرب ومحمود لبيب ـ يرحمهم الله جميعا ـ عندما كانوا يتحدثون عن اشتراكهم فى مقاومة الاستعمار الايطالى فى ليبيا ـ برقة وطرابلس ـ وعن التضحيات التى قدمها شعب مصر للشعب الليبى وللقوات التركية التى كانت تحارب الاحتلال الايطالى فى ليبيا ، لقد هاجمت ايطاليا الشعب الليبى الأعزل فى ١٩١١ ، كان عدد القوات الايطالية المهاجمة مائتى ألف جندى بالاضافة الى الأسطول الايطالى ولم يكن عدد القوات التركية المدافعة عن ليبيا يزيد على خمسة آلاف جندى وقد دافعت تلك القوات التركية دفاعا مجيدا ، الى أن أوشكت ذخيرتها على النفاذ فاعتصمت بالصحارى والجبال فى انتظار المدد الذى يأتيها من تركيا : وقامت المظاهرات فى مصر تطوف بالشوارع ، والميادين ، ودور السفارات لتعلن استنكارها للاستعمار الايطالى وتعلن وقوفها الى جانب الشعب الليبى الشقيق ، وخصصت الصحف المصرية كل صفحاتها من أجل استنهاض همم شعب مصر ، للمساهمة فى تخفيف ويلات الحرب عن الشعب الليبى ، وتكونت لجان قومية لجمع المساعدات المادية والطبية والذخيرة ونهض شعراء مصر ، وكانوا فى ذلك الوقت سباقين دائما للاشتراك فى كل معركة وطنية ، يترنمون بالقصائد الوطنية الرائعة ، التى تؤيد شعب ليبيا ، فى نضاله ضد الاستعمار الايطالى **ومن بين تلك القصائد التى كان لها دويها قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم ، وكان مطلعها :**

طمع ألفى عن الغــرب اللثاما فاستفق ياشرق واحذر أن تناما

وكان من أبياتها التى خاطب فيها شاعر النيل قائد قوات الغزو الايطالى :

حاتم الطليـــان قد قلدتنا منة نذكـــرها عاما فعــاما

انت أهـديت الينــا عـــدة وعتـــادا وشرابا وطعــاما

وســــلاحا كان فى أيديكمو ذا كلال فغــدا يفرى العظاما .

ومما قاله الصاغ محمود لبيب ، فى مذكراته عن تلك الفترة التى وقف فيها شعب مصر الى جانب الشعب الليبى الشقيق : قام الحزب الوطنى فى هذه الآونة بالدور الاول فى اذكاء الحماسة ، والوطنية فى قلوب الشــعب ، كما فتح رجالاته أبواب منازلهم يؤون فيها قواد تركيا البواسل ، الذين بعثت بهم أمتهم الى ليبيا لتنظيم الجهاد ، ومواصلة القتال ضد المستعمرين لقد حضر القواد أمثال أنور ومصطفى كمال «أتاتورك» وعصمت ، والضابطان الألمــانيان فون جونتنبرج ، وفون بندنهايم وغزلى جمال وغيرهم عن طريق الصحراء الشرقية واستقروا فى مصر ، فى بيوت هؤلاء الأحرار من رجالات الحزب الوطنى فنزل بعضهم ضيوفا مكرمين فى منازل أصهار الشيخ عبــد العزيز جاويش كما نزل عاهل تركيا الخالد مصطفى كمال أتاتورك بعــوامة محمد باشا يكن بواسطة حافظ رمضان باشا . وقد حفظ عاهل تركيا هذا الصنيع فى نفسه حتى اذا سافر حافظ باشا الى مقابلته فى أنقرة ، رد الى مصر ، فى شخصه هذا الصنيع ، وكلف مندوبه عصمت اينونو فى مؤتمــر لوزان بالاعتراف الصريح بتنازل تركيا عن سيادتها الى شعب مصر . لا الى انجلترا وكان ذلك فى عام ١٩٢٣ . ومن مذكرات محمود لبيب ــ يرحمه الله ــ أن أنور ، ومصطفى كمال أتاتورك ، وعصمت اينونو ، والضابطان الألمانيان وغيرهم قد قضوا خفية أياما فى لوكاندة عصفور : على ضفاف الميناء الشرقية بالقرب من محكمة استئناف الاســـكندرية ، وانه فى غرفة من غرف تلك اللوكاندة وضعت أهم خطــة حربية عرفها تاريخ المغرب العــربى ــ خطــة مقاومة الغزو الايطالى لليبيا ــ وأن العميد البريطانى فى مصر ، قد أصــدر قرارا بتشديد العقوبة ، على كل من تطاوعه نفسه ويعمــل على تهريب أو مساعدة القواد الأتراك الذين نزلوا بمصر أو يشترك فى تهريب الســلاح أو الذخيرة الى ليبيا ، وان كل من يقبض على أحد قواد تركيا ــ وبالذات أنور باشا ــ يمنح على الفور خمسمائة جنيه ذهبا ، ويذكر محمود لبيب ، أن أنور باشا عندما بلغه ذلك القرار قهقه ضاحكا ثم قال : عظيم جدا ، هــذا القرار .. لقد بخسونا حقنا ، خمسمائة جنيه فقط عن رأس كل واحد منا ، لعنة الله عليهم : على أية حال لقد كان شعب مصر دائما الى جانب الشــعب التركى : حتى خديو مصر ، عباس حلمى الثانى ، الذى انضم منذ بداية الحرب

الى جانب تركيا حظى بتقدير كبير من الشعب ، الذى كان يردد باستمرار : « الله حى : عباس جى » وكانت تركيا تعرف جيدا عواطف شعب مصر ، تجاهها ، وتجاه حليفتها المانيا ، وقد حاولت تركيا فى ٣ فبراير ١٩١٥ ، وفى ٤ أغسطس ١٩١٥ دخول مصر من شبه جزيرة سيناء ، لتشارك فى تخليصها من الاحتلال البريطانى ، وكان العديد من أبناء مصر الذين كانوا يقيمون وقتئذ فى تركيا ، قد اشتركوا فى هاتين المحاولتين غير أن النجاح ـ لأسباب عديدة لا مجال للحديث عنها الآن ـ لم يكن أبدا ، من نصيب تركيا ....

لقد قاسى شعب مصر ، الأمرين من الاحتلال البريطانى فى أثناء الحرب العالمية الأولى فالى جانب حشد العمال والفلاحين المصريين ، بطريق الاكراه والسخرة لارسالهم الى سيناء ، أو العراق أو فلسطين ، أو فرنسا ، لخدمة جيوش الحلفاء ، كانت بريطانيا الدولة الحامية ـ تستولى على المؤن والدواب ، حتى الأشجار ، كانت تستولى عليها بالاضافة الى جنود الرديف من جيش مصر ، الذين استخدمتهم بريطانيا فى الأعمال الحربية ، وفى بعض الأحيان كان هؤلاء الرديف يتظاهرون أمام سراى عابدين « ٢٩ يناير ١٩١٦ » وأكثر من مرة وقع الصدام بينهم وبين رجال البوليس وأصيب الكثيرون منهم ، وجملة القول ـ كما يقول أستاذنا عبد الرحمن الرافعى ـ أن جميع موارد مصر ، من الرجال والمهمات والمؤن والمواشى والحاصلات الزراعية والصناعية ، كانت تحت تصرف السلطة العسكرية البريطانية وصارت الحكومة بجميع فروعها تعمل بلا انقطاع ، لتقديم ، كل المساعدات اللازمة للجيوش البريطانية حتى أن بعض المصالح ، خصصت نفسها لهذا العمل ، مهملة شئونها الوظيفية ، الأصلية وأرهقت السكك الحديدية بحركات النقل الحربى ، وتلف بذلك عدد كبير من القاطرات والعربات والمهمات » بل ان الحكومة المصرية قد تكرمت فقررت فى اجتماع رأسه السلطان فى ٩ مارس ١٩١٨ اعترافا بجميل بريطانيا العظمى التى حمت البلاد من أخطر الغارات أن تتحمل ثلاثة ملايين جنيه ونصف المليون جنيه كانت مصر قد اقرضتها لبريطانيا ، هذا فى الوقت الذى كان فيه الشعب يعانى أفظع ضائقة اقتصادية فى تاريخه اذ ارتفعت فيه الأسعار ـ فى المتوسط ـ الى أكثر من ٣٠٠٪ حتى ليقول اورد ملنر ـ فيما بعد ـ عن تلك الضائقة التى ألمت بالشعب طوال فترة الحرب العالمية الأولى : اشتدت وطأة ارتفاع الأسعار والضائقة الاقتصادية على الفقراء ولا سيما أن أجورهم لم تكن تكفى النفقات التى يقتضيها غلاء المعيشة فى حين أنهم كانوا يرون عددا من مواطنيهم ومن الأجانب غير المحبوبين عندهم يجمعون الثروات الكبيرة مما أدى الى الاستياء والقلق بين العمال فى المدن وجماهير الفلاحين فى القرى .. » ويقول تقرير ملنر ـ فى

مكان آخر – حول احتكار القطن : هناك ما يدل على أن التحكم فى أسعار القطن زاد استياء الناس لأن هذا التحكم يحرم المزارع مزية المزاحمة فى الأسواق الخارجية مع كون ايجار أطيانه فى ازدياد .. و .. و .. » .

لقد كان الاحتلال البريطانى الغاشم الذى استشرى كما لم يستشر من قبل خلال الحرب العالمية الأولى ، أهم أسباب الأزمة الاقتصادية فى مصر ، كما كان فى الوقت ذاته من أهم أسباب الأزمات الاجتماعية ، والفكرية والأدبية التى تعرضت لها مصر ، أيضا فى تلك المرحلة الخطيرة من مراحل نضالنا القومى ، لقد انتشرت العصابات فى المدن والقرى وعمت الرشوة والفساد كل انحاء البلاد ، وتضاعفت عملية الاتجار بالرقيق الأبيض بصورة أفزعت كل الحريصين على مستقبل مصر ، وكثر المنافقون ، الذين مالأوا الاحتلال البريطانى وساروا فى ركابه كالأغنام ، التى لا رأى لها ولا فكر بل ولا عقل ، **حتى الكتاب والشعراء الذين طالما أثروا الكفاح الوطنى بقصائدهم الوطنية ومقالاتهم الثورية ، والتى كان يحفظها الشباب عن ظهر قلب ، حتى هؤلاء تراجع بعضهم عن خطه الوطنى وراح يمجد الاحتلال البريطانى ،** ويشيد بمآثره بل راح يمجد الأمة البريطانية كما لم يمجدها أبناؤها ، ولعل من الأمور المؤسفة التى يخجل منها تاريخنا الوطنى **أن أحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم – وأحمد نسيم – وكانت لهم المعلقات الوطنية – قد انساقوا وراء تملق الأجنبى ، والاشادة بمآثره :**

قال – مثلا – احمد شوقى يمتدح بريطانيا العظمى :

ودولة لا يراها الظن من سعة ... ولا وراء مداها فيه علياء
عصماء لا سبب الرحمن مطرح ... فيها ولا رحم الانسان قطعان

وقال مرة أخرى يشيد بالبريطانيين :

وليس كفومهم فى الغرب قوم ... من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
فان صادقتهم صدقوك ودا ... وليس لهم اذا فتشت مثل

ويقول حافظ ابراهيم – شاعر النيل – مخاطبا بريطانيا العظمى :

رسخت بناية مجدكم ... فوق الروية والهداية
وعدلتم فملكتم الد ... نيا وفى العدل الكفاية
أن تنصروا المستضعف ... ين فنحن أضعفهم نكاية
أنا بلغنا رشدنا ... والرشد ، تسبقه الغواية
لا تأخذونا بالكلا ... م فليس فى الشكوى جناية

ويقول أحمد نسيم ــ وهو يصف مصر ، فى أثناء الحرب العالمية الأولى و ((النعيم)) الذى تفيم فيه :

فالنيل يعلم أن خير عصوره … هـذا الزمان ويشهد الهرمان
عهد الرفاهة والحضارة والمنى … عهد الكريم يجود بالاحسان
عهد النضار يدر من أطيانه … عهد اغتناء المرء من فدان
يا أمة التاميز فضلك شائع … كالشمس مشرقة على الأكوان
عدل يسير مشرقا ، ومغربا … فعل النسيم سرى بكل مكان
فوق الذرى يمشى وتحت سفوحها … يجرى وبين شواطىء الغدران

على أن ذلك كله لم يؤثر فى الروح الوطنية الأصيلة التى تميز بها شعب مصر ، بل على العكس ضاعف من قوتها ومن شدتها ، ان الشعوب العظيمة الأصيلة ، لا يمكن أبدا أن تتأثر بحملات الضغط والارهاب ، بل ان تلك الحملات تزيد من قوتها ، ومن عنفها ، وشعب مصر العظيم الذى طالما تعرض لموجات غزو لا مثيل لها فى التاريخ البشرى كله لم تلن قناته فى يوم من الأيام ولم يركع أبدا أمام سطوة الغزاة والفاتحين ، بل على العكس ، وكان باستمرار ينجح فى تذويب هؤلاء الغزاة والفاتحين ، وكان آخر هؤلاء الغزاة الاحتلال البريطانى ، الذى بذل كل ما يمكن من جهد ، لجعل مصر مستعمرة بريطانية : ألغى الجيش المصرى وحاول جعله جيش احتفالات وزينات : جعل التعليم المصرى ، بكل أنواعه ، وفى جميع مراحله ، فى خدمته ، جعل من الصحف التى تشتم مصر والمصريين والتى تحقر كل يوم معتقداتهم وقيمهم كتبا للمطالعة يدرسها الطلاب فى كل مراحل التعليم : نفى معظم القيادات الوطنية الصلبة ، الى أوروبا ــ وخاصة مالطة ، بل انه لم يتورع عن نفى بعض السيدات المصريات ، كما حدث بالنسبة لنعمت هانم حرم حجازى بك ، وحرم عبد البافى العمرى ، اذ قام بنفيهما لانتقادهما المستمر لسلطات الاحتلال : قسم البلاد ــ أو حاول أن يقسم البلاد ــ الى شيع وجماعات وأحزاب تسبح بحمده ، وتذكر له على الدوام فضله . ويطول بنا المقام ، لو أننا حاولنا أن نستعرض كل ما قام به الاحتلال البريطانى من جرائم للقضاء على الشخصية المصرية ، ولتحويل مصر ، ذات التاريخ ، العريق ، الى مجرد حامية بريطانية ؛ على أن كل ما قام به من جرائم منذ ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وخاصة فى فترة الحرب العالمية الأولى لم يحقق للاحتلال البريطانى ، أى استقرار فى مصر ، فقد كانت البلاد فى عهد هذا الاحتلال وخاصة مع مطلع القرن العشرين فى ثورة دائمة ضد الاحتلال البريطانى وبلغت تلك الثورة قمتها فى ٩ مارس ١٩١٩ .

فى العدد الخاص الذى أصدرناه من « المصور » بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٩ ـ بمناسبة مرور ٥٠ عاما على قيام ثورة ١٩١٩ ـ كتبت مقالا بعنوان : ثورة سنة ١٩١٩ تأخرت عن موعدها تسع سنوات ، وكانت بداية ذلك المقال على النحو التالى : كانت الأحداث الكبيرة مع مطلع القرن العشرين تتوالى على مصر بسرعة مذهلة ، مذبحة دنشواى فى ١٣ يوليو ١٩٠٦ ، وفاة مصطفى كامل فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ ، اختيار محمد فريد لقيادة الحركة الوطنية واهتمامه البالغ بالتنظيمات الشعبية وفى مقدمتها التنظيمات العمالية والفلاحية : المظاهرات الشعبية العنيفة تجتاح البلاد من أقصاها الى أقصاها لأول مرة بعد الثورة العرابية احتجاجا على الاستبداد والعنف وصدور القوانين الجائرة . . . . الاستعمار يلقى بالصحفيين والكتاب السياسيين الى السجون والشعب يكرمهم ويمنحهم الأوسمة : سلطات الاحتلال تحاول مد امتياز قناة السويس ٤٠ عاما فتفشل المحاولة بفضل الضغط الشعبى : ابراهيم الوردانى ـ الشاب الوطنى ـ يصرع ، بطرس غالى باشا ، رئيس مجلس الوزراء ـ فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ برصاصات أربع لأنه وقع اتفاقية سلخ السودان عن مصر عام ١٨٩٩ ، ولأنه رأس المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين ، فى قضية دنشواى ولأنه حاول مد امتياز قناة السويس ، فيعدم ابراهيم الوردانى ويصبح بطلا أسطوريا وتجود قرائح الشعراء الوطنيين بالعشرات من القصائد تمجيدا لبطولته ، يقول ـ مثلا ـ اسماعيل صبرى باشا مخاطبا ابراهيم الوردانى :

أكبرت حتى أنهم صلبوك ... مثل المسيح ، فليتهم عبدوك
لو كان يحوى النيل شعبا ساهرا ... يحمى الحقيقة والدم المسفوك
ما كان الا شن غارته على ... تلك السجون،وغل من سجنوك

وربما كانت محاكمة امام واكد ومحمد طاهر العربى ، ومحمد عبد السلام لمحاولتهم اغتيال الخديو عباس حلمى الثانى ، واللورد كتشنر ـ المعتمد البريطانى ـ ومحمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء ومحمد مجدى باشا ، ومستر دلبروغلى أغا ، المستشارين بمحكمة الاستئناف ، وصاحبى التاريخ الأسود فى المحاكمات السياسية ، ربما كانت محاكمة امام واكد وزميليه أول محكمة وردت فيها كلمة الثورة ، على لسان النيابة ، حيث قال عبد الخالق ثروت باشا النائب العام وهو يعدد التهم الموجهة الى امام واكد : لقد وسم المتهم البلاد بهذا الشقاء ، وطلب منها أن تهب الى الخلاص ، من هذه الحالة ولما وصف الداء ، لم ير خيرا من الثورة فنادى بها ، ودعا اليها ويستشهد النائب العام ببعض فقرات سبق لامام واكد أن كتبها ومن بينها : أن السيف والقتال الداء الوحيد للخروج مما نحن فيه ، وانه خير ما يطرق

واحسن ما يرتجى . ويتساءل النائب العام فى نهاية مرافعته قائلا : ما معنى هذا ؟ أليس ذلك دعوة صريحة الى الثورة واراقة الدماء ؟ وفى ١٩١٢/٨/١٩ وجدت منشورات معلقة على الجدران فى جميع أنحاء العاصمة بها تحريض صريح وواضح للمصريين : للقيام بثورة فى وجه الحكومتين المصرية والبريطانية وفيها دعوة للانتقام السريع لامام واكد وزميليه بل فيها التأكيد بأن الأمة ستنتقم قريبا انتقاما مروعا سوف تهتز له أركان العالم ، وفى ١٩١٢/١٢/٣١ يضبط شابان ومعهما حقيبتان مملوءتان بمنشورات تحض على الثورة ضد الخديو ، والوزراء .. وضرورة اتباع خطة الوردانى ومجاراته فى أعماله الفدائية : اذ لو وجد مثل الوردانى أربعة من الشباب لتحررت البلاد من المظالم ؟ ؟ وفى ١٩١٢/٩/٦ وجدت منشورات ثورية أخرى فى طنطا ـ لصق بعضها على جدران الشوارع ووزع البعض الآخر بالأيدى وبالبريد ، وكانت تحمل توقيع اليد السوداء وتنادى بالثورة وبعد ثلاثة أيام وجدت منشورات مشابهة فى العاصمة المصرية بها رسم مسدس ورصاص ، ودعوة صريحة الى الثورة ضد الاحتلال البريطانى ، وقد تساءلت الصحف البريطانية وفى مقدمتها التايمز : هل تقوم فى مصر ثورة ؟ .. ولو أن الأمور سارت فى مجراها الطبيعى لما تأخر قيام الثورة بصفة عملية عن أوائل أو أواخر عام ١٩١٤ على أكثر تقدير حيث كانت بعض جهات الحزب الوطنى ـ كما أكد كل من محمد فريد ، وحافظ رمضان ـ تستورد الأسلحة عن طريق السودان ، وتخزنها استعدادا لليوم الموعود غير أن اضطرار محمد فريد للهجرة ، الى أوروبا وانقسام القيادة الوطنية وانضمام بعض أفرادها الى الخديو ـ وهو أمر طالما تاقت اليه سلطات الاحتلال البريطانى ـ قد أصاب الحركة الوطنية الى حد كبير بالضعف و العجز والارتباك .. **وحتى أثناء الحرب العالمية الأولى ورغم اعلان الأحكام العرفية واعلان الحماية البريطانية على مصر ، لم تتوقف المقاومة الشعبية للاحتلال البريطانى** : ألقت ـ مثلا ـ سلطات الاحتلال القبض على كاتب بالمحكمة المختلطة اسمه ، عبد الونيس فى ١٩١٤/١٢/٢ لأنه تفوه بألفاظ فيها تهديد للسلطان الجديد ، ولأنه ارتدى وزملاؤه ملابس الحداد، يوم اعلان الحماية : حكمت ـ مثلا ـ محكمة العطارين الجزئية بالاسكندرية على مصطفى الترمذى بالحبس سنة مع الشغل لأنه كان يحمل منشورات تدعو الى الثورة موجهة من جبهة مصر، فرع الاسكندرية الى شعب مصر ، قامت ـ مثلا ـ مظاهرة عنيفة فى ١٩ يناير ١٩١٦ متجهة من ثكنات عين شمس الى قصر عابدين تمثل جمعا من الرديف جمعتهم السلطات البريطانية قهرا وظلما .. **وعندما زار السلطان حسين مدرسة الحقوق السلطانية امتنع طلبتها عن الحضور وحضر البعض للتظاهر ضد السلطان،**

والهتاف بسقوطه قائلين : اخرج يا خائن ، كان من بين مظاهر المقـــاومة الشعبية ضد الاحتلال البريطانى وعملائه الالتجاء الى الاغتيالات السياسية ففى ٨ ابريل ١٩١٥ اطلق شاب مصرى من المنصورة وهو تاجر خردوات اسمه محمـــــد خليل النار على السلطان حسين فأخطأه بسنتيمتر واحـــد ، ولم يعترف محمد خليل على أحد وقد نفذ فيه حكم الاعدام ، ويقول سعد زغلول فى مذكراته انه قابل السلطان حسين عقب محاولة الاعتـداء عليه ، فوجد عنده رشدى باشا ــ رئيس الوزراء ــ الذى راح يطالب بالتشـديد على رجال الحزب الوطنى وابعادهم لأن صغار الأحلام يتشجعون بوجودهم على ارتكاب الجرائم وكان السلطان حسين كامل يضرب على هـــذه النغمة وقال محمد فريد ــ فى مذكراته : **سررت جدا من هذا الحادث الذى أثبت للعالم ، أن مصر غير راضية عن الحماية الانجليزية وان الشعب مســتعد لمجازاة كل من يقبلها ولكن ساءنى عدم اصابة المرمى ، لأن هـــذا الشاب سيعدم ، طبعا بدون أن يكمل مأموريته . ولكن على أى حال ، فان هـــذا درس للخونة من المصريين .. وفى مذكرات ســـعد زغلول ــ تعقيبا عـلى محاولات اغتيال السلطان حسين وابراهيم باشا فتحى ، وزير الأوقاف ــ** توالى هذه الأعمال الفظيعة شغل بال الحكومة كثيرا ، وأخذت تبحث عن مصادرها واشتدت فى البحث والتنقيب ، وخاصة بعد المحـــاولة الثانية لاغتيال السلطان حسين بالاسكندرية ، وتابع ذلك أن اتصل بعلمها ، عزم جماعة من المنصورة على احداث ثورة فى البلد، والاتيان بأعمال تساعد الترك وتوقع الانجليز فى الارتباك فاهتمت الحكومة لذلك كل الاهتمام ، وألقت القبض على كثير من الناس الذين اشتبهت فى أمرهم ، وبدأت تعتقل أيضا بعض التلاميذ خصوصا ، الذين سبق ، عليهم الحكم بالطرد من مدرسـة الحقوق ، لتخلفهم عن الدروس يوم أن زارها عظمة السلطان ، وكثيرا من رجال الحزب الوطنى معلنة أن الأولين أثبتوا بغيابهم عن المدرسة استعدادهم للشر وانهم أهل لأتبـــاعه والآخرين سمموا الأفكار بكتاباتهم ، وأقوالهم . وأن مصلحة البلاد فى اعتقالهم ، اتقاء لمـا عساه يقع منهم .

ويقول مرة أخرى محمد فريد ــ فى مذكراته ــ تعقيبا على المحـــاولة الثانية لاغتيال السلطان حسين ــ فى الاسكندرية ، هـــذا العمل يدل على وجود جمعية منظمة للانتقام من الخونة الذين باعوا الوطن للانجليز » ، وعن محاولة اغتيال ابراهيم باشا فتحى ــ وزير الأوقاف ــ يقول محمد فريد : لقد قال المعتدى انه يريد قتل وزير الأوقاف ، وأن هناك اتفاقا ، على قتل كل الوزراء ، هذا المعتـدى عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو صراف أو عداد فى المـالية : الجريمة سياسية محضة . وتدل على أن الأفكار الارهابيـــة تسربت من الشبان المتهمين بالتهور الى من هم أكبر منهم سنا ، وتدل على

ان التدبير والفكرة الثورية عمت أو ستعم قريبا ، جميع طبقات الأمة ، بالرغم من الشدة التى تستعملها الحكومة فى حبس كل من تشتم فيه رائحة الميل ، الى هذه الأعمال ، فقد قبضوا على اسماعيل افندى حافظ « نسيبى » وعلى كثيرين من رجال الحزب الوطنى واعتقلوهم فى طرة وأرسلوهم الى مالطة ..

ويقول أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى ــ سابقا ــ تحت عنوان « المقاومة الشعبية للاحتلال البريطانى فى مصر » : توجهت لزيارة قاضى مصر التركى الذى عزل من منصبه وحضر للاستانة فعلمت منه أن الأهالى فى مصر مستاءون من هذا الانقلاب ، حتى انه عندما يدعو الخطيب فى يوم الجمعة للسلطان الجديد ، لا يؤمن الأهالى على الدعاء ، وإن طلبة المدارس لبسوا ، أربطة رقبة سوداء ، اعلانا للحداد ، وقد علمت من الدكتور مصطفى حسنى مورو أن السلطان كلف الاستاذ أمين الرافعى أن يصدر جريدة الشعب فاعتذر بأنه لا يمكنه ذلك الا اذا صدر أمر من مجلس ادارة الحزب الوطنى ، وأن اسماعيل بك لبيب عازم على تنفيذ مشروع يتضمن اختيار ستة شبان مصريين من طلاب كلية الطب والمدرسة الحربية بالآستانة وبث الروح الفدائية فيهم وتعليمهم صنع المفرقعات ومحاولة ادخالهم الى مصر ، للقيام بأعمال تهديدية ، كالقاء القنابل والمفرقعات : وتكثر المظاهرات العمالية ، والفلاحية التى تطالب بالقوت : فى نهاية سنة ١٩١٧ يضرب عمال محلات كوتاريللى بالاسكندرية وتتحول اضرابات العمال المحلية الى اضرابات عامة ، وتقف الحكومة عاجزة ازاء استمرار اضراب عمال السجائر وغيرهم ، ويقف الشعب الى جانب العمال يؤيدهم ويؤازرهم .

وتصبح قضايا الفقر والجوع ، والبطالة من أهم القضايا الشعبية التى يعالجها الشعراء والزجالون ، والكتاب ، وكانت الصحف قد تحررت فى الفترة الأخيرة من الحرب العالمية الاولى من كثير من القيود ، فانطلق الكتاب والشعراء والزجالون يكتبون بصراحة ، ووضوح عن قضية الظلم الاجتماعى التى كانت الجماهير توليها أهمية بالغة وأذكر هنا بعض ما قاله مصطفى صادق الرافعى وقد مزج السياسة بالاقتصاد اذ قال :

غدا الشغل كله شغل عزرائيل ، وشغل المشاة والفرسان
وعجيب أن يكسد القطن حيث راجت تجارة الاكفان

أما بيرم التونسى وقد كانت له أزجال عديدة عالج فيها قضايا الفقر والجوع ، بعضها سمح بنشره ، والبعض الآخر كان يوزع فى منشورات سرية من بين أزجال بيرم :

ايه ايها الفقير كن جليدا ، راضيا بالقضاء والقدر
لك ثوب يميت لابســـه واهن لا يخـــاط بالابر
كان يكسوك أغنيـــاؤك لو كنت فى عرفهم من البشر

ويقول عبد الله سالم ، وله الكثير من الكلمات الثائرة :

برح اليوم بالظهور الخفـــاء ، فكلوا الأغنيـــاء يا فقراء
انصفوهم ، وعلقوا الاثم فى جيدى فهم بانتحارنا الانماء
وأبلعوهم وكلكم مستعد لابتلاع الأحجار لولا الحيـــاء
وأميتوا عواطف اللين ان لانوا فمـــاذا أفادوا الأحيـــاء ! !

هكذا كان الشعب بكل طوائفه ، وهيئاته يتأهب للثورة ضد الاحتـــلال البريطانى كان كل مصرى وكل مصرية ، فى الريف وفى الحضر فى كل مكان من ارجاء مصر يعيش فى جو كله ثورة ، وكله تحفز للانطلاق ضد العدو المحتل ، وقد زاد ذلك الجو توترا باعلان الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ حيث زال من امام المصريين الجبل الذى كان يحول بينهم وبين اعلان الثورة ضد الاحتلال: لقد فرضت سلطات الاحتلال البريطانى الأحكام العرفية فى كل أنحاء البلاد بدعوى حماية جيوش الحلفاء . وبدعوى ان الحرب التى تخوضها بريطانيا ، ومعها الحلفاء توجب تقييد الحريات فى مصر ، فلما انتهت تلك الحرب انفجر البركان مرة واحدة .

والذى يجب أن نلاحظه عن مواليد تلك المرحلة من مراحـــل نضالنا الوطنى انهم تأثروا الى أبعد حدود التأثر بتلك الثورة : تفتحت عيونهم أول ما تفتحت على المظاهرات الدموية التى انطلقت فى كل ارجاء البلاد ضـــد المستعمر الأجنبى ، استنشقوا أول ما استنشقوا من نسائم الحياة عبير تلك الثورة وليس من قبيل المصـــادفات أبدا أن من بين أولئك الذين ولدوا فى الأيام الأولى للثورة وفى أثنـــاء تلك الثورة كان ذلك الجيل ، الذى حمل فيما بعد مسئولية ثورة ١٩٥٢ ، وكان فى مقدمتهم جمال عبد الناصر وأنور السادات وغيرهم من الذين حملوا رءوســـهم على أكفهم وانطلقوا فى فجر اليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ يدكون حصون الظلم ، والطغيان ويعملون على تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية ، وفى الوقت نفسه يقدمون أرواحهم فداء لتحرير البلاد من كابوس الاستعمار البريطانى ..

وللحقيقة وللتاريخ نقول ان ثورة ١٩١٩ لم تؤثر فى ذلك الجيل الذى ولد أثناء اندلاعها وحسب وانما اثرت وما تزال تؤثر فى كثير من الأجيال وستظل الى آماد بعيدة ، مصدرا للوحى والالهام لكثير من حركاتنا الشعبية ، ان ثورة ١٩١٩ لم تكن يوما « ثورة أفندية » كما قالت صحيفة التايمز البريطانية كما

انها لم تكن ثورة الراسمالية المصرية ، كما ادعى البعض من كتابنا ، بكل أسف وانما كانت ثورة الشعب المصرى كله ، بعماله ، وفلاحيه ومثقفيه ، وطلابه ، بدأت الثورة فى ٩ مارس ١٩١٩ بمظاهرات لطلاب مدرسة الحقوق ، وعندما حاول مستر موريس شلدون ، ايجوس نائب المستشار القضائى لوزارة الخارجية اقناعهم بان يعودوا الى دروسهم ، ويتركوا السياسة لآبائهم كان ردهم : ان آباءنا قد سجنوا ولن ندرس القانون ، فى بلد يداس فيه القانون ، وانضم الى طلبة الحقوق طلبة مدرسة المهندسخانة ، ومدرسة الزراعة ، ومدرسة الطب ومدرسة التجارة العليا وفى اليوم التالى أعلن الاضراب فى جميع انحاء القاهرة وامتد الى كل العواصم الأخرى وعندما حدث عدوان من البعض على بعض المحلات التجارية المملوكة للاجانب أعلن الطلبة فى بيان أذاعوه فى الصحف عن أسفهم لما حدث ، واستنكارهم له ، وتوالت المظاهرات العامة .. واضرب فى ١١ مارس المحامون وعمـال السكة الحديد ، وكان عددهم يزيد على أربعة آلاف عامل وكانت مظاهرات السيدات فى يومى ١٦ و١٧ مارس وكان المتظاهرون ، فى أيام الثورة قد الفوا فيما بينهم بوليسا وطنيا يحمل شارات خاصة تميزهم عن سواهم ، وكانوا يحملون العصى ليبعدوا عن المظاهرات من يندس اليها ..

وتستمر الثورة فى كل مكان .. وكما كانت حوادث القاهرة قد تمت بدون تدبير مسبق فكذلك كانت حوادث الأقاليم قد تمت بدورها بدون ايحـاء ولا تدبير ، اذ لم يكن للوفد — كما يقول عباس محمود العقاد — فى ذلك الحين لجان يجوز أن يقال انها اتفقت على تنفيذ خطة مرسومة فى جميع الاقاليم ولم يكن خبر السكة التى قطعت بين طنطا وتلا قد شاع فى القطر كله حتى يقال انه جاء فى طليعة الحوادث بمثابة الايحاء والقدوة عن عمد ، أو على غير عمد ، وانمـا نجمت الثـورة من بديهـة الأمـة كلهـا ، لأنهـا كانت كلهـا على اتفاق فى الغضب للمظلوم والتأفف الذى بلغ مداه .. ويقـول الاستاذ العقـاد : على ان الثورة لم تكن ثورة غضب بغير معنى كما أراد اعداؤها والناقمون منها أن يتخيلوها فلو كانت كذلك لما ظهر ما قد ظهر من نفحـات النخوة الثورية والأريحية الانسانية التى ترتفع اليها الشعوب كما يرتفع اليها الأفراد فى ساعات السمو ، والاشراق ، والفداء ، فان هذه النفحات لا تظهر فى سـورات الغضب الحيوانى حيث ينطلق على غير هدى ، وفى غير مطلب ، ولكنها تظهر حين تكون الثورة اعرابا عن شعور ملتزم ونزعة منسوبة الى الكمال . وقد كانت الثورة المصرية كذلك تغلب فيها الروح القومى ، على كل عصبية ، وكل علاقة وكل فارق : مشى فيها علماء الأزهر يحملون بسـاط الرحمة ، فى تشييع جنازات الشهداء .. ويرفعون ، الاعلام وعليها شـارة

الهلال والصليب ، وقام القسس فى المســـاجد يخطبون المسلمين ويؤدون ما يؤدى لها من الشعائر الدينية ، وخرجت العقائل والأوانس من الخـدور يسابقن الرجال والشبان الى المهالك والأخطار ويستهدفن للجند المسلحين ، يتأهبن كأنهن فى ميدان قتال ، وغلبت فرائض الحمية الوطنية على كل فريضة وكل تقليد ، فكان الضباط يسيرون الى جانب القضـــاة والمحامين وطلاب المدرسة الحربية يسيرون الى جانب الطلاب فى كل مدرسة ، وكانوا جميعـا ينادون باسم مصر ، ولا يذكرون الا أنهم مصريون ، وتجلت بسالة التضحية على مثال رائع كأنبل ما سطرت تواريخ الجهاد ، والفداء ، فى وثبات الأمم فمات أناس يحملون العلم ، آنفة من الفرار من أمام نيران المدافع وهم عزل من السلاح ويرى اخوانهم مصرعهم فيبادرون الى رفع العـلم ليستقبلوا مصرعا كمصرعهم طائعين متنافسين فى لحظة يطيقون فيهـا رؤية الجثث المطروحة ولا يطيقون رؤية العلم ملقى على التراب وقد أحاطت بالمصريين فى تلك الأيام مؤامرات كثيرة من فتك وارهاب وخشونة واستفزاز : فى بعضها ما يشفع للناس لو طفت بهم مرارة النقمة وجمحت بهم لواعج الضغينة لكنهم مع هذا لم ينسوا أدب المروءة فى أشد أوقات الهياج والاضطراب فلم يعتد أحد قط ، على طفل أو على شيخ عاجز أو على امرأة .. » ..

وقد قضيت أكثر من ثلاثة أشهر من عام ١٩٥٣ متنقلا بين المدن والقرى ، فى جميع أنحاء البلاد باحثا ، ومنقبا عن الأحيـــاء من أبطـــال ثورة ١٩١٩ واستمعت اليهم وهم يروون كل ماقاموا به فى تلك الثورة وماقام به زملاؤهم واخوانهم . سمعت من عريان يوسف سعد ، كيف فكر فى اغتيـــال يوسف وهبه باشا الذى قبل الوزارة بعد أن أحجم الساسة المصريون لدواع وطنية عن الاشراك فى الحكم ، وكيف وقف عالم أزهرى فى كنيسة الظاهر ، يتلو قول الله تعالى : « اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجـه أبيكم » وكانت تلك الآية اشارة لهـا معناها ومغزاها فقد أريد أن يتولى قتل الوزير القبطى شاب قبطى مثله حتى لا يكون فتنة طائفية اذا ما قتله شاب مسلم ، وتطوع عريان يوسف سعد ، للقيـام بتلك المهمـة فألقى قنبـلة على يوسف وهبـه ولكنه نجا من الموت بأعجوبة ؛ ووقف عريان يوسف سعد ، فى مكان الحادث حتى يقبضوا عليه لأنهم لو لم يقبضوا عليه ربما اتجهت سلطات الاحتلال الى اتهام شبان مسلمين بقتله ؛ وعنـدما جاء محام بريطـانى للدفاع عن عريان يوسف سعد ، حيث لم يكن من الممكن أن يترافع محام مصرى أمام المجالس البريطانية قال المحامى الانجليزى ان وطنية عريان يوسف سعد لا مثيل لها ، ففى كل مليون حالة ، لا توجـد الا حالة واحـدة ، مثل حالة عريان يوسف

سعد ، الذى شرع فى القتل ، وأصر على البقاء فى مكان الجريمة دون أن يهرب وكان فى استطاعته أن يهرب .. وكان عريان يوسف سعد طالبـــا فى السنة النهائية بكلية الطب وقد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وظل سنوات عديدة يقطع الأحجار فى الجبل ، وبعد الدستور أفرج عن عريان يوسف وآثر أن يعمل كاتبا فى مجلس النواب على استئناف الدراسة فى كلية الطب حتى لا يرهق أباه بالنفقات وكان والده قد باع ضيعة كبيرة كان يملكها لانقاذ ولده من حبل المشنقة ؛ ويتحدث الى سيد باشا ـ وباشا لقب لا رتبة ـ وكان طالبا فى السنة النهائية بمدرسة المعلمين العليا يتحدث عن دوره عندما قامت الثورة وكان يشرف على توجيه أعداد كبيرة من الفدائيين ، دون أن يشترك فى التنفيذ وكان يحرر جريدة المصرى الحر ، وكان ينقل المطبعة بين يوم وآخر من حى شعبى الى حى شعبى آخر حتى لا يكتشف أمرهـا وكان الحوذية الذين يملكون عربات الكارو وينقلون عليها المطبعة يرفضون أن يأخـذوا أجرا على ذلك لأنهم وطنيون ، ويسافر سيد باشا ، الى ايطاليا ليمد الفدائيين بالأسلحة من هناك .. والأستاذ حسن كامل الشيشيني الأستاذ بالتجارة العليا واستاذ الوطنية فى نفس الوقت يتحدث الينا عن الثورة وعن عشرات الطلاب الذين درسوا عليه الفدائية، قبل الاقتصاد .. والحاج أحمد جادالله أخطر الفدائيين المصريين . ويروى لى جاد الله عن أمه وكانت قد جاوزت المائة عندما زارته فى سجنه وهى تتوكأ على عكازين فوجدته من وراء القضبان يبكى فنهرته قائلة : « أنت تبكى ، محـال أن تكون ابنى ان ابنى لا يبكى » ، وأسرة عنايت أحمد وعبد الحميد وعبد الخالق ، وعبد الفتاح الذين ضربوا أروع الأمثلة فى الفداء والتضحية ، وأحمد رمضان زيان شيخ مجاهدى الاسكندرية وزملاؤه يعقوب صبرى ، وعبد الله حسن ، وأحمـد عوض جبريل وابراهيم أنيس ، وغيرهم ، الذين تحملوا أعبـاء النضال فى ثورة ١٩١٩ بالاسكندرية وكانوا يؤدون يمين التضحية والفداء فى أماكن نائية فى تلال كوم الشقافة وكوم الدكة أو محـرم بك وقد وضعوا أيديهـم على المصاحف ، ووضعت أمامهـم بعض الأسلحة والجماجم وأطراف الموتى يروى لى كيف انضم الى هؤلاء فيما بعد محمد حسين العرارجى ، وأحمد عبد السلام غالى ، ومحمد الهيهاوى وعلى صادق وعبد الرحمن سرور ومحمد فؤاد عثمان وسليمان حافظ ومحمود فهمى النقراشى والدكتور ياقوت السهوى وغيرهم وغيرهم الذين آثروا العمل الوطنى وجاهدوا فى الله وفى الوطن حق جهاده : لقد كانوا جميعـا ممتلئين حماسا ، واخلاصا ووطنية أمطروا الانجليز بالقنابل فى معسكراتهم وأماكن تجمعاتهم ، ونواديهم الليلية وأحالوا الأنفوشى والشلالات والنادى البريطانى بالاسكندرية الى جحيم لا يطاق .

في ((أبو حمــاد)) بالشرقية مثلا لقيت شيخ العرب محمد ســلطان ، الذي حدثني عن عشرات من الغــارات الليــلة على معسكرات ومستعمرات القوات البريطانية حيث كانوا يفجرون الذخيرة ويخربون خزانات المياه .. يعطلون المواصــلات ويفكون قضبان السكة الحديد للحيــلولة دون وصول الامدادات للقوات البريطانية في الشرقية وفي القناة ..

في المنصورة : استمعت الى أستاذ الفدائيين بالدقهلية كلهــا د. عبد الغفار متولى وهو يحدثني عن الحركة الوطنيــة في الدقهلية في ثورة ١٩١٩ وكيف وصلت في تلك المنطقــة الى الذروة .. كما حدثني عن عشرات الطلاب والعمــال والحرفيين الذين تساقطوا في الشوارع دفاعا عن مصر ود. عبد الغفار متولى وشــقيقاه عبد المقصود وعبد الحليم ، هم من أعمدة الحركة الوطنية المصرية : شاركوا في التمهيد للثورة تحت قيادة محمد فريد كما قاموا بجهد مشكور في ١٩١٩ ونفى بعضهم خارج البلاد وظلوا يرفعون لواء الوطنية المصرية الصادقة الى أن لقوا ربهم .

في أسيوط : لقيت الشيخ أحمد النادى فحدثني عن البكباشي محمد كامل محمد مأمور بندر أسيوط الذى كان يوزع بنادق الشرطة — وهو الموظف المسئول — على الثوار والذى ضحى بحياته من أجل الثورة : التقيت بأسعد مشرقي ذلك المناضل ، الفذ الذى كان يوزع المنشورات في ثورة ١٩١٩ ، والذى اتهم في قضية نسف القطار البريطاني وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وبعد أن جاءت وزارة سعد زغلول الشــعبية وأصــدرت العفو ، عن كل السياسيين الذين اشتركوا في الثورة وفي كل عمل وطني لم يفرج عن أســعد مشرقي فظل سجينا الى أن أوفى المدة المطلوبة وعندما خرج من السجن لم يتذكره أحد ، لم يقدر سابق جهاده أحد ، فاضطر الى أن يعمل خفيرا لكوبرى المعاهدة في ديروط بثلاثة جنيهات شهريا .

في ديروط الشرقي وجدت محمود مفتــاح ، وشقيقه أحمد مفتــاح واستمعت منهما الى تفاصيل ما حدث في ديروط عام ١٩١٩ .

وفي بانوب ظهر الجمل ، لقيت عبد القادر شحاتة الذى كان له دور هام في بعض أحداث الثورة في القاهرة .

وفي كل مكان من أرض الوطن : في الصعيد ، وفي الوجه القبلي ، في المدن ، القرى : في الكفور ، والنجوع ، خــلال الأشــهر الثــلاثة التي قضيتها من أقصى الشــمال الى أقصى الجنوب استمعت بل واستمتعت بأحاديث أبناء مصر الذين ساهموا في ثورة ١٩١٩ والذين أكلتهم هذه الثورة ، بل أكلهم

أولئك الذين تسلقوا الى الوزارة والمناصب العليا فى أعقاب الثورة كانوا جميعا نماذج بشرية رائعة .. قدموا أرواحهم فداء لبلدهم ، لم يتراجعوا عن التضحية . والفداء ، لم يحاولوا يوما واحدا ان ينالوا ثمن جهادهم ، أو كفاحهم فعاشوا لا يلتفت اليهم أحد ، ولا يقدر جهودهم الوطنية أحد . وقد ظل حبهم لبلدهم ، ووفاؤهم لزملائهم الذين سبقوهم الى الاستشهاد مضرب المثل للحب الصادق ، وللوفاء النادر .. وحسب هؤلاء جميعا انهم وقفوا كل حياتهم لخدمة مصر ، وانهم لم ينالوا الا الاهمال والنسيان ومع ذلك كان حبهم لمصر يقوى ويزداد .

ان ثورة ١٩١٩ ــ كما أكد هؤلاء لى وقتئذ ــ أولئك الشهداء الأحياء ــ تعتبر من أنجح ومن أبرز الثورات العالمية : لم يبخل مصرى ــ أى مصرى ــ عن المشاركة فى تلك الثورة ــ بل لم يتردد أى مصرى فى أن يبذل حياته ، من أجل انجاح تلك الثورة ..

كان جو مصر كله جوا ثوريا رائعا .. تحس به فى كل مكان من أرض مصر الحبيبة ؛ تحس بالثورة وأنت فى القرية فى الجرن ، فى الحقل ، فى الشارع ، فى الحارة ، فى الزقاق : تحت الشجرة : عند القنطرة ، فى الأفراح وفى الأتراح : لا حديث للناس جميعا الا عن مصر ، وثورة مصر ، وبطولة شعب مصر ، وكانت قيادة سعد زغلول للثورة وصلت الى مكانة رائعة : كان سعد زغلول ابن هذا الشعب قد استطاع بشيخوخته ، وقدرته على الخطابة ومواقفه الوطنية الشجاعة أن يسلب لب الجماهير حتى كانوا يحفظون كل خطبه ويرددونها بالرغم من عدم وجود اذاعة وتليفزيون : كان الشعب كله ــ فيما عدا قلة من معارضيه وطلاب المناصب الكبيرة ــ يدينون لهذا الزعيم بحب نادر لا مثيل له : حدثنى بعض أبناء تلك الثورة أن ايمان الجماهير بسعد وحبها له بلغ مرحلة الأساطير ، فكانوا يرددون ــ مثلا ــ ان العجل الصغير عندما يخرج من بطن أمه لأول مرة كان يهتف بحياة سعد . وأن أوراق الفول ــ وهى أوراق عريضة نوعا ما ــ كانت تمتلى ، بعبارات : يحيا سعد ، ورغم أن ذلك كله لم يكن الا من قبيل الأساطير التى لا أساس لها من الصحة الا أن الجماهير كانت تصدقها ، وترددها وتنقلها وهى مصدقة لها .

واذا كانت الثورة لم تحقق أهدافها المرجوة منها فان المسئولية فى ذلك لا تقع على الجماهير وانما تقع على قيادات تلك الثورة التى انقسمت على نفسها حيث كان يجب أن تتحد : كان عليها الا تقنع من الغنيمة بالأياب وكان يجب عليها الا تتخلى عن ثوريتها وتقبل أن تحكم لأن الحكم وفى ظل الاحتلال الأجنبى ــ أى احتلال أجنبى ــ لايمكن أبدا أن يبقى على الثورة فى قلوب الحكام ،

ولو كانت الثورة هى التى دفعت بهم الى الوزارة والمناصب العليا : **لا يعيب ثورة ١٩١٩ انها لم تنجح فى اخراج الانجليز من مصر وانما يعيب قادتها الذين استفادوا منها** ، والذين تراجعوا وكان ينبغى لهم الا يتراجعوا والذين طعنوا الثورة التى صنعتهم وصنعت أمجادهم طعنوها فى الوقت الذى كانت فيه تلك الثورة توشك أن تحقق غاياتها وأهدافها كاملة غير منقوصة . لقد كان الخطأ الأكبر لزعماء تلك الثورة وقادتها انهم بعد ان اختلفوا تراجعوا ، شغلتهم أهداف حزبية محدودة عن الأهداف الكبرى للشعب ، وقد أحس قادة هذه الثورة بأخطائهم وخطاياهم ــ فيما بعد ــ بعد أن ظهر لهم ــ وخاصة بعد ذهاب وزارة سعد زغلول اثر حادث السردار : ان كل شىء رغم الثورة ، ورغم الدستور ورغم قبة البرلمان ، ورغم الالقاب التى كان يحملها أصحاب الدولة ، والمعالى والسعادة .. بك ، وباشا .. و .. و .. ظهر لهم رغم كل تلك المظاهر الجديدة أن بريطانيا بقواتها الأجنبية ، قوات الاحتلال ، وبمندوبها السامى فى مصر ، هى التى تحكم مصر وهى التى تسيطر على كل شىء فى مصر .. على أنه وللحقيقة وللتاريخ أيضا نقول أن قادة ثورة ١٩١٩ الذين تحولوا الى حكام تشغلهم المناصب والألقاب وتمزقهم الخلافات الحزبية ، الضيقة الأفق . قادة الثورة فقط ، هم الذين تغيروا .. هم الذين ابتعدوا عن الثورة ، أما الشعب .. الشعب فى مجموعة فقد ظل ثوريا كما هو ، لم تبرد عواطفه الوطنية .. لم يتخل عن أهدافه الكبرى فى الحرية والاستقلال .. وكان الشعب ، ينتهز أية فرصة ليعبر عن مشاعره الوطنية بل يخلق بنفسه الفرص ، للتعبير عن معاداته للاحتلال الأجنبى ، ولكل من يتعاون مع الاحتلال الأجنبى .

ان ثورة الشعب المصرى ، التى اندلعت فى سنة ١٩١٩ بقوة وعنف ، لم تتوقف أبدا .. كل الذى كان يحدث انه بفعل الحديد والنار كان الشعب يضطر الى أن يؤجل اظهار تلك الثورة الى حين ثم يعلنها عندما تحين الفرص المناسبة لذلك كما حدث فى سنة ١٩٣٠ ضد حكم اسماعيل صدقى ، وكما حدث فى سنة ١٩٣٥ عندما هب الشعب كله بجميع طوائفه وهيئاته ، ينادى بتحرير مصر من الاحتلال الأجنبى .. ان ثورة شعب مصر كانت تتجدد باستمرار بل كانت تقوى بمرور الأيام وتزداد عمقا ، وصلابة وأصالة كلما واجه الشعب التحديات الكبيرة ! تلك هى سمات الثورة الأصيلة وسمات الشعب الأصيل : الذى لا تستطيع أية قوة فى الوجود أن تبعده عن أهدافه الكبرى فى الحرية والاستقلال ..

ولعلى لا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت أن ذلك الجيل الذى ولد فى ثورة ١٩١٩ والذى تنسم أول ما تنسم عبير الثورة والذى تعود أن يستمع الى أناشيدها كل صباح وكل مساء والذى كان يتغذى دائما وفى كل وقت بما يسمعه من قصص البطولات؟ هذا الجيل مدين الى حد كبير لتلك الثورة بكل تلك المشاعر، والعواطف والأحاسيس الوطنية التى جعلته ومنذ الصغر، يحرص على أن يحقق ما عجز أباؤه عن تحقيقه : أن جيل ثورة ١٩١٩ قد تربى على كراهية الاحتلال البريطانى كما تربى فى الوقت ذاته على ضرورة التخلص من ذلك الاحتلال . وكان فى مقدمة ذلك الجيل الذى تأثر بثورة ١٩١٩ محمد أنور السادات .

■ الحاج احمد جاد الله ، أحد مجاهدينا الافذاذ الذى دوخ سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر ■

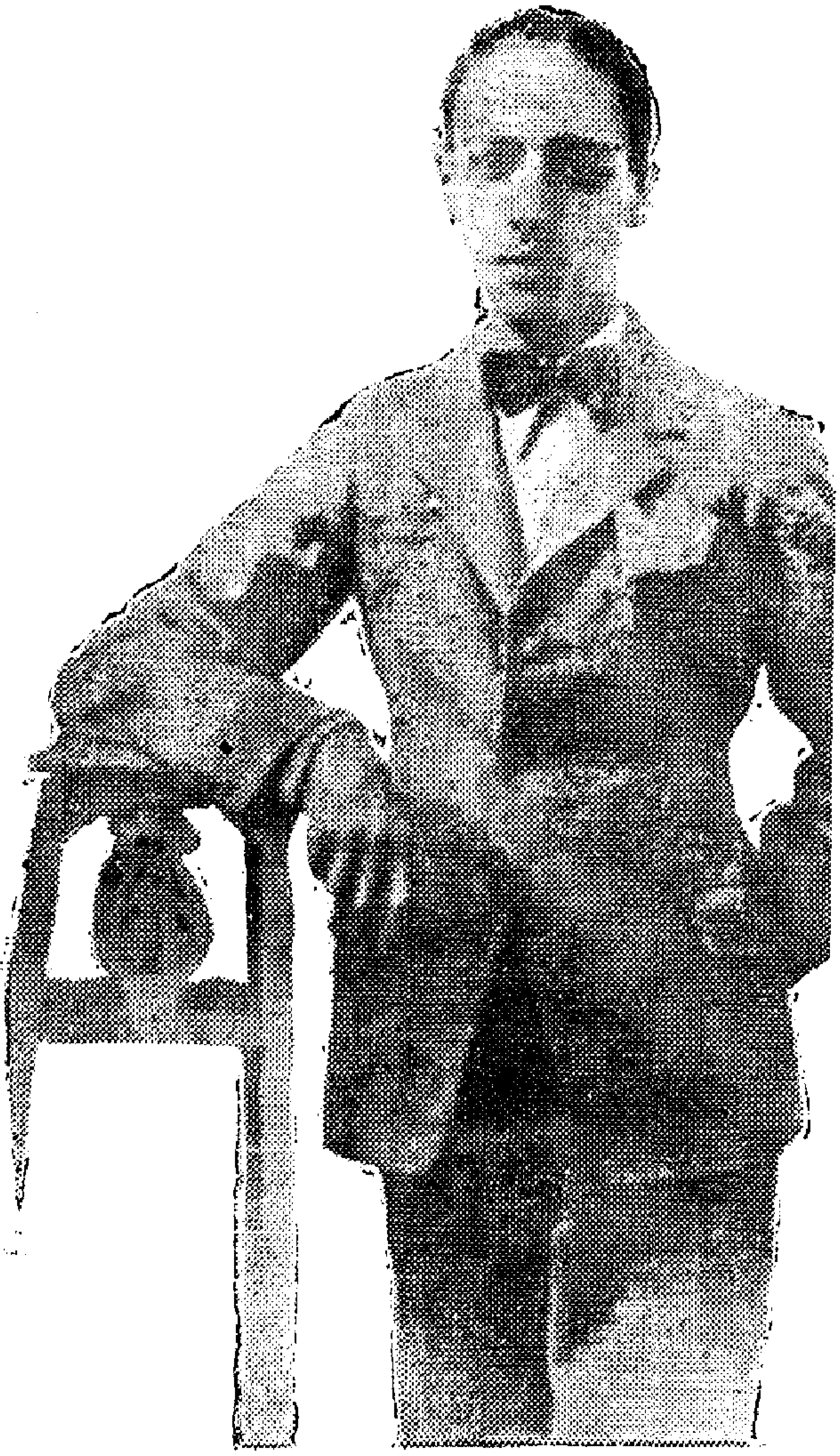

عبد الفتاح عنايت أحد الفدائيين المصريين ، قضى فى السجن ربع قرن من الزمان بعد أتهامه فى قضية مصرع السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان

عبد الحميد عنايت أحد أبطالنا الفدائيين أعدم فى حادث مقتل السيرلى ستاك سردار الجيش البريطانى ، والحاكم العام للسودان

مجتمع الأسرة الواحدة

قريتنا المصرية عريقة وعظيمة عمرها أكثر من سبعة آلاف سنة ، امتزجت بأهلها ، وأرضها : قيم ومثل وعادات ، وتقاليد ، وحضارات ، تعتبر — بلا شك — ثروة انسانية رائعة قل أن وجد لها مثيل فى تاريخ الحضارة الانسانية ، وقريتنا المصرية التى نعنيها ليست قرية محددة بالذات ، بل هى الأربعة آلاف قرية ، التى يحتضنها نيلنا الحبيب ؛ والتى تتشابه وتتماثل فى كثير من الأمور الحيوية ذات الأثر الفعال فى بناء الانسان المصرى ، قريتنا المصرية هذه لم تتغير ، ولم تتبدل رغم كوننا فى عصر الفضاء والصواريخ ، والقمر الصناعى ، والمريخ ، بل بقيت — بالنسبة لتقاليدها — كما هى منذ ألوف السنين ، تعيش كأسرة واحدة فى السراء ، والضراء : فى الأفراح وفى الأتراح ، قريتنا المصرية الطيبة هذه تقوم العلاقات الاجتماعية بين كل أبنائها على الحب ، والود ، والتعاون ، والتضامن ، لا يعرف هؤلاء الأبناء العيب ، لا يحملون لأحد حقدا ولا غلا ، ولا بغضاء ، على الاطلاق ، أبرز ما فيهم جميعهم ايمانهم بربهم وبوطنهم وبأرضهم وبالانسانية التى ينتسبون اليها ، وقد يكون أبناء قريتنا المصرية فقراء وقد يكونون ، غير متطورين ، وقد يكونون غير مثقفين ، وقد يكونون ، وقد يكونون ؛ ولكنهم من ناحية الدين والخلق والتقاليد والمثل العليا والقيم الروحية الطيبة الرابعة « مليونيرين » ، فلاسفة ، وعباقرة : لقد تمكنوا من حل الكثير من مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية بقليل من الجهد ، وكثير من الحب ، ولو طبق ما يطبقه هؤلاء الأبناء فى قريتهم الصغيرة المتواضعة فى كثير من أرجاء العالم لسعدت الانسانية ولعاشت أكثر عصورها أمنا واستقرارا ، ان قريتنا المصرية تطبق أرقى أنواع التكافل الاجتماعى والذين عاشوا فى قريتنا المصرية — كما عشنا — أيامهم الأولى يعرفون جيدا كيف أدى هذا التكافل الاجتماعى النادر الوجود دوره فى القضاء على كثير من مشاكل قريتنا ، انهم ينفذون ذلك النوع من التكافل — الذى

لم تحدده دساتير مكتوبة ولا قرارات ، ولا تشريعات — معتمدين على الحب ، والحب وحده ؛ ولذلك فقد نجح هذا التكافل فى خلق أنواع وأنماط فريدة من العلاقات الاجتماعية ، والاقتصادية ؛ هى بلا ريب من أصفى وانقى ما عرفته البشرية من علاقات . والذين عاشوا أيامهم الأولى فى قريتنا المصرية يذكرون — مثلما نذكر — كيف يتعاون أبناء قريتنا فى الأفراح ، كل من يملك شيئا — أى شيء — يقدم الى العروسين ، أو الى أهليهما بمعنى أدق بعض ما يملك ، ليس مهما أن يكون ذلك الشيء الذى يقدمه كبيرا أو قيما ، فذلك مالا يهتم به أبناء قريتنا ، المهم أنه يقدم بعض ما يملك ، أو بعض ما يرغب فى تقديمه مشاركة للعروسين وأهليهما فى تلك المناسبة السعيدة ، قد يكون ما يقدمه مالا فى صورة « نقوط » فى مناسبة الخطوبة ، أو فى ليلة الحنة ، أو فى ليلة الدخلة ، أو فى الصباحية — اليوم التالى للزفاف — وقد يكون ما يقدمه فى صورة هدايا عينية ، كبعض السمن للاستفادة منه فى عملية « الكعك » وهى عملية ترهق الكثير من المواطنين فى قريتنا لأنها تتم بكميات ضخمة حتى يمكن توزيع « الكعك » الذى صنع بمناسبة الفرح على مجموعات كثيرة من أبناء قريتنا ، وقد يكون ما يقدمه المواطن فى صورة أرز ، أو سكر ، أو أية هدايا تفيد أهل العروسين المرهقين بكثير من الأعباء . وفى بعض الأحيان يكون بعض ما يقدم فى صور « فطير »يقدم الى أهل العريس فى اليوم التالى للزفاف أو فى صورة أطعمة أخرى لأن أهل العروس لا يجب أن يكونوا مشغولين باعداد ما يتطلبه الموقف من أطعمة .

وفى المآتم يكون التكافل الاجتماعى بصورة اكمل ، واوضح واكثر عمقا منه فى الأفراح ، حتى لا ينفق أهل الميت المال فى استئجار الكراسى اللازمة **لجلوس أبناء القرية والقرى المجاورة فى ليالى المأتم لسماع آى الذكر الحكيم كل من لديه كرسى ، أو « دكة » خشبية ، أو حصيرة يقدمه الى أهل الميت ،** وآخرون يقدمون البن حتى لا يتكلف أهل الميت شراء كميات كبيرة من البن تكفى « المعزين » ، وقبل أن يؤذن المؤذن لصلاة المغرب تجد طوابير من « الصوانى » التى تحتوى كل واحدة منها ، على بضعة أطباق فيها الطعام الذى أعدته الأسرة التى يشترك أحد أفرادها فى « الصيوان » المعد وعادة ما يكون فردا واحدا ، ولكن ما على الصينية من أطباق يكفى لاطعام خمسة أو ستة أفراد يكونون فى العادة من الضيوف الذين جاءوا لتقديم العزاء من خارج القرية ، ويتكرر ذلك طيلة الأيام الثلاثة المخصصة عادة للعزاء . كل الأسر فى القرية أو القادرين من أبنائها يتعاونون معا لاطعام أهل الميت ، وهم الذين يجب عليهم الا يضيعوا وقتهم وجهدهم ، فى اعداد أى طعام ، وكفاهم

ما نزل بهم ، ولاطعام الضيوف من المعزين ، وكذلك اطعام الفقراء والمحتاجين من أبنــاء القرية والقرى المجاورة . ففى الأفراح والمآتم لابد وأن يسعد أكبر عدد من الفقراء والمحتاجين حتى لا يبيت أحدهم فى أية ليلة من ليالى الأفراح أو المآتم جائعا ! !

وعندما تقع بهيمة فى ساقية ، أو عندما تموت بهيمة قضاء وقدرا يتعاون أبناء قريتنا فى شراء بهيمة أخرى لمن فقد بهيمته لأن البهيمة أو الماشية بالنسبة لأى فلاح من أبناء قريتنا مهمة للغاية . اذا كانت البهيمة المصــابة فى حادث تصلح للطعام ، يجتمع لفيف من أهل الحكمة فى قريتنا ويقدرون ثمن الماشية قبل أن تذبح ، ويقسمون اللحم على هيئــة أكوام ، توزع على أبنـــاء قريتنا حسب قدرتهم المادية ومن أثمان تلك الأكوام تشترى ماشية جديدة ، لمن فقد ماشيته ، وفى حالة موت الماشية دون أن تذبح ، تكون مساعدات ماليــة لشراء ماشية جديدة ولا يتضايق أبدا أحد من أبناء قريتنا ، سواء فى حالة ذبح الماشية ، أو فى حالة عدم استطاعته انقاذها بالذبح من المشاركة فى شراء ماشية جديدة ، ذلك لأنه يعرف جيدا أنه معرض لمثل تلك الحالة التى يفقد فيها الفلاح ماشيته وبالتالى فان ما يقدمه من مال فى مثل تلك المناسبة انما هو نوع من القروض التى سوف ترد له شخصيا فى أية ازمة يمر بها أو ترد لأولاده فى أى ظرف من الظروف أيضــا ، فاذا لم ترد تلك القروض لعــدم حدوث أحداث مؤسفة لهذا المواطن أو ذاك ، فان ما يقدمه من مال انما هو بمثابة زكاة عن ماله وعن أولاده .

وفى كل المواسم التى تمر بقريتنا ، حصاد القمح ، أو الأذرة ؛ تنقية دودة القطن ، جمع القطن ، رى الأرض ، نجد أبناء قريتنا ينقسمون عادة الى مجموعات متقاربة ومتحابة وهذه المجموعات ، التى لا تعتمــد على القرابة عادة وانما تعتمد على الجيرة فى المنزل أو الجيرة فى الحقل هى التى تقوم بالأعمال التى تتطلبها الزراعة ، تذهب هذه المجموعة ـ وهى من الصغار ، والكبار ـ الى حقل فلان الفلانى ، اليوم أو اليوم وغدا ، أو اليوم وغدا وبعد غد وهكذا حتى ينتهى العمل فى كل الحقــول الخاصــة بكل مجموعة ، وأحيـــانا تعتمــد كل مجموعة على الغــداء ، الذى يقدم بصورة تعاونية أيضا ، وهكذا تسير الأمور فى قريتنا التى تعتبر أسرة واحــدة لا يربطهــا الا الحب والود ، والرغبة فى اســعاد الجميع .

ومجتمع قريتنا الذى لا يعرف العيب ، يتميز بمميزات كثيرة ورائعــة بل ورائدة ، الكبير دائما يحب الصغير ، والصغير دائما يحترم الكبير ويوقره:

الجميع يلتقون حول المحبة والمودة والاخلاص ، أعرف مستشارين وموظفين كبارا من أبناء القرية المصرية كبر سنهم وارتقت وظائفهم لا يستطيع الواحد منهم أن يشعل سيجارة أو يضع ساقا على ساق ، أمام والده ، أو عمه أو من هو أكبر منه سنا من أخوته أو أصدقائه ؛ بل انه لا يوجد فى قريتنا من يركب حمارا ويمر على قوم جالسين ، انه قبل أن يصل اليهم مبالغة فى الاحترام والتوقير ينزل من على حماره ، ويسير مترجلا ليقرىء الجميع السلام ، وبعد أن يتجاوز المكان الذى يجلسون فيه يركب حماره وهكذا ، لا يجرؤ احدهم على أن يتزوج أو يزوج ابنه أو ابنته ، اذا كان أحد أبناء القرية قد أصيب بفقد أحد أقاربه ، فلابد من أن يذهب ذلك الذى يريد أن يقيم حفلة : حفلة زفاف ، أو حفلة خطوبة أو حفلة طهور أو « سبوع » ليستأذن أهل الميت حتى لو كانت الوفاة قد تمت منذ عام ، لن تجد فى قريتنا المصرية من لا يصوم رمضان ، حتى اذا وجد ــ وذلك من الأمور المستحيلة عادة ــ من يفكر فى الافطار فى رمضان فانه لا يمكن أن يعلن افطاره والا فان أبناء القرية جميعا سوف يقاطعونه ، لا يقرئونه السلام ، لا يأكلون معه على مائدة واحدة ، لا يشتركون واياه فى عمل ، لا يجرؤ أن يدخل أى منزل من منازل قريتنا .

ولو رحنا نحاول ان نفصل حياة قريتنا ، وتمسك ابنائها بالقيم والتقاليد تمسكهم بالحياة ؛ لو حاولنا ذلك لاحتجنا الى اكثر من كتاب ، فلقد تميزت قريتنا حقيقة بالكثير من الميزات الانسانية والاقتصادية والروحية ولو أن تلك الميزات طورت وعممت ، كما يجب وكما ينبغى لتحولت قريتنا ، الى جنة من الجنان : ان قريتنا ــ منذ الوف السنين ــ تعيش على الحب الصافى الأبيض النقى ، وأبناء قريتنا ــ منذ الوف السنين ــ كانوا ولا يزالون كذلك ، يتمتعون بالكثير من الخصال والميزات ، والعادات الطيبة والتقاليد الجميلة التى تعتبر بحق دعامة قوية من دعامات الحياة الطيبة .. وأبرز ما يميز قريتنا قدرتها الفائقة على أن تطبع أبناءها بما تعودت عليه ، بحيث لا يستطيع ابن القرية ــ حتى ولو أراد ــ أن يتخلص بعد تركه القرية مما تعود عليه ، لأن ما تعود عليه فى قريته قد جرى فى دمه ، واصبح التخلص مما تعود عليه ، وما آمن به من الأمور العسيرة ؛ أعرف كثيرين من أبناء قريتنا **الذين تركوا القرية المصرية ، وعاشوا فى المدينة ، أو فى مجتمعات أوروبية أو** امريكية تختلف كثيرا عن مجتمع القرية ولكنهم مع ذلك وفى حالات كثيرة ؛ ورغم الضغوط ، المفروضة عليهم من المجتمعات الغريبة عليهم ، التى يعيشون فيها ، يجدون أنفسهم ــ حتى بدون ارادة ــ يتصرفون ، فى كثير من الأمور خارج القرية كما كانوا يتصرفون داخل القرية تماما ، ذلك لأن القرية المصرية

وقد طبعتهم بطابعها الخاص ، تطل عليهم دائما ، بقيمها ومثلهـا ، وتقاليدها تلك التى تجـرى ــ حتى ولو لم يشعروا بذلك ــ فى دمائهم وتسيطر ــ ولو بصورة خفية ــ عليهم وتحاول باستمرار أن تعصمهم من كل سوء ..

فى ذلك الجو الريفى الأصـيل العميق ، النظيف الشريف ، ولد أنور السادات كما يولد الملايين من أبناء مصر ، فى كل عصر وحين .. لم يولد وفى فمه ملعقـة من ذهب ، أو فضـة ، أو نحاس ، بل ولد كمـا تولد الأغلبية الساحقة من أبناء قريتنا .. ولد فى ((قاعة)) من ((قاعات)) منازل الريف المصرى ، تلك المنازل التى لم تتطور ولم تتغير منذ أيام أجدادنا الفراعنة الى اليوم ، ولد فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ ، أى قبل أن تقوم ثورة ١٩١٩ بشهرين ونصف شهر تماما ، كما ولد فى الفترة ذاتها ، قبل ذلك التاريخ ، أو بعـده بشهور قليلة جيل جديد من أبناء مصر حمل على أكتافه أعباء ثورة ١٩٥٢ فى مرحلة من أخطر مراحل تاريخ مصر ، ولست ادرى علة لذلك التشابه الغريب الذى وقع بالنسبة لمواليد ثورتى١٨٨١ ، ١٩١٩ : ان أولئك الذين قادوا الحركة الوطنية المصرية منذ بداية القرن العشرين وأولئك الذين مهدوا ، وقادوا ثورة ١٩١٩ هم أولئك الذين ولدوا فى فترة الاعداد لثورة ١٨٨١ وفى أثنائها وبعدها بقليل ، كما أن أولئك الذين مهدوا وقادوا ثورة ١٩٥٢ قد ولدوا قبل وأثناء وبعد ثورة ١٩١٩ : هل هى المصادفة وحدها التى تؤدى الى هذا التشـابه الغريب ؟ أم أن الثورة الشعبية ، عادة تطبع أولئك الذين ولدوا فى أثنائها بطابع خاص متميز لأنهم يعيشون أيامهم الأولى فى جو ثورى حماسى يجعلهم يختلفون عن غيرهم ، لا أعتقـد أن المصـادفة يمكن أن تؤدى الى مثل ذلك التشـابه ، وأعتقد أن للجو الثورى الأصـيل ، أثاره فى طبع أولئك الذين يعيشون فيه ــ وخاصة فى أيامهم الأولى ــ بذلك الطابع ، الثورى الحقيقى.

* * *

شعرت بسعادة بالغة وأنا أستمع الى أنور السادات وهو يتحدث ، عن طفولته وشبابه ، وكنا نحن الذين ولدنا فى القرية المصرية ، وعشمنـا فيهـا طفولتنا وشبابنا ، نشعر وكأنه يتحدث بألسنتنا جميعا ، المشاعر التىأحس بها تجاه قريته هى نفس مشاعرنا ، الظروف التى أحاطت به بعد مولده ، هى نفس الظروف التى أحاطت بنـا ، **قال أنور السادات ، وهو يتحدث عن** « القاعة » ، فى البيت الريفى . « القاعة دى هى اللى فى الدور التحتانى ، من البيت ، البيت كان دورين ، دور تحتانى ، ودور فوقانى القاعة دى عبارة عن أودة مش بمعنى « الأود » اللى احنا نعرفها فى مصر لأن مالهاش شبابيك.

لها حاجة اسمها رزالة والرزالة دى فتحة فى الحيطة عشان الدخان اللى يطلع من الفرن اللى فى القاعة يتصرف ، وعملوها كده ، وهندسوها ، يمكن من أيام الفراعنة : كنا بنام فى القاعة ، فى الشتا ، لأن فيهـا فرن وأنا اتولدت فى قاعة من دول فيها فرن ، وفوق الفرن بيفرشوا لنا احنا الأولاد الصغيرين ، ينيمونا ، التدفئة من الفرن : الأولاد الصغيرين بيناموا على الفرن ، علشـان يضمنوا التدفئة فى مستوى عالى ، يعنى يعتبر مستوى أعلى شـويه من الأرض ، بتبقى مفروشة بالحصيرة وبقية أفراد العيلة الكبار بيناموا فيها . يتولع الفرن علشان يسخن ، وفى المغرب يدفى ويخلص الدخان وتفضل النار موجودة طول الليل هادية ، علشـان الصغار اللى نايمين على الفرن يتدفوا والكبار اللى على المصطبة ، هى زى المصطبة لأنها عالية عن الأرض ، وبعدين بينتفعوا من ارتفاع المصطبة دى ويحطوا تحتها الزلع ، الزلع بتاعة الميه دى هى « بنانى » للأرانب ، يعنى فى الأودة دى ، احنا الأولاد الصغار نائمين على الفرن ، ودفيانين : الكبار على المصطبة ، تحت المصطبة دى بنـانى الأرانب والأرانب فى داخلها ! كان قبل ما ينام ، بيحكوا لنا : **أول حاجـة ابتـديت أسمعها ، وأطلبها المواويل ، بلادنا هنا احتفظت بشخصيتها طول عمرها ولم تذب أبدا فى أى غازى أو محتل ، جـه غزانا ، أو احتلنـا ، اطلاقا بل على العكس ، كانوا هم يذوبوا فينـا باستمرار ، وآخرهم الأتراك ، المواويل اللى كانوا يحكوها لنا عشان ينيمونا بها موالين ، طوال : الأولانى بتاع دنشواى ، يحكى قصة دنشواى ، الشعب من نفسه خلد كفاحه ، فى موال وهذا الموال من المواويل اللى كانت والدتى ، الله يرحمها وستى : بيقولوها لنـا : الاتنين والدتى وجـدتى لا قرأوا ، ولا كتبوا لكن من اللى توارثوه عن اللى قبلهم زى شعبنا ما ورث أصالته ، كلها عبر التاريخ ، قصة كفاح شعب كاملة ، وتمثلت فى دنشواى ، القصة دى بتوصف كفاح مصر والمرارة التى تعانيها من الاحتلال الانجليزى وكفاح مصطفى كامل الشاب اللى مات وهو شاب صغير . الموال ده بيحكى تاريخ مصر ، الى اللحظة اللى أنا اتولدت فيها » .**

وكان الموال التانى الذى تأثر به أنور السادات هو موال أدهم الشرقاوى، وأدهم الشرقاوى من الشبان الذين تأثر بهم الى حد كبير جيل ثورة ١٩١٩ .

ومن الصور الحزينة التى يتألم المرء لمجرد تسجيلها ان أدهم الشرقاوى الذى جعل الشعب من قصته أسطورة وطنية تغنى فى المحافل الشعبية : فى الأسـواق والموالد ، والأفراح وغيرها من التجمعات الشـعبية ، وترددها الأمهات والجدات على مسامع أبنائهم وأحفادهم هذه القصة تحولت عند صحافتنا الى قصة أخرى : قصة تختلف تمام الاختلاف عن القصة الحقيقية ،

وأعتذر للقارىء اذا عدت به الى الوراء سنوات وسنوات ، لأنقل له بعض ما كتبته صحافتنا عن أدهم الشرقاوى عند مصرعه ، قالت مجلة اللطائف المصورة فى عددها الصادر فى ٣١ أكتوبر ١٩٢١ تحت عنوان : « مصرع الشقى أدهم الشرقاوى » « وحكاياته الكثيرة » : نشرنا فى عدد سابق صور المجرمين الأشقياء ، الشويعى ، وعبد الحليم صالح ، وقد رأينا اليوم أن ننشر صورة المجرم الأكبر والشقى الطاغية أدهم الشرقاوى ، بعد أن طارده رجال الضبط والبوليس واصطادوه فأراحوا البلاد من شروره وجرائمه ، ولد أدهم عبد الحليم الشرقاوى ، بناحية زبيدة من بلاد مركز ايتاى ، فأرسله والده، الى المدارس الابتدائية حتى اتم دروس السنة الرابعة ، وبعدها ، أخرجه والده من المدارس لما ظهر انه لا يميل الى تلقى العلوم وكان ميالا بطبيعته لمعاكسة التلاميذ وضربهم والتعدى على من يرتكب معه أى شىء بسيط ، وفى سنة ١٩١٧ ارتكب حادثة قتل وكان عمه عمدة زبيدة أحد شهود الاثبات ، ولما مثل أمام محكمة الجنايات وسمع أحد الشهود ، يشهد لغير صالحه هجم على أحد العساكر الموجودين فى المحكمة بقصد نزع « سنجته » لضرب الشاهد بها وأخيرا حكمت عليه المحكمة بالسجن سبع سنوات فأرسل الى ليمان طرة ، وبينما كان سجينا يشتغل فى قطع الأحجار تعرف بأحد الأشقياء المسجونين فدار بينهما حديث علم أدهم فيه بأن هذا السجين هو القاتل لأحد أعمامه وانه لم يقبض عليه فى هذه الحادثة لأنه لم يعرف مرتكبها الحقيقى فلما علم منه ذلك ، غافله ذات يوم ، وضربه بهراوة على رأسه ، ضربة قضت عليه فضبطت الواقعة ، وحكم على أدهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، غير أنه هرب ، من السجن أثناء اضطرابات سنة ١٩١٩ فحضر لناحية بلده ، خفية ، وانضم اليه كثير من الأشقياء أمثاله فصار يرتكب الجرائم العديدة ، وكان همه أن يقتل عمه عبد المجيد بك الشرقاوى عمدة زبيدة لأنه كان أهم شاهد فى الحادثة الأولى ، التى سجن من أجلها ، مدة سبع سنوات فكان الشقى يختفى فى غيطان الذرة فى طريق عمه ، ولكن عمه كان أكثر حظا فانه لم يمكن الشقى من تنفيذ غرضه فلما أعيته الحيل صار يرتكب الحوادث ، المخلة بالأمن من قتل وسطو ، ونهب ، فى ناحية زبيدة حتى يكون ذلك مدعاة لرفت عمه من العمدية فلم يفلح أيضا ، وأخيرا عندما كبرت عصابته صار يستأجر لارتكاب جريمة القتل مقابل ثمن قليل من المال ، فقتل الكثيرين ومن بينهم أحد الخفراء النظاميين بعزبة خلجان سلامة وشقيقه الشيخ يوسف أبو مندور من أعيان المركز وآخرين وبعد ذلك صار يهدد العمد والأعيان بدفع مبالغ طائلة محافظة على أرواحهم فكانوا يدفعون له ما يطلب خوفا من بطشه ، وزملائه ، وأخيرا بينما كان المدعو الشيخ

حسين الشيوى وهو من أعيان ناحية كفر خليفة جالسا أمام منزله ، مع خمسة من أصدقائه يتحادثون والبعض يلعبون الطاولة هجم عليهم أدهم فى الساعة العاشرة من صبيحة يوم من الأيام وكان معه احد أعوانه ؛ وكانا ملثمين ، فصرخ فيهم أدهم وسدد الثانى بندقيته الى الحاضرين فهربوا وما كان من أدهم الا أن أطلق الرصاص بكل جرأة على طريده وهو الشيخ حسين فأرداه قتيلا فدب الرعب فى قلوب الأهالى وصار يسطو على التجار على قارعة الطريق ، نهارا يسلب محافظهم بما فيها من النقود وكل ما وصلت اليه يده ولما صارت الحالة مرعبة اهتمت الحكومة اهتماما كبيرا جدا فأكثرت من قوتها بالبلاد ، ودورياتها وأخيرا تخاصم أدهم مع أحد أقاربه وهو خفير عزبة لأحد أقاربه فدل البوليس على محل وجوده وكان فى المدة الأخيرة قد تركه أعوانه خوفا على حياتهم من مطاردة الحكومة لهم ، غير أن أدهم لم يخف ذلك فصار ينتقل بين مراكز ايتاى البارود وكوم حمادة والدلنجات وأخيرا أوفد له ملاحظ بوليس التوفيقية أحد الجاويشية المدعو محمد خليل ومعه أونباشى سودانى وأحد الخفراء فكمنوا له ، فى الغيطان بزمام عزبة جلال تبع ناحية قليشان ، وبارشاد محمد أبو العلا ، الذى تخاصم معه استولوا على محل وجوده بمحل زراعة قطن ، وكان عازما على تناول طعامه ، الذى أحضرته امرأة ولم يكن يغازلها كما جاء ببعض الجرائد لأنها امرأة عجوز وكان يخفره أحد الخفراء النظاميين فلما سمع أدهم حركة بين عيدان الذرة القريبة منه هم يدافع عن نفسه فأطلق عدة طلقات ولكن الجاويش محمد خليل ، أطلق عليه رصاصتين اردتاه قتيلا على الأرض قبل ان يأكل شيئا من طعامه ، وكان مسلحا ببندقية موزر ، وخنجر ومعه نحو المائة طلقة ، وهذا الشقى يزيد فى العمر على الثالثة والعشرين ولم يكن قوى العضلات ، بدرجة تمكنه من ارتكاب هذه الجرائم ولكن كان من أجرأ اللصوص والقتلة فلا يبالى بالحكومة ولا ببطشها » وتنهى الصحيفة موضوعها ، عن أدهم الشرقاوى بقولها ، صورة بعد وفاته بخمس وعشرين ساعة تقريبا ، صورها مصوراتى البحيرة الخواجة فؤاد نجم بدمنهور :

كان هذا ما جاء عن ادهم الشرقاوى فى احدى صحفنا المصرية أما ما جاء على لسان الشعب فكان يختلف اختلافا كثيرا كالاختلاف بين السماء والأرض ، والجنة والنار عما قاله الشعب فى أدهم .

منين أجيب ناس لمعنـــات الـكلام يتـلوه
شــــبه المؤيد اذا حفظ العـلوم ، وتـلوه
كلام ومطلوب عشـــان الأعيـــان راح أقوله
خايف نقــوله : تقــولوا مش معقــوله ،
رواية عن شاب شملول وسيفه ع العدا جاوى
الاســـم أدهـم لــكن النقب شرجـاوى
الولد كان بالمدرســة عنده من السن تلاتاشر
وتنه فى المدرسة لما بلغ من السن سبعتاشر
يا عينى على اللى جــرى للســبع يا عينى
من يومه مظـــلوم ومثـــله ما رأت عينى
اشـــمعنى هـــو اللى بين زمـلاه بالعينى
فى المدرســة يترفد علمـــا بأنه نبيـــه
د نبيـــه أتى لــه بشرع العـــين بالعينى

ويقول أنور الســادات عن هذين الموالين : زهران ، وأدهم الشرقاوى : الشعب كله كان بيخلد البطولة وبيخلد رفضــه للاستعمار ، وكان تخليده للبطولة ورفضــه للاستعمار يتم بأســلوب بسيط ، وعلى شــكل مواويل ولا يتصور أحد مبلغ سعادتنا ، بتلك المواويل التى كنا نسمعها ، لقد كنــا نتصور زهران البطل ومصطفى كامل وأدهم الشرقاوى ، ومن هنا بدأت أدرك لأول مرة اننا نعانى من شيء اسمه ، الانجليز ، وأن فى بلدنا شيئا يسمى الاحتلال ، الذى شنق أقاربنا ، وأهالينا فى دنشواى ، التى لا تبعد كثيرا عن قريتنا .

وقد تأثر أنور السادات الى أبعد الحدود ، بجدته التى كانت تروى له تلك المواويل والتى كانت تحبوه برعاية خاصة. وما أكثر ما تحدث السادات عن جدته ، لابيه وعن شخصيتها القوية ، التى ساهمت فى نمو مداركه طفلا ، وصــــبيا ، ويافعا ، وشابا . وكانت جدة السادات هى التى ترعى أموره خلال الفترة التى قضاها والده فى السودان . كانت هى التى تتولى أمره واننى ــ هكذا قال السادات ــ أعتز بها جدا جدا ، واذا كنت قد تعلمت شيئا فانما قد تعلمته منها ، لقد توفيت رحمها الله عن تسعين سنة ، كانت أمية لا تقرأ ، ولا تكتب شأنها فى ذلك شأن كل الذين يعيشون فى قريتنا ، ولكن حكمة ، وثقافة التجربة ، والتراث الطويل لهذا الشعب الذى يعود ، الى سبعةآلاف سنة كان فى جدتى . وكما قلت باستمرار فاننى اذا كنت قد استفدت شيئا فى حياتى فانى استفدته من جدتى تلك التى كانت تقوم بدور رأس العائلة ، فعلا كانت رأس العائلة فى البلد وكانت هى التى تتولى كل أمورنا .

صورة نادرة لأدهم الشرقاوى بعد مصرعه بخمسة وعشرين ساعة

ويتحدث السادات ذات مرة عن جـــدته التى علمته كل شيء ، ولم تبخل على عقله وروحه بأى شيء . فقال : تركنى والدى انا وأخى الأكبر فى رعاية جدتى لأنه كان يعمل موظفا بالسودان ، وكانت جدتى رحمهـــا الله لا تتولى أمرى أنا وأخى فقط ، وانما كانت أيضا تقوم على أمر العائلة بأكملها ، وعلى زراعة المساحة الصغيرة من الأرض التى تمتلكها العائلة ولقد كانت رحمها الله أمية لا تقرأ ولا تكتب ومع ذلك فقد كانت ذات فطرة واعية وذكاء وشخصية قلما يجدها الانسان اليوم فيمن تعلموا وإتثقفوا أحسن الثقافات لقد كانت الحياة هى المدرسة التى تلقت عليها جدتى الثقـــافة ؛ لذلك كانت تصرفاتها كلها سديدة فلا عجب ان كنت أرى الرجال يقصدونها للنصيحة والرأى وهى فى كل ما تشير أو تنصح رزينة الحجة ، ثاقبة البصر ، تعرف للنفس البشرية ضعفها ، وتلتمس الخير والوفاق ، فى حماس يدخل الدفء الى قلوب أهل القرية السذج الطيبين واحاديثها لم تكن للتسلية وانما كانت دروسا وعبرا ، أول ما حدثتنى كان عن عمها الذى كان ضابطا فى الجيش المصرى ، أيام ثورة عرابى ١٨٨٢ التى انتهت بالاحتلال البريطانى لمصر ، فى تلك السنة : اننى اذكر كيف كانت تحكى لى وفى عينيها بريق وحماس عجيبان فقد فوجئت القرية الوادعة فى يوم بدخول فارس على جواد ، يركض فى سرعة رهيبة ثم لم يلبث أن احتوته القرية ، وكان الناس وقتذاك مفتونين بعرابى ذلك الضابط المصرى الفلاح ، الذى تحدى الخديوى التركى من أجل الضباط المصريين ، ثم من أجل اقامة حياة ديمقراطية يتولى فيها الشعب اموره بنفســه وكانت دعواتهم له بالنجاح حارة ، ومن كل قلوبهم خاصـــة وانهم عرفوا أن الخديوى الخائن ، قد استنجد بالانجليز الأجانب ؟ وحين دخل هذا الفارس فى سرعة رهيبة اندفعت الجموع من خلفه ، خاصة وانه كان يرتدى ملابس الضباط ، وكانوا جميعا فى شوق الى سماع الأنباء عن جيشهم الذى يحارب من أجلهم وعن عرابى بطلهم وأخذوا يندفعون من شارع الى عطفة ومن عطفة الى حارة ، وراء ذلك الفارس الجامح ، وفى كل لحظة ينضم اليهم فوج جديد بحماس جديد الى أن فوجيء هذا الجمع بالحصان والفارس وقد سقطا على الارض فى منعطف ضيق ، وكان الحصان من فرط لهثه وتعبه يرقد ممددا على الأرض ؛ والفارس ملقى الى جواره ودماؤه تنزف بغزارة ، وعلى الفور تعرف الناس على الضابط الفارس وهو ابن بلدهم ، وقد كان على قيد خطوات من منزله ، فنقلوه اليه أما الحصان فلم يلبث ان مات بعد دقائق قليلة ، كان الفارس كما روت جدتى هو عمها ، الذى كان يعمل ضابطا فى سلاح الفرسان فى الجيش المصرى ، وقد روى للاهل والاصدقاء قصته بعد أن ضمدوا له جراحه ، ورشوا وجهه بالماء ، وكانت قصته هى قصة

الجيش المصرى ، الذى قاتل فى الاسكندرية وكفر الدوار سنة ١٨٨٢ بقيادة أحمد عرابى وضد الغزاة الانجليز . وعندئذ تحولوا الى قناة السويس فدخلوا فيها بالتآمر مع القصر وديلسبس وتسللوا بالخيانة والغدر الى مصر فى الوقت الذى كان فيه ديلسبس يطمئن فيه عرابى بأن القناة لن تستخدم فى غزو مصر . مما جعل عرابى يعدل ، عن تعطيلها احتراما لكلمة ذلك الافاق ..

ذلك بعض ما قاله أنور السادات عن جدته وما قاله عن هذه الجدة كثير ، وكثير ، ذلك لانها هى التى تولت أمره فى أخطر مرحلة من مراحل تكوينه ، تلك المرحلة التى بدأت بعد أن دخل الكتاب ، الى بداية المرحلة التى انتقل فيها من مدرسة طوخ الى القاهرة ليكمل تعليمه ، **وعن تلك المرحلة يقول أنور السادات :**

نشأت من أسرة متواضعة جدا فى دخلها ، كان والدى ـ رحمه الله ـ يخدم فى السودان مع الجيش المصرى **وبعد أن مرت مرحلة الطفولة كأى طفل ينشأ فى القرية بدأت مرحلة التعليم فى الكتاب** ، كان على أن ادخل كتاب القرية وفعلا دخلت كتاب القرية لأتعلم القراءة والكتابة ، وكان العريف فى ذلك الكتاب الشيخ عبد الحميد عيسى ، وكان يمثل بالنسبة لنا الرهبة كل الرهبة ، لم يكن فى القرية ورق للكتابة ، فلم تكن قريتنا قد عرفت الورق وقتئذ ، كنا نكتب على لوح من الصفيح ، نشتريه ، ومعه دواية حبر ، ليس مستوردا ، وانما كنا نشتريهمن طنطا ، أو من تلا ، وكانت اداة الكتابة عبارة عن قلم من البسط ـ نوع من البوص رفيع جدا ـ **وبعد أن بدأت أتعلم القراءة والكتابة بدأ العريف فى تحفيظنا القرآن الكريم :** أولا جزء عم ، ثم جزء تبارك وهكذا حتى بقية الأجزاء حتى نكمل القرآن الكريم ، كنا نكتب كل يوم على لوح من الصفيح بالقلم البسط ، ما هو مقرر علينا حتى نحفظه ، ونجىء فى اليوم التالى ، لنتلوه على مسامع العريف ، وكانت لحظات التسميع تمثل الرهبة الشديدة ونحن أمام العريف ، فالى جانب العريف ، الفلكة ، والفلكة عبارة عن لوح من جريد النخل ، مشققة حتى تعطى صوتا ، أثناء عملية الضرب ، كنا نخاف دائما من الفلكة ، ونحن نردد ما حفظنا ؛ ذلك الذى حفظ ما هو مطلوب منه ، وذلك الذى لم يحفظ . وكان تشكيل آيات القرآن مهم جدا ، ولم يكن سيدنا يسمح اطلاقا بأى غلط فى التشكيل لأن هذا الغلط يغير المعنى فى بعض الأحيان ولم نكن نعرف ذلك ، كل الذى نعرفه أن سيدنا كان رهيبا وأنه عندما كنا نجلس أمامه ، لابد وان نؤدى القراءة بالضبط ، بالتشكيل المضبوط » ؛ **وينتقل أنور السادات الى مرحلة أخرى من مراحل تعليمه** ، وهى المرحلة التى انتقل فيها الى طوخ دلكة فيقول : جاءت المرحلة

التى يجب ــ كما قالت جدتى ــ أن انتقل فيها من الكتاب ، **من عادتنا فى الريف أن نتجه فى تعليمنا الى القاهرة ، ندخل الكتاب ، نحفظ القرآن ، نتاهب لدخول الأزهر** ، بعد حفظ القرآن الكريم ، فحفظ القرآن هو الخطوة الأولى للالتحاق بالأزهر ، **ذلك ما كان يجرى عليه الحال فى قريتنا ، أما التعليم العام ، بشكله الحالى فيكاد يكون معدوما وقتئذ ، فى قريتنا : قررت جدتى أن تنقلنى من الكتاب الذى يؤهل للتعليم بالأزهر ، الى المدرسة التى تؤهل للتعليم العام** حتى أستطيع أن أكمل جميع مراحله ، **لم يكن موجودا فى قريتنا غير الكتاب ، لم تكن توجد وقتئذ مدرسة كما هو الحال الآن** ، حيث يوجد بقريتنا مدرستين واحدة أبتدائية وواحدة اعدادية ، بالرغم من أن تعداد القرية لا يتجاوز الألفين وخمسمائة نسمة ، لم يكن فى قريتنا الى ما قبل ثورة ١٩٥٢ مدرسة واحدة ، **كانت توجد الى جانب قريتنا بلد اسمه طوخ دلكة على بعد كيلو متر واحد ، من القرية كان فيها مدرسة اسمها مدرسة الأقباط لأنها ملحقة بدير الأقباط فى طوخ دلكه** وكنت أذهب الى مدرسة طوخ دلكه على قدمى حيث لم تكن توجد مواصلات بالنسبة لنا ، وقد بقيت فى تلك المدرسة الى أن أكملت السادسة من عمرى » . **واذا كان أنور السادات قد انتقل من القرية الى المدينة الا أنه ظل مرتبطا الى اليوم بالقرية ، القرية التى هى عبارة عن عائلة واحدة** ، يحصل فيها خلافات ولكن الكل ملزم بتقاليد العائلة ، فمجتمع القرية هو مجتمع التكافل والتضامن وتقاليد القرية هذه ليست مكتوبة لا فى قانون ولا فى دستور ولا فى أى حاجة وانما أصالة هذا الشعب وتاريخه الطويل والعلاقات التى نشأت نتيجة لحضارة ٧ آلاف سنة ، كل ذلك كما يقول أنور السادات جعل مجتمع القرية المصرية ، يبقى على هذه الصورة ، وهو الذى لازمنى طول حياتى . لأن السنوات الست ، الأولى التى تفتحت فيها مداركى عشت هذه الحياة بكل ما فيها ؛ بكل طبيعتها بكل المعانى التى فيها : أعرف أن فيه حاجة اسمها العيب واننا يجب ألا نفعل العيب ، أعرف أيضا ان الامتياز فى القرية ليس للغنى ولا للحسب ، وانما الامتياز فى هذه القرية لمن يلتزم بقيم ومبادىء هذا المجتمع وهذه العائلة ، الذى يلتزم بذلك كله يعتبر أنه رجلا . . رجلا طيبا ، يحترمه الجميع ، يلجأون اليه فى حل مشاكلهم . . مجتمع هذه القرية وهذه العائلة الواحدة بقيمها ومثلها ، يحكمه شىء كبير جدا ، الايمان ، الايمان بالله الايمان بأن فى هذه الحياة اله ينظم لنا حياتنا ، **ويوزع الأرزاق فيما بيننا ، هو الذى**

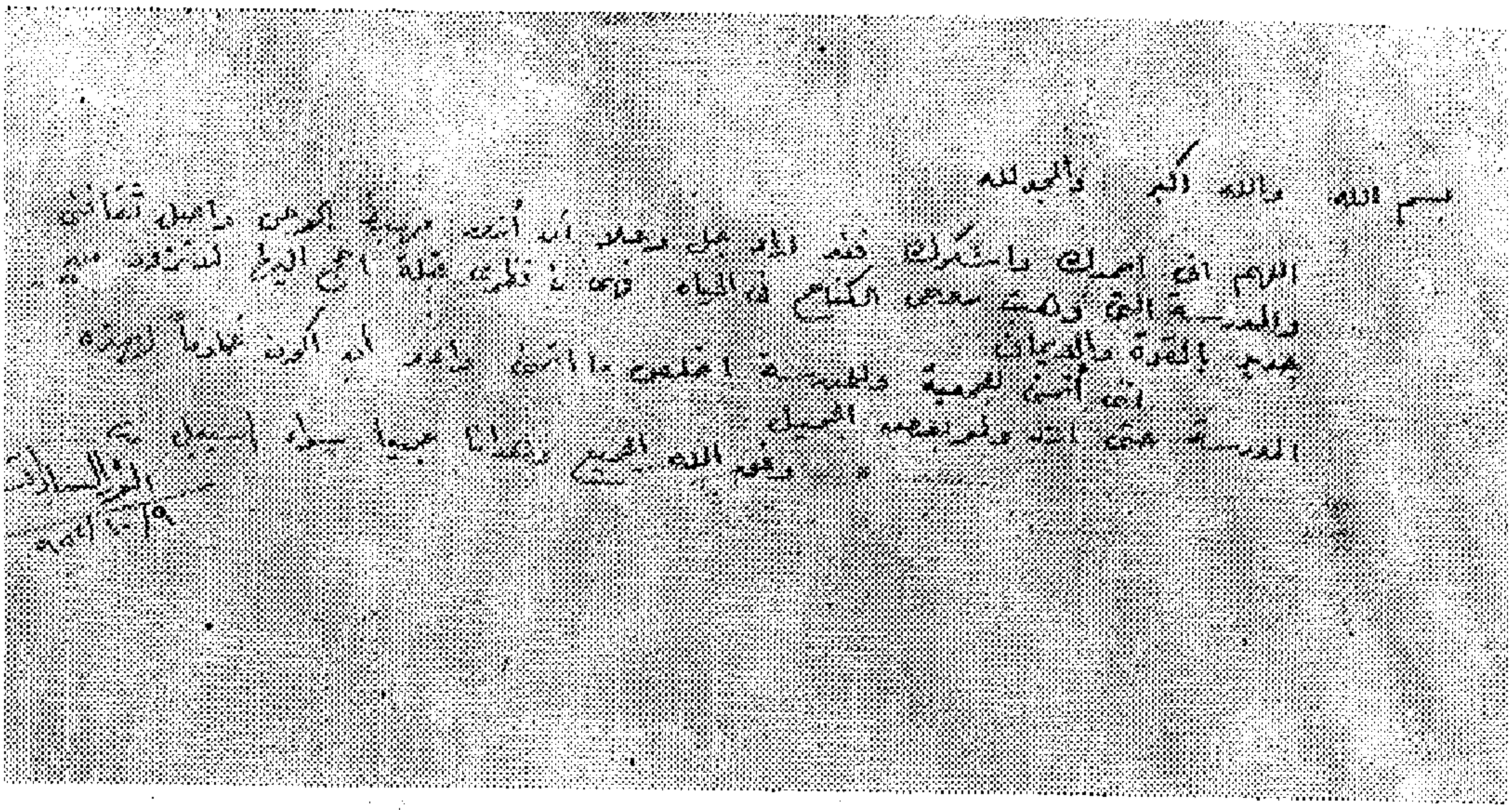
بسم الله والله اكبر والحمد لله

أنور السادات

■ أنور السادات يحى مدرسة قريته ، وجمعيتها ، انه يتزود من قريته دائما بالقوة والايمان■

ينبت الحب الذى نضعه فى الارض ، ونرويه حتى ينبت . وعندما يصاب أى فلاح يقول : « هذا قدر الله وهـذه ارادة الله » ، ويتقبل كل ما يصاب به بنفس راضية ؛ لقد نشأت فى هـذه القيم ، وفى هذه المعـانى وفى هذه العائلة الواحدة وعندما انتقلت الى المدينـة وجدت اختلافا كبيرا . سوق لا احـد يعرف الآخر .. ولكنى تمسكت بتقاليـد الأسرة فى القرية وبدأ احســاسى بالتفوق على كل الذين فى المدينة ؛ لأن لى أصلا فى القرية ، ولى قيم وتقاليـد لا توجد فى المدينة ؛ شعرت بالتفوق وأنا فى القاهرة . ان لى قيما ، ولى عائلة ، ولى دار فى القرية .. دار نفخر بها كما يفخر أى واحـد فى القاهرة بداره .. كل هذا عاش معى فى جميع مراحل حياتى وكنت فى اللحظات الصعبة أجـد الخاطر الجميل الذى يغمرنى بالسعادة والسلام ، والصفاء ، هو أن أرجـع للقرية وذكريات القرية » .

وينتقل أنور السادات من القرية الى المدينة .. فى القاهرة فى المنزل رقم ١٨٣ شارع القائدبكوبرى القبة يبدأ أنور السادات مرحلة جديدة وهامة من مراحل حياته ، كان والده قد عاد من السودان اذ طرد الجيش المصرى من السودان بعد حادث مقتل السير لى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان ، وفى ذلك المنزل الهادىء البسيط وجد أنور الســادات صورة كبيرة معلقة فى الصالة ، لم تكن الصورة صورة الملك فؤاد التى كان يعلقها الكثيرون ، وانما كانت لرجل آخر ليس مصريا .. انها صورة مصطفى كمال أتاتورك ؛ ويسأل الطفل الصغير أنور السادات عن صاحب تلك الصورة

التى تحتل المكانة الأولى فى بيته ، وكان أنور السادات عندما توجه بذلك السؤال كانت لديه خلفية كبيرة عن كثير من الأمور التى كان يسمعها من جدته ومن أقربائه فى القرية ، عن تلك الأحداث التى وقعت فى دنشواى ، وفى غيرها من القرى المصرية والتى كانت تلقى عليه فى صورة مواويل مشوقة ، جذابة ؛ ويقول له والده ان الصورة لكمال أتاتورك ذلك البطل الاسلامى الذى قام بثورة كبيرة ناجحة ضد الاحتلال الأجنبى لبلاده والذى قام بطرد تلك القوات وتحرير بلده ؛ ولأن والد أنور السادات يحب كمال أتاتورك ويرى فيه قدوة طيبة للثائر المسلم ، فقد كان باستمرار مع أولاده دائم الحديث عن كمال أتاتورك ، وقد بلغ من حب والد أنور السادات لكمال أتاتورك واعجابه به ، أن أطلق أسماء أصحابه وزملائه الذين شاركوه كفاحه ، ونضاله على أولاده .. طلعت ، وعصمت ، وأنور ؛ ولم يكن والد أنور السادات فى حبه لمصطفى كمال الا صورة من صور الشعب المصرى الذى كان بدوره يحب مصطفى كمال ، ويعجب به ، كان شعب مصر كله يتتبع أنباء انتصارات مصطفى كمال كل يوم ، بشغف ، ما بعده شغف ، وكان يسعد بتحقيق تلك الانتصارات وكأنه هو الذى يقوم بتحقيقها ، كانت صور أتاتورك ورفاقه ؛ أنور ، وعصمت ، وطلعت ، تزين كل بيت ، كما كانت تحتل اخبار انتصاراته اليومية يوميا الصدارة فى الصحف المصرية **فان الثورة الكمالية ـ كما كانوا يطلقون عليها ـ كانت الغذاء الشعبى ، لشعب مصر ،وبدأالشعراء،والزجالون والروائيون يقدمون الثورة الكمالية للجماهير ، فى صور قصائد ، وروايات** ومن تلك الروايات التى كانت تنشر على حلقات فى الصحف المصرية كل يوم رواية « تحت راية مصطفى كمال » و «حسناءالأناضول» لفؤاد حداد ، وكانت شوارع مصر ، تمتلىء بصور كمال أتاتورك ورفاقه ، وخاصة صورة مصطفى كمال وهو جالس الى مكتبه والقلم فى يده يكتب بعض الرسائل الهامة ، ويدير **شئون الحكومة الوطنية التى يرأسها وقد ظهرت ـ فى الصورة ـ لافتة كبيرة كتبت عليها بعض ايات الذكر الحكيم ، ومنها قوله تعالى : « نصر من الله وفتح قريب » وكذلك صورة مصطفى كمال اتاتورك بالملابس البدوية عندما كان يحارب فى برقة وكذلك صورته مع اركان حربه عصمت باشا ،** وكانت أزجال يونس القاضى ، وبديع خيرى وغيرهما ، من كبار الزجالين تطبع وتنشر على الجماهير بصورة مستقلة ، ليسهل توزيعها ؛ أما قصائد الشعراء فقد كانت الصحف تتسابق ، لنشرها ، وفى مقدمتها قصائد **أحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ، ونسيم ، وغيرهم ، وغيرهم ، وكان أبرز تلك القصائد ، قصيدة شوقى التى يقول فيها :**

الله اكبركم فى الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب

وكنموذج لاهتمام الشعب بكل ما كان يكتب عن مصطفى كمال أتاتورك استسمح القارىء ، فى أن انقل له اعلانا عن كتاب عن الغازى اتاتورك نشر فى أكتوبر ١٩٢٢ وكان واحدا من عشرات الكتب التى صدرت عن أتاتورك والاعلان نفسه يؤكد ، اهتمام الجماهير بشخصية أتاتورك ، جاء فى الاعلان :
هل تريد أن تحفظ ذكرى الغازى مصطفى كمال بطل الشرق والاسلام ؟ ..
هل تريد أن تطلع على تاريخ حياته بالتطويل ، وتعرف من هو بطل الحركة الوطنية ، فى الأناضول ؟.. هل تريد أن تقرأ أوصاف بطل الشرق والاسلام واخلاقه واراءه وأقوال الناس فيه ؟ هل تريد ان تتبع مسألة الاناضول أم المسائل ، الشرقية ، وان تعرف اليد البيضاء التى لمصطفى فيها ؟ هل تريد أن تجمع فى سفر واحد ، خطب مصطفى كمال باشا الحماسية ، الوطنية وتفاصيل المفاوضات السياسية ووصف المعارك الحربية ؟ هل .. هل ؟..
كل هذا تجده فى سيرة مصطفى كمال ، كتاب غلافه مزين بصور دولة الغازى والعلم العثمانى بالألوان ، الجديدة » والذى أستطيع أن أقوله بايجاز شديد ان أنور السادات قد تأثر فى حياته الأولى بشخصية مصطفى كمال أتاتورك كزعيم اسلامى حرر بلاده من الاحتلال الاجنبى ، اثرت شخصية كمال اتاتورك فى أنور السادات ، وفى كثير من مقالات أنور السادات وكتبه يشير أنور السادات الى الثورة الكمالية والى بعض الدروس المستفادة من تلك الثورة ومن تاريخ حياة مصطفى كمال اتاتورك .. بل اننى لاحظت فى بعض المقالات والكتب . ان أنور السادات يريد ــ فيما كتبه ــ أن تتجنب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المزالق التى انزلقت اليها ثورة مصطفى كمال أتاتورك مما يؤكد أن أنور السادات فى مرحلة الشباب قد درس شخصية مصطفى كمال دارسة وافية ، وحتى نعطى القارىء فكرة عن مصطفى كمال اتاتورك الذى أثر فى حياة أنور السادات وخاصة فى مرحلة تكوين تفكيره الوطنى اشير الى كتاب « مصطفى كمال المثل الأعلى » ، الذى كتبه الكاتب الالمانى المعروف داجوبرت فون ميكوس ، لقد أشار الكاتب الى دور مصطفى كمال أتاتورك فى حرب طرابلس والى سفر مصطفى كمال ورفاقه الى طرابلس عن طريق مصر ، وكانت مصر ، وقتئذ محتلة بالقوات البريطانية ، وكانت بريطانيا بالنسبة للحرب الطرابلسية الايطالية، تحاول أن تتظاهر ــ كسبا لود ايطاليا ــ بالحياد ، والى أن انجلترا قد وضعت التدابير لمنع مصطفى كمال أتاتورك ورفاقه من دخول مصر كما يشير مؤلف الكتاب ايضا الى أن مصطفى كمال ورفاقه كانوا متنكرين فى ثياب بدوية والى أن مصطفى كمال قد استطاع

الافلات من أيدى القوات البريطانية بفضل مساعدة المصريين ، له ولرفاقه ذلك لأن المصريين ـ كما قال الكاتب الألمانى ، « كانوا يعطفون على الأتراك خاصا » ، ويشير الكاتب الألمانى ـ داجوبرت فون ميكوس ـ الى اليأس الذى استولى على مصطفى كمال فى طرابلس ويقينه بأنه عاجز عن أن يفعل شيئا فى طرابلس بسبب المؤامرات ، التى تحاك ضده من القيادات التركية ، ويشير الكاتب الألمانى الى ما قاله مصطفى كمال أتاتورك لرفاقه : فى الوقت الذى تعلنون فيه انضمامكم للثورة لا يحق لأى منكم ، الفرار من التبعة أو التهرب من المسئولية ! اذا لم أكن انا الرجل الذى ترتاحون الى مقدرته ففى وسعكم اختيار من هو أصلح منى ، وأقدر على تحمل المسئولية وسواء وقع اختياركم على أو لم يقع فمن الضرورى ان تفهموا أن البلاد فى أشد الاحتياج الى رجل واحد يدير دفة شئونها وينظم أمورها ويقود الشعب للحرية والاستقلال » .

وقد أعطى مصطفى كمال انصاره الوقت الكافى للتفكير ، وللتدبر ، وكانت **الثقة وكان النصر ..**

وحتى تكون الصورة مكتملة للظروف السياسية التى أثرت فى أنور السادات سواء عندما كان فى القرية أو عندما انتقل الى المدينة ، **لا بد من أن نشير الى الحركة الوطنية السودانية التى كانت تسير ، والحركة الوطنية المصرية فى خط واحد** ، وكان والد أنور السادات يقيم وقتئذ فى السودان ، وكان له من أصدقائه المصريين والسودانيين كثيرون يترددون على منزله ، بعد أن أجبر الجيش المصرى على الجلاء عن السودان : كان هؤلاء المصريون والسودانيون الذين يترددون على والد أنور السادات فى بيته فى القبة دائمى الحديث عن تلك الحركة الوطنية المصرية السودانية وعلى ضوء دراستى للرئيس السادات ولتاريخه ، وتفكيره الوطنى وخاصة فى مرحلة الشباب أستطيع أن أقول انطلاقا من تلك الدراسة ان أنور السادات قد تأثر فى مرحلة الشباب ، الى حد كبير بما كان يجرى فى السودان وعلاقة أنور السادات بالسودان ـ كما صرح أكثر من مرة فى زياراته للسودان ـ علاقة قوية ومتينة ، بحيث انه يعتبر نفسه سودانيا ، كما هو مصرى .

تأثرت الحركة الوطنية السودانية الى أبعد الحدود بثورة ١٩١٩ وكان أول صوت ارتفع فى السودان صوت الضابط على عبد اللطيف الذى نادى بوحدة مصر والسودان ، كما نادى بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان ، وقد قدم على عبد اللطيف ورفاقه الى المحاكمة أكثر من مرة ، وكان نصيبهم السجن والاعتقال لأن الاحتلال البريطانى كان باستمرار يعمل على تقطيع أوصال الحركة الوطنية المصرية السودانية كما كان يعمل باستمرار

على القضاء على كل عمل وطنى . وقد حاول الاستعمار البريطانى أن يفتعل العديد من المظاهرات التى تؤيده وكلها مظاهرات لا أساس لها من الصحة ، وكانت الخلافات بين السلطات المصرية والبريطانية وخاصة بعد مجىء وزارة سعد زغلول اثر أول انتخابات شعبية ديمقراطية، كانت تلك الخلافات تتردد آثارها فى مجلس النواب ومجلس الشيوخ فى مصر ، كما تتردد فى مجلس العموم ، واللوردات ، البريطانيين ، **كان الساسة المصريون يعلنون تأييدهم للحركة الوطنيـــة السودانية ، وكان الساسة البريطانيون يعلنون عزمهم الأكيد على ابقـــاء الأوضاع كما هى عليه فى السودان بحيث يكون الوجود المصرى فى السودان وجودا صوريا . ويكون الوجود البريطانى فى السودان ، هو الذى يملك فى يده كل السلطات ، ثم كان حادث مقتل السير لى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان** حيث انتهزت بريطانيا الفرصة لقطع أوصال مصر بالسودان : لقد وقع الحادث فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ بأيدى مجموعة من الشباب الوطنى ، من بينهم محمود اسماعيل وابراهيم موسى والاخوين عبد الحميد وعبد الفتاح عنايت و . و . **واتجه التحقيق فى البداية الى أن الذين قاموا بهذا الحادث مصريون وسودانيون معـا أرادوا الاحتجاج على موقف سردار الجيش المصرى والحاكم العام فى السودان من الحركة الوطنية السودانية** ؛ وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ وجهت الحكومة البريطانيـة العـديد من الانذارات الى الحكومة المصرية وكان فى مقـدمة تلك الانذارات أن تقـدم الحكومة المصرية اعتذارا كافيا ،عن الجناية وان تتبع الحكومة المصرية الجناة وان تنزل بهم ــ أيا كانوا ومهما كانت سنهم ــ أشد العقوبات وان تمنع من الآن فصاعدا وتقمع بشدة كل مظاهرة شعبية سياسية وأن تدفع فى الحال الى حكومة حضرة صاحب الجلالة غرامة قدرها نصف مليون جنيه وان تصدر الحكومة المصرية فى خلال اربع وعشرين ساعة الأوامر بارجاع جميع الضباط ، المصريين ووحدات الجيش المصرى من السودان مع ما ينشأ عن ذلك من التعديلات التى ستعين فيما بعد ، وان تبلغ المصلحة المختصة أن حكومة السودان ، ستزيد مساحة الاطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠٫٠٠٠ فدان الى مقـــدار غير محدد تبعا لما تقتضيه الحاجـة وان تعـــدل عن كل معارضة لرغبات حكومة حضرة صاحب الجلالة على الفور ، وتتوالى انذارات أخرى وتحاول حكومة سعد زغلول قبول بعض الانذارات ومعارضة بعض الانذارات الأخرى ولكن بريطانيا كانت قد وضعت خطتهـا ، لتنفيـذ تلك الانذارات بل أن بعض الكتاب البريطانيين وطبقا لما جاء فى بعض الوثائق التى ظهرت أخيرا ، يؤكدون ان الحكومة البريطانية كانت سـوف تلجأ الى ما لجأت اليه من اجراءات حتى ولو لم يقع حادث اغتيال السير لى ستاك ،

لأن كل شيء كان معدا لفصل السودان عن مصر سواء وقع حادث اغتيال ، أو لم يقع ؛ كل ما حدث أن بريطانيا بمجرد وقوع حادث اغتيال السردار بدأت تنفذ ما كانت قد أعدته من خطوات لفصل مصر عن السودان ، وتستقيل وزارة سعد زغلول أو تجبر على الاستقالة .. وتجيء وزارة أحمد زيور باشا لانقـــاذ ما يمكن انقـــاذه فى رأى البعض أو اغراق ما يمكن اغراقه كما هو الواقــع .

يروى عن أحمد زيور باشا أنه عندما التقى بالماريشال اللنبى المنـــدوب السامى البريطانى ، آثر أن يأخـذ الموضوع ـ موضوع تنفيـذ الانذارات البريطانية ـ بصورة فكاهية ، قال زيور للفيلد مارشال اللنبى :

أهلا بك يا صاحب الفخامة انى لست المندوب المفوض الذى جاء الى خيمة القائد المنتصر كى يوقع شروط السلم لجيش منهزم ، وفضلا عن ذلك فانك لا ترتدى اليوم بدلة مارشال ، ولا حذاءه الطويل وأنا أيضا لا أرتدى مثل ذلك وخصوصا وأنا لا أجد بدلة على مقاسى ، كل منا يرتدى اذن بدلة الردنجوت فلنتحدث اذن بلغة الردنجوت » .

وتحدثا ولكن بلغة غير لغة الردنجوت ، نفذ زيور باشا كل ما طلبه الانجليز بل تطوع بقبول أشـياء أخرى لم تكن واردة فى الانذارات البريطانية .. غير أنه للحقيقة وللتاريخ نقول اذا كانت حكومة زيور باشا قد نفذت كل ما طلبته منها الحكومة البريطانية بل واكثر مما طلبت منها وبصورة مهينة للغاية فان الشعب فى مصر والشعب فى السودان ، قد وقف«وقفة»رائعة ضد المخططات الاستعمارية البريطانية **ويطول بنا المجال لو أننا أردنا أن نتحدث عن تلك المواقف التى يسجلهـا تاريخنـا المصرى السودانى فى أروع صفحاته : لقـد رفضت مثلا القوات المصرية فى السودان الانسحاب بناء على تعليمات بريطانية وكان موقف القائمقام أحمد رفعت بك قائد المدفعية من أشرف المواقف ، اذ رفض تنفيذ التعليمات البريطانية وحاصرت القوات البريطانية ثكنات الجيش المصرى وحاولت الاستيلاء على ذخيرته** غير ان الضباط والجنود المصريين رفضوا التسليم ، ووقفوا أروع المواقف ؛ غير أن الحكومة المصرية بضغط من سلطات الاحتلال البريطانى كلفت ـ عن طريق صادق يحيى باشا وزير الحربية المصرية ـ البكباشى أمين هيمن بالسفر الى الخرطوم على متن طائرة حربية بريطانية ويصل أمين هيمن الى الخرطوم ويسلم الضباط المصريين الأمر بالجـلاء عن السودان ، **وكان شعورا متدفقا ورائعا ذلك الذى أبداه السودانيون تجـاه** اخوانهم المصريين ، لقد غادر الجنود والضباط السودانيون ثكناتهم الى **حيث تقيم القوات المصرية لمنعهم من الخروج من السودان ، غير أن القوات**

البريطانية تصدت لهم ، وسقط عدد من السودانيين والبريطانيين ، كما اجتمع الجنود السودانيون فى مستشفى الجيش المصرى وقد هاجمتهم ـ كما هاجمت المستشفى ـ القوات البريطانية ، وقد تم تدمير المستشفى وسقط شهداء سودانيون وحوكم كثير من الضباط السودانيين بتهمة التحريض على العصيان ، وكان من بين من حكم عليهم : الملازم الثانى على محمد البنا ، والملازم أول سليمان محمد ، والملازم الثانى ثابت عبد الرحيم والملازم الثانى حسن فضل المولى : كان الحكم عليهم بالاعدام وعدل الحكم بالنسبة لعلى محمد البنا ، من الاعدام الى الأشغال الشاقة ١٥ سنة ونفذ حكم الاعدام فى سليمان محمد ، ثابت عبد الرحيم ، حسن فضل المولى وأعدموا بالرصاص فى ٥ ديسمبر ١٩٢٤ وكان يوم اعدامهم يوم حداد عام فى مصر والسودان .

وقد كان الضباط الثلاثة عند اعدامهم مثالا رائعا للشجاعة والجرأة والاقدام قال بعضهم عند الاعدام « لهذا الشرف عملنا » ، « وفداء للوطن عملنا » ، « ومن أجل تحقيق الوحدة المصرية السودانية جاهدنا واستشهدنا » ، وفى يناير ١٩٢٥ أعلن حاكم السودان الجديد انشاء قوة دفاعية فى السودان منفصلة عن الجيش المصرى كخطوة جديدة لسياسة فصل السودان عن مصر .. ورفض الضباط السودانيون أداء يمين الولاء لحاكم السودان الجديد ، وقامت بريطانيا باحالة أولئك الضباط الى الاستيداع وكان على راسهم جميعا ، ابراهيم عبد الرحمن ، خضر على ، فرج الله محمد ، عبد الله النجومى ، محمد صالح جبريل ، سيف عبد الكريم زين العابدين عبد التام ، سيد شحاته عبد الله مرجان ، عبد العزيز عبد الحى ، ابراهيم فرج علام ، عبد الدائم محمد ، عبد الحميد فرج الله ، وقد ظل ذلك الجرح ـ جرح أبعاد الجيش المصرى من السودان وفصل الضباط السودانيين من قوة الدفاع السودانى ـ ظل ذلك الجرح داميا الى عام ١٩٣٦ عندما عاد الجيش المصرى الى السودان اثر تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ **وعلى أية حال لقد ظل المصريون الذين وقفوا موقفا مشرفا فى السودان كما ظل الضباط السودانيون الذى وقفوا موقفا مشرفا فى السودان أيضا ، ظل هؤلاء ، وهؤلاء جميعا منذ عام ١٩٢٤ بمثابة ألوية وطنية يلتف حولها الوطنيون المصريون ، وبمثابة بؤرات وطنيسة تشيع الوطنية فى نفوس المصريين جميعا وفى مقدمتهم الشباب ، الشباب المصرى الذى حمل على أكتافه أعباء الثورة الوطنية التى لم يخمد أوارها منذ ثورة ١٩١٩ والتى عادت بصورة جديدة قوية ورائعة فى عام ١٩٣٠ ضد اسماعيل صدقى .**

طالب منضبط
وضابط ثائر

قد يتساءل البعض ـ وقد يكون معهم الحق ـ عن الأسباب التى دعتنى الى الكتابة ـ وبافاضة عن ثورة ١٩١٩ وما سبقها ، وما تلاها من أحداث هامة وخطيرة وكذلك قد يتساءل البعض ـ وقد يكون معهم الحق أيضا ـ عن الأسباب التى دعتنى الى الحديث ـ وبشىء غير قليل من التفصيل ـ عن مصطفى كمال أتاتورك وعن الحركة الوطنية السودانية وربما قد يتساءل البعض أيضا عن الأسباب التى تدعونى فى هذا الفصل الى الكتابة ـ وبقليل من التفاصيل ـ عن حكم اسماعيل صدقى ، وعن الجبهة الوطنية التى تألفت فى عام ١٩٣٥ ، وعن هتلر والدور الذى لعبه للنهوض بألمانيا قبل أن يقوم باشعال نيران الحرب العالمية الثانية التى كان أول من أكتوى بنارها ، والتى حولته ـ فى النهاية ـ الى رماد فى دار المستشارية الألمانية ، وكذلك عن بعض الموضوعات الأخرى مثل سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، التى اتخذها ونفذها ـ باصرار وحكمة ـ على ماهر باشا ، وعن ؛ وعن ... الى غير ذلك من الموضوعات ذات الأهمية البالغة فى الفترة التى سبقت قيام ثورة ١٩٥٢ ، وأبادر فأقول ، اننى من المؤمنين ـ على ضوء دراساتى التاريخية ، وعلى ضوء ممارستى للعمل الوطنى ـ بأن كل فرد من الأفراد الذين أتيح لهم الاشتراك فى أى عمل وطنى بارز لابد وأنه يكون قد تأثر بكل الظروف التى تحيط به ان سلبا وان ايجابا .. كتاب واحد قرأه فى بداية مرحلة الشباب قد يغير من اتجاهه ، حدث تاريخى هام قد يكون له مجرى عميق فى تشكيل شخصيته ، تاريخ شخص معين ، وتصرفاته فى الحياة ، قد تكون من العوامل التى تدفع المرء الى أن يقتدى بذلك الشخص فى أعماله الطيبة وأن يبتعد عن الأعمال الخاطئة التى قام بها .

فالانسان هو ابن بيئته ، ابن المجتمع الذى يعيش فيه ويتأثر به والذى يحاول أن يؤثر هو فيه على قدر استطاعته ، وقدرته .. وان دراسة سريعة لأنور السادات تؤكد وجهة النظر تلك تأكيدا قاطعا ، وفى كل المرات التى تحدث فيها أنور السادات ، عن تاريخه الوطنى ، كان حريصا على أن يروى ــ وبدقة عجيبة ــ كل تلك الظروف التى أثرت فى حياته منذ أن كان طفلا وكذلك العوامل الشخصية والسياسية التى جعلته منذ الصبا الباكر ، يكن عداوة شديدة للاحتلال البريطانى والتى جعلته فى نفس الوقت يحرص على أن يساهم بكل ما يملك من جهد ، فى عملية اجلاء ذلك الاحتلال عن أرض الوطن الحبيب ، على أية حال ودون محاولة من جانبى لشرح وجهة نظرى تلك أقول ــ اجمالا ــ أنها مجرد وجهة نظر خاصة بى ، أؤمن بها ولقد أحببت أن أشير اليها فى مقدمة هذا الفصل ردا على بعض التساؤلات التى قد ترد فى أذهان بعض القراء .

يقول أنور السادات ــ ضمن ذكرياته ــ أنه بدأ يدخل السياسة من باب الاضرابات عام ١٩٣٠ .. وكانت سنه وقتئذ لا تتعدى الحادية عشرة عاما ، وكانت الاضرابات التى اشترك فيها ضد اسماعيل صدقى الذى ألغى دستور ١٩٢٣ واستبدله بدستور سنة ١٩٣٠ وكان الهتاف ، فى تلك الاضرابات كما يقول أنور السادات ــ لا يخرج عن المناداة بحياة دستور ١٩٢٣ وبسقوط دستور ١٩٣٠ ولم يكن أنور السادات وزملاؤه الصغار وقتئذ يعرفون معنى كلمة دستور تلك التى تتردد على ألسنتهم فى مظاهراتهم ولكنه ــ وزملاءه فيما بعد ــ عرفوا أهمية الدستور وانه يعنى حكم الشعب كما أنه وزملاءه الصغار قد بدأوا يعرفون بعض الحقائق عن الحكام المصريين الذين لاهم لهم الا ارضاء المحتل الأجنبى ، ولو كانت عملية الارضاء تلك لا تتم الا بمحاربة الشعب وحكمه بالحديد والنار ، ويذكر أنور السادات ــ ضمن ما يذكر ــ اسلوب المظاهرات فى ذلك العهد : ((كان ضابط الألعاب فى المدرسة يقوم بمهمة تدوير الطابور لتحية ناظر المدرسة أولا ثم بعد تلك التحية يتوجه كل طالب الى فصله ولكن فى يوم الاضراب لا يتجه الطلبة الى فصولهم وانما يتجهون بعد الهرج والمرج ، الى اليمكخانة ــ حيث تعود التلاميذ تناول طعام الغذاء ــ وهناك فى اليمكخانة يقومون بتكسير الأطباق وتكسير باب المدرسة أن لم يفتحه البواب ، ثم يتجهون الى الشارع حيث يقومون بتوقيف الترامواىات واشعال النار فيها)) ويقول أنور السادات ان مدارك الطلبة فيما بعد قد اتسعت فلم يعودوا يقومون بتكسير الأطباق كما تعودوا عندما كانوا صغارا ولم يعودوا يشتركون فى المظاهرات دون أن يعرفوا أسباب

اشتراكهم فى تلك المظاهرات ودون ان يعرفوا الخسائر التى تنجم عن تكسيرهم الاطباق ، أو حرقهم للتراموايات .

أول مظاهرة وطنية ــ كما سبق ان ذكرنا ــ اشترك فيها أنور السادات ، كانت ضد حكم اسماعيل صدقى باشا :

وقد يختلف المؤرخون حول مقدرة اسماعيل صدقى ، وعبقريته وذكائه ، ولكنهم لا يختلفون على انه كان ــ بالنسبة للسياسة الاستعمارية البريطانية ــ قطا صغيرا ، أما بالنسبة للشعب فكان يمثل طاغيــة أكبر : لا يقيم وزنا ــ أى وزن ــ للشعب ، ولا يفكر ــ حتى مجرد تفكير ــ فى أن الشعب سيقوم فى يوم من الأيام بالانتقام منه ومحاسبته ، على ما اقترفت يداه فى حق الشعب. قام اسماعيل صدقى بانقلابه الأول فى ٣٠ من يونيو ١٩٣٠ وقد قاوم الشعب، بكل ما يملك من قوة ــ انقلاب اسماعيل صدقى وسقط شهداء كثيرون فى القاهرة والاسكندرية وبقية العواصم الأخرى ، بل امتد سقوط الشهداء الى القرى والكفور ، والنجوع .. ألغى اسماعيل صدقى دستور ١٩٢٣ الذى كان يعتبر مكسـبا شعبيا واستبدله بدستور جديد هزيل وقد تردد كثير من الفقهــاء فى مادة القانون الدستورى فى أن يطلقوا عليه كلمة دستور وطبقـا لدستوره المهلهل ، أجرى الانتخابات ، وقاطع الشعب بجميع طوائفه ، وهيئاته ، وطبقاته تلك الانتخابات . أستقال العمد والمشــايخ ، من مناصـبهم حتى لا يشاركوا فى تلك المهزلة وتولى اسماعيل صدقى محاكمتهم وبلغت الغرامات التى دفعها بعض هؤلاء العمد ، والمشايخ ١٨ ألف جنيه .. قامت المظاهرات فى كل أنحاء البلاد وسقط شهداء كثيرون فى القاهرة والاسكندرية والمنصورة وبنى سويف وبور سعيد وبقية عواصم الأقاليم وأعلن اسماعيل صدقى أن عدد هؤلاء الشهداء لا يزيد على ثلاثة عشر قتيلا بالرغم من أن مثل هذا العدد قد سقط فى بولاق وحدها ، كما أن عدد الشهداء الذين سقطوا فى الدقهلية قد زاد على سبعة عشر شهيدا .. ومع مقاطعة الشعب الكاملة للانتخابات أبت معامل التزييف والتزوير الا أن تجعل النتيجـة أكثر من ٦٨٪ ويبـدأ الشعب فى الانتقام من اسماعيل صدقى : أكثر من مرة بوضع القنابل فى طريقه أكثر من مرة تنطلق النار على محمد توفيق رفعت باشا ، رئيس مجلس نواب اسماعيل صدقى وتلقى القنابل على دار محمد على باشا وكيل ذلك المجلس بل توضع قنبلة على سور مدرسة الهندسة وكان الملك فؤاد على وشـك زيارتها .

ويبتكر اسماعيل صـدقى العديد من الوسائل للانتقام من الشعب : يحاول أن يجعـل لقمة العيش فى يده ، يأمر بنوك التسليف بألا تقرض الا انصاره .. تكون التسويات المالية ــ وكان الشعب يعيش أزمة اقتصادية عنيفة ــ لرجال حزبه .. تقفل بيوت كثيرة ، ويفلس العديد من الشركات ، يجند ــ مثلا ــ اسماعيل صدقى أكثر من أربعمائة جندى للهجوم على قرية الحصاينة فيسقط من ابناء تلك القرية كثيرون ، يرتكب اسماعيل صـدقى أول جريمة من نوعها ؛ فى تاريخ مصر ، فيحيل الى المعاش قاضيا أصـدر حكما لم يعجبه ؛ وتتكرر مأساة القاضى الياس حنين مرة أخرى عندما يفصل المستشار فطب فرحات ؛وتصدر محكمة النقض والابرام ــ قمة القضاء فى مصر ــ حكما برئاسة عبد العزيز فهمى تقول فيه « ان حكم اسماعيل صدقى اجرام فى اجرام » ، ولكن هل يمكن لعدو من عـداء الشـعب أحال البلد الذى يحكمه الى سجن كبير أن يستمر فى الحكم ؟ ان أعداء الشعب مهمـا استندوا على الحرب الأجنبية ، ومهما وقفت قوى الاستعمار الفاشم الى جانبهم تؤيدهم ، وتؤازرهم ، لا يمكن أن يبقوا فى الحكم : **لقد سقط اسماعيل صدقى وكان سقوطه كسقوط حاكم مصرى سابق اعتمد على قوات الاحتلال الأجنبى ، سقط ، كما سقط مصطفى فهمى الذى قال فى سقوطه الشـاعر اسماعيل صبرى :**

قـالوا سـقطت ومن يـكن ... مكانك يأمن من سـقوط ويسـلم
فأنت امرؤ الصقت نفسك بالثرى ... وحرمت خوف الذل ما لم يحـرم
فلو أسقطوا من حيث أنت زجاجة ... على الصخر، لم تصدع ولم تتحطم!!

ويخاطب حافظ ابراهيم اسماعيل صدقى قبل ان يسقط قائلا :

قـد مر عام يا سـعاد وعام ... وابن الكنـانة فى حمـاه يضـام
صبوا البـلاء على العباد فنصفهم ... يجبى البـلاء ونصـفهم حـكام

الى أن يقول :

ودعا عليـك الله فى محـرابه ... الشـيخ والقسيس والحـاخام

وكان حافظ ابراهيم قد خاطب الانجليز أيضا فى أواخر أيام اسماعيل صدقى :

حولوا النيل ، واحجبوا الضوء عنا ... واطمسوا النجم واحرمونا النسيما
واملأوا البحـر ان أردتم سـفينا ... واملأوا الجـو ؛ ان أردتم رجوما
وأقيمـوا للعسـف فى كل شـبر ... كونستبلا بالسوط يفرى الأديمـا
اننـا لن نحول عن عهـد مصر ... أو ترونا فى التـرب عظمـا رميمـا

يسقط اسماعيل صدقى ، ويحل محله نائبه عبد الفتاح يحيى ، وكما هى العادة ينفض السامر ، من حول اسماعيل صدقى ، ويتخلى عنه كل من طبل له وزمر حتى جريدته التى أنشأها «جريدةالشعب» تتخلى عنه ، وحتى حزبه الذى اقامه بالمال والسلطان يتركه متجهـا الى الرئيس الجديد ، ولا يدوم حكم عبد الفتاح يحيى ، اذ يستقيل بدوره ليؤلف محمد توفيق نسيم وزارته الجديدة ، التى أريد بها أن تمتص حركة المقاومة الشعبية وكان السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية قد ألقى تصريحا فى قاعة الجيلد هول بلندن فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥ يقول فيه : « لا صحة على الاطلاق لما يزعم الزاعمون من أننا نعارض فى عودة النظام الدستورى الى مصر ، بشكل موافق لحاجتها لأننا طبقا لتقاليدنا .. لا نريد ولا نستطيع أن نقوم بعمل هذه المعارضة ، على اننا عندما استشارونا نصحنا بأنه لا يعاد دستور ١٩٢٣ ، ولا دستور سنة ١٩٣٠ اذ قد ظهر أن الأول غير صالح للعمل وأن الآخر لا ينطبق على رغبات الأمة » وتنطلق المظاهرات فى جميع أنحاء البلاد ؛ فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ تهتف بسقوط هور وتصريح هور ، ويكون أول الشهداء فى ذلك اليوم العامل اسماعيل محمد الخالع .. وينظم طلبة الجامعة فى اليوم الثانى مظاهرة يطلق عليها البوليس النار فيسقط محمد عبد المجيد مرسى ، الطالب بكلية الزراعة ، ومحمد عبد الحكم الجراحى الطالب بكلية الآداب ، وعلى عفيفى ، الطالب بكلية دار العلوم ، وفى طنطا يستشهد عبد الحليم عبد المقصود ، الطالب بالمعهد الدينى ويصف عبد الرحمن الرافعى مظاهرات الطلبة فى نوفمبر وديسمبر ١٩٣٥ « بأنها كانت سليمة فى تكوينها ، بريئة فى مقصدها اذ كانوا مدفوعين بشعور وطنى عام يهدف الى تحقيق مطالب البلاد ، ولم يكن موعزا اليهم من أحد بل كانت من فيض الوطنية الصادقة وكانوا يهتفون بالاستقلال والحرية والدستور ، وكانوا يحولون ، دون اندساس الغوغاء فى صفوفهم أو الفوضى والاعتداء ، وفى الجملة كانت مظاهرات نوفمبر وديسمبر ١٩٣٥ صفحة مجيدة ، من تاريخ الشباب لذلك سميناها ، شبه ثورة اذ كانت صورة مصغرة من ثورة ١٩١٩ وكان لها أثرها فى عودة الحياة الدستورية وجاءت تضحية الشباب فى تلك الفترة خيرا على البلاد اذ تم على أثرها ائتلاف الأحزاب وعودة الدستور » .

وأذكر جيدا هذه المظاهرات التى انطلقت فى جميع أنحاء البلاد حين صدر تصريح هور : كنت فى بداية حياتى أسير وزملائى الصغار فى شوارع المنصورة ، نرتدى الكرافتات السوداء حدادا على أرواح الشهداء وفوجئنا

بالبوليس يقبض علينا وكان أكبرنا لا يتجاوز وقتئذ الرابعة عشرة من عمره ، وساقونا الى قسم البوليس فى شارع البحر وقضينا ليلة ليلاء وخرجنا وآثار الضرب على كل جزء من أجزاء أجسادنا الصغيرة الهزيلة ، وعندما سقط أحدنا شهيدا ــ على حسين ــ حرصت القيادات السياسية على أن نمر كلنا ــ بالطابور ــ أمام جسده المسجى فى تابوت صغير ملفوف بعلم مصر ، ولم يظهر منه الا وجهه الصبوح ، الذى تحول الى ما يشبه قطعة من الشمع ، ورغم مرور سنوات ، على ذلك الحادث الا أننى ما زلت أذكر وجه على حسين ، وكأننى أراه الآن .. على أية حال كان هذا الحادث ، سقوط على حسين ومرورنا أمام جثمانه بمثابة الشعلة ، التى أنارت أمامنا الطريق والتى جعلتنا نفكر دائما فى بلدنا .. ونحاول أن نقوم بعمل ما ــ أى عمل ــ لخدمة مصرنا الحبيبة ..

ولقد كان أشد ما آلمنا وأزعجنا وأثر فينا أن تنتهى ثورة الشباب فى ١٩٣٥ بمعاهدة ١٩٣٦ التى كانت بالنسبة للكثيرين منا صدمة هائلة : وليس هنا مجال الحديث عن تلك المعاهدة ، وحسبنا فقط أن نشير الى بعض ما جاء فى تلك المعاهدة ، خاصا بالجيش المصرى وعودة الجيش المصرى الى السودان فذلك أقرب الى موضوع دراستنا : فى المذكرة المصرية الثانية الملحقة بمعاهدة ١٩٣٦ اشارة الى أن الحكومة المصرية قد اعتزمت أن تنتفع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية وأن الحكومة المصرية لا ترغب فى ايفاد أحد من أفراد قوتها المسلحة ، ليتلقى دراسته فى أى معهد ، أو وحدة من معاهد التدريب أو وحداته فى أى بلد غير بريطانيا الا بالنسبة لأولئك الذين لا يتيسر قبولهم فى معاهد بريطانيا ، ووحداتها ونصت المذكرة أيضا على سحب الموظفين البريطانيين من الجيش المصرى والغاء وظائف المفتش العام ، والموظفين التابعين له وان لم تنص على موعد ذلك الانسحاب :

وكان فى خدمة الجيش المصرى وقتئذ ٢٧ من كبار الضباط يرأسهم الفريق داتسون سفنكس باشا ، المفتش العام ومساعده اللواء الأيسيس فوريس ثم سبعة برتبة اميرالاى وسبعة آخرون برتبة قائمقام و .. و .. وكانت مرتبات أولئك جميعا ٤٠٦٥٣ جنيها فى العام . وكانت مصر ، أيضا ــ فى معاهدة ١٩٣٦ ــ قد اتفقت مع بريطانيا على الا يختلف طراز أسلحة القوات المصرية البرية ، والجوية ، ومعداتها عن الطراز الذى تستعمله القوات البريطانية .

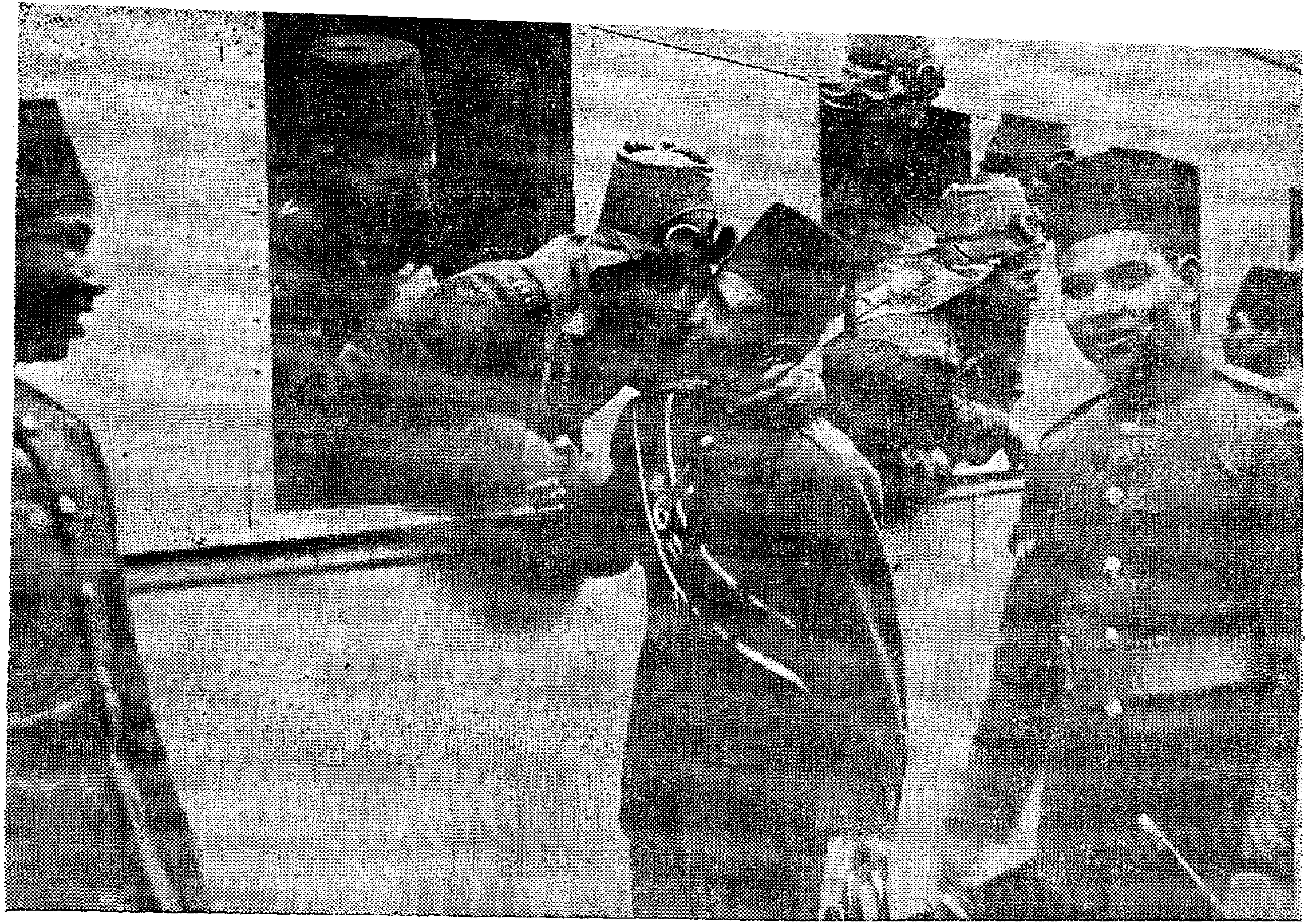

فرحة مصر والسودان بعودة الجيش المصرى الى السودان .. عام ١٩٣٦

وكانت معاهدة ٣٦ قد نصت أيضا فى المحضر المتفق عليـه بين الطرفين المتعـاقدين ــ مصر بريطانيـا ــ على عودة الجيش المصرى الى السـودان وذلك على النحو التالى : من المتفق عليه انه نظرا لأن الحكومة المصرية ترغب فى ارسال جنود الى السودان ، فان الحاكم العام للسودان سيبادر بالنظر فى أمر الجنود المصرية اللازمة بمجرد نفاذ المعـاهدة أيضا على أن يكون الجنود البريطانيون والمصريون والسودانيون تحت تصرف الحـاكم العام للدفاع عن السودان . وقد علق د. محمد حسين هيكل فى مذكراته السياسية على ذلك بقوله :

لنا الحق فى انشاء جيشنا كما نشاء ، وهذا مسلم به فى المعاهدة ومن قبل المعاهدة بل مسلم به منذ اعلان الحماية : لكن الجيش المصرى ليس رجالا ، وكفى ، بل الجيش رجال وأسلحة وذخائر وعتـاد ، فلنفرض ن انجلترا تباطأت فى ارسال السلاح والذخيرة ونفذت ذخيرة جيشـنا فأى جيش يكون ؟ فرق رياضيين نسلحهم بالنبابيت ونعتبرهم رغم ذلك جيشا ، اذن كلمـا اختلفنا مع انجلترا على مسألة سياسية أو اقتصـادية ولو كانت مسـألة داخلية بحتة ؛ كان فى يدها هذا التهديد بأن يكون جيشنا مجردا من الذخيرة غير صالح لأى عمل من أعمـال الجيوش ، اذكروا موقفنـا من القضية الفلسطينية ، لقد كان اخواننا العرب يسامون سوء العذاب أثناء المفاوضات الأخيرة ثم حالت هذه المفاوضات بيننا وبينهم فلم نحرك ساكنا لمعاونتهم أو العطف عليهم لأن الخلاف كان واقعا بينهم وبين انجلترا ولقد كانت الحكومة المصرية تعمل جهدها لمنع الصحف من نشر أنباء فلسطين والعطف عليهم باسم الحرص ، على المفاوضات المصرية ، البريطانية ؟ ترى لو أننا واجهنا غدا حالة كهذه فرأينا شعبا عربيا أو اسلاميا يسـام الهوان من الانجليز فثارت بنـا النخوة العربية والنخوة الاسلامية لنصرة هذا الشعب المظلوم ، أفلا تتخذ انجلترا ذلك وسـيلة للتبـاطؤ فى امدادنا بالذخيرة ؛ وأنف الفقرة الثالثـة من المذكرة الثـالثة لمعـاهدة الصـداقة والتحالف راغم » .. على أن بعض المؤرخين قد رأوا ان فى مقدمة مزايا معاهدة ١٩٣٦ اعطـاء الحكومة المصرية السلطات الكافية للاهتمام بالمدرسة الحربيـة التى تحولت الى كلية وتمكين الحكومة المصرية من زيادة عدد الضباط وتحسين تدريبهم والعمل على انشاء جيش حديث يزيد من هيبة مصر فى عين أعدائهـا ، وكان من مميزات تلك المعاهدة ــ كما يرى بعض المؤرخين كأسـتاذنا عبد الرحمن الرافعى ، ود. عبد الحميد حشيش ؛ اطلاق يد مصر الى حـد ما لأول مرة ، منذ عام ١٨٨٢ فى انشاء بعض المدارس العسكرية كمدرسة المهندسين العسكريين ، ومدرسة

فى محطة مصر : ضباط مصريون وسودانيون وجنود سودانيون ومصريون فى طريقهم الى السودان بعد التوقيع على معاهدة ١٩٣٦

أركان الحرب ، ومدرسة صف الضباط ومدرسة الطيران ومدرسة الصناعات الميكانيكية و . . و . . » . وأنقل هنا بعض ما نشرته مجلة اللطائف المصورة فى عددها الصادر فى ٢٥ يناير ١٩٣٧ تحت عنوان قائد الجيش المصرى « قضى الجيش المصرى أكثر من خمسين عاما ، وهو فى يد الانجليز اذ عقب وقوع الثورة العرابية وقيام الاحتلال سرح « المغفور له » الخديو توفيق باشا الجيش الموجود يومئذ ، وطلب الى انجلترا أن تنشىء الجيش بمعرفتها ؛ فقام الانجليز بالمهمة على الوجه المعروف ، ولكن جاءت المعاهدة فردت لمصر استقلالها كاملا وفتحت عهدا جديدا للسيادة القومية لا سيما أن الجيش عنوان لاستقلال ، وحامى حمى ذمار البلاد وقد افتتحت الحكومة الدستورية هذا العهد ، الجديد للجيش بالاستغناء عن خدمة سعادة الفريق سفنكس مفتش عام الجيش العام الذى قضى فى مصر ١٣ عاما كما أستغنت عن خدمة الضباط البريطانيين وهيأت الجو ، لاعادة الجيش المصرى مستقلا قويا ، مجيدا وقد امتلأت النفوس أملا بأن الجيش سوف يستعيد مكانته وقوته ، اذ المعروف عن الجندى المصرى انه من أعظم وأكفأ ، وأبسل جنود العالم ، ويشهد له التاريخ القريب ببطولته واقتحاماته ، أيام المغفور له محمد على باشا كما يروى فتوحاته ، وغزواته على يد القائد الكبير ابراهيم باشا ، تلك الفتوحات التى وصلت الى أقاصى السودان ، والى بلاد العرب ، وامتدت الى الشام وحدود تركيا ؛ وقد وصل أخيرا الى مصر ، الميجر جنرال جيمس مارشال كورنوال الذى اختارته الحكومة البريطانية رئيسا للبعثة العسكرية التى ستنظر فى ترقية الجيش المصرى ، وتكمل وحداته وتجهيزه بمعدات الحرب الميكانيكية وغيرها ، فانتدبت اللجنة الوزارية المصرية البطل الوطنى العظيم حضرة صاحب السعادة محمود شكرى باشا قائد لواء المحروسة للقيام بأعمال رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى التى ستتفاهم مع البعثة العسكرية على ترقية الجيش وتعزيز أسلحته ، والذين يعرفون من هو اللواء محمود شكرى باشا ، يؤكدون أن سعادته قد ملأ المنصب الجديد الذى يشغله أول ضابط مصرى ؛ فقد دخل المدرسة الحربية فى أوائل سنة ١٨٩٦ وتخرج منها بعد سنتين فقضى فى خدمة الجيش ٣٩ عاما وحضر أكثر المعارك فى حروب فتح السودان ، فاشترك فى مواقع العطوة ، وكررى البير ، وعين ياورا للسردار المرحوم السير لى ستاك باشا فمفتشا بمدارس الأورطة ثم ياورا للمغفور له الملك فؤاد الأول ورافق قوة المحمل الى الحجاز سنة ١٩٢٦ ، وفى سنة ١٩٣٢ عين قائدا عاما للحرس الملكى وفى سنة ١٩٣٤ رقى الى رتبة اللواء ، وعين قائدا للواء البيادة الثانى فى الاسكندرية وفى أوائل عام

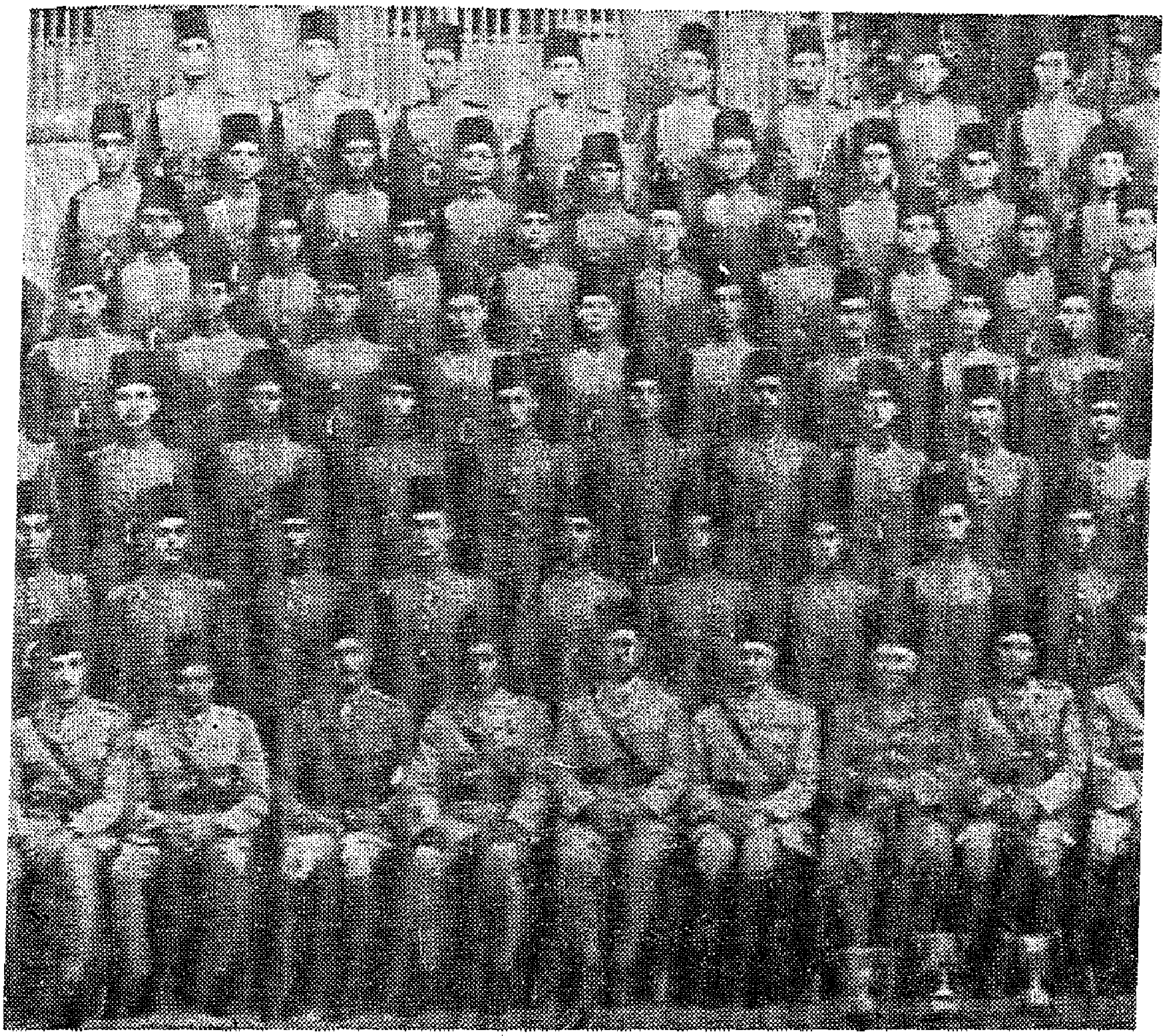

■ طلبة المدرسة الحربية قبل ان يصبح اسمها الكلية الحربية ـ لقطة التقطت عام ١٩٣٦ ـ ويرى الطالب محمد انور السادات مشارا اليه بسهم ـ أقصى اليسار فى الصف الثانى بين صفوف الطلبة الواقفين ■

١٩٣٦ عين قائدا عاما لقوة الميدان الغربى ، التى اشتركت فى اقامة الاستحكامات فى مرسى مطروح ، عقب تفاقم الخلاف بين ايطاليا والحبشة ثم قلد وظيفة قائد لواء المحروسة ومما هو جدير بالذكر أن شكرى باشا برهن فى كل مناصبه التى يزاولها بجداره واستحقاق على النزاهة والأمانة والدقة العسكرية الكريمة فما عرف عنه أنه عمل على ترقية أحد يمت اليه بصلة قربى أو نسب .

ولا يؤمن الا بالاخلاص والجد في العمل والحرص على الشرف العسكرى في حدوده النبيلة شأن العسكريين الخالدين الذين يعملون على ترقية جيوش أمتهم دائما .. »

وتنهى الصحيفة مقالها الذى نشرته في صفحتها الأولى ، بقولها : وفقه الله الى القيام بالمهمة الكبيرة التى أسندت اليه وهيأ لمصر ، المجيدة في القريب العاجل جيشا مجيدا ، كامل الوحدات المختلفة كامل الأساليب العصرية ، الحربية كامل العدد أنه سميع مجيب » .

وقد أنشأ شكرى باشا ـ أثناء رئاسته لأركان الحرب ـ مدرسة أركان الحرب ومدرسة الضباط العظام ، وآلاى مدفعية السواحل ، وسلاح الصيانة ، كما زاد سلاح الطيران زيادة ملحوظة وأشرف على أول استعراض عسكرى لجيش مصر الحديث في ١٩٣٨ ، وظل يقوم بواجبه الى أن أحيل الى الاستيداع في ١٩٣٩ .

والذى أود أن أشير اليه هنا ـ قبل أن أصل الى المرحلة التى دخل فيها أنور السادات المدرسة الحربية ـ أن الآراء قد اختلفت حول التطور الذى كان من نصيب المدرسة الحربية في أعقاب توقيع على معاهدة سنة ١٩٣٦ هناك رأى يقول ان بريطانيا وقد أحست بخطورة الموقف الدولى واطمئنان بريطانيا الى الموقف المصرى الرسمى قد رأت تكوين جيش مصرى جديد يمكن أن يساعدها في تحقيق أغراضها الاستعمارية ويتولى مشاركة الجيش البريطانى ، فيما هو بصدده من معارك في الشرق الأوسط ؛ ومن جل المساهمة في تحقيق تلك الأهداف رأت بريطانيا أن تفتح الباب أمام الشباب المصرى للالتحاق بالمدرسة الحربية ، حتى يتخرجوا منها ضباطا قادرين على القيام بتلك المهام ، المطاوبة منهم . وقيل أيضا ـ وهذا الرأى يشك فيه كثيرا ـ ان بريطانيا كانت قد اتفقت مع السلطات المصرية على اشتراك المصريين في الحرب اذا تعرضت الأراضى المصرية للهجوم .

وقيل أيضا أن الهدف من فتح باب المدرسة الحربية لأبناء الشعب امتصاص الغضب الشعبى الذى أعقب توقيع المعاهدة المصرية البريطانية ، واشعار المصريين بوجود تغيير جذرى في بعض المسائل الهامة التى يعلق عليها الشعب المصرى أمالا كبيرة وفي مقدمتها الجيش ، وأيا كانت الأسباب التى أدت الى فتح أبواب المدرسة الحربية أمام أبناء الشعب ـ من غير أبناء الأمراء والباشوات والبكوات الذين لم يكونوا يجيدون على رأى جورج فوشيه في

كتابه « جمـــال عبد الناصر ، وصحبه » الا لعب البولو ، والانغمـاس فى حياة المجتمع الارستقراطى والتسكع فى أندية القاهرة فان أبناء الشعب قد دخلوا الكلية الحربية فعلا .

كانت الدفعة الأولى من طلاب المدرسة الحربية قد قبلت فى فبراير ١٩٣٦ وكان عددهم ٥٢ طالبا وكان عدد الدفعة الثانية ٤٤ طالبـا ، كان فى الدفعـة الأولى أنور السادات وفى الدفعة الثانية ــ مارس ١٩٣٧ ــ جمال عبد الناصر وكانت مدة الدراسة وقتئذ لا تتعدى الثلاث سنوات .

أما فى الدفعة الأولى ، فان الدراسة لم تتعد ستة عشر شهرا ، ويروى أنور السادات ــ ضمن ذكرياته ــ قصة دخوله الكلية الحربية فيقول أن الدخول الى تلك الكلية كان بالواسطة وكان وكيل وزارة الحربيـــة هو رئيس لجنة كشف الهيئة التى تقوم باختيار طلبة الكلية وكان الى جانبـــه كبير المعلمين العسكريين فى الكلية وهو انجليزى ومعلم التاكتيك فى الكليـة وهو أيضـــا انجليزى بالاضـافة الى بعض المصريين » ويروى أنور الســادات كيف كان سكرتير لجنة كشف الهيئة التى تقوم باختيار طلبة الكلية كان يقوم بالمناداة على كل طالب للمثول أمام اللجنة ، حيث يتولى ذلك السكرتير قراءة المعلومات الخاصة بكل طالب ، اسمه ، اسم والده ، وعمله ، دخله أو ممتلـــكاته فقد كان لابد من وجود حد معين للدخل أو الملكية بالنسبة لطالب الكلية كما أن أى طالب يدخل الكلية كان لابد له من واسطة ، ولم يكن أمر الواسطة شيئا سريا بل كان أمرا علنيا ، يعرفه كل أعضاء اللجنـة ، وكان ملف الطالب الذى يرغب فى دخول الكلية الحربية يحتوى بالقطع على اسم الواسطة التى ترشح الطالب للدخول فى الكلية ؛ وكان كشف الهيئة عنق الزجاجة بالنسبة للالتحاق بالكلية فمن لا واسطة له ، لا يدخل الكلية ؛ وفى بعض الأحيان كانت الواسطة الكبيرة تأكل الواسطة الصغيرة وقد حدث فى احدى الدفعات ان أراد وزير الحربية ادخال بضعة طلاب فما كان من الكلية الا أن حالت دون دخول نفس العدد المطلوب ادخاله بواسطة الوزير ممن كانوا قد قبلوا فعلا فى الكلية . وقد كان من حسن حظ أنور السادات أن والده كان موظفـا بالحكومة فتم قبوله بالكلية الحربية التى كانت بالنسبة لأنور السادات أقصى أحلامه فيما يتعلق بالدراسة ، لقد كان أنور السادات يريد أن ينتظم ضابطا فى القوات المسلحة ليستطيع أن يخدم بلده ويحقق أحلامه فى المشاركة فى القضـاء على الاحتلال الأجنبى ، وفى الكلية الحربية تزداد معرفة أنور الســـادات بكل ما يدور فى مصر ، وفى العالم ، كما تزداد دائرة قراءاته ودراساته ، كانت آخر المظاهرات التى اشترك فيها الطالب أنور السادات هى تلك المظاهرات التى انطلقت فى

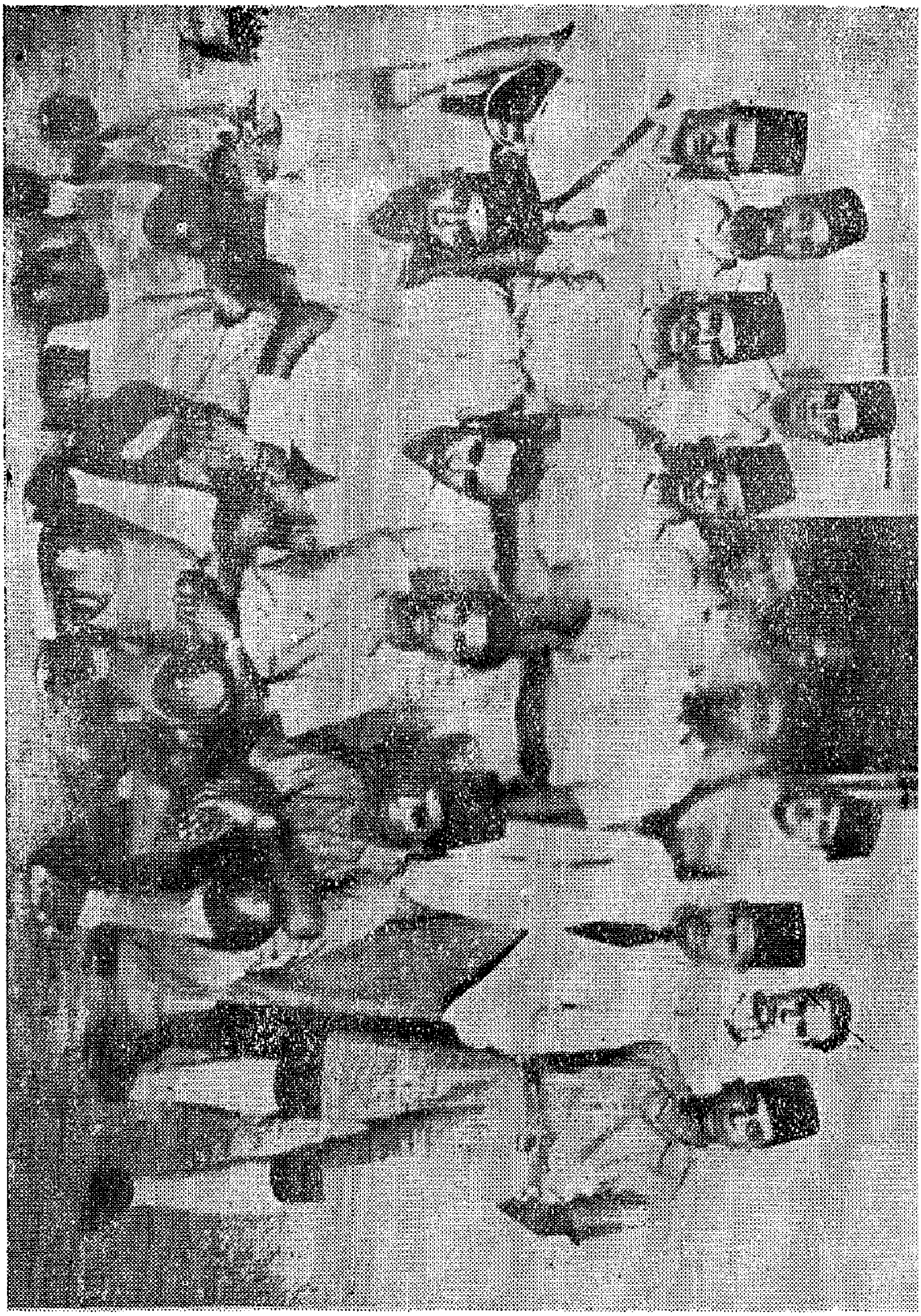

١٩٣٥ ضد صمويل هور ، وتصريح صمويل هور ، وفى الكلية الحربية لم يكن هناك بالطبع ــ اى مجال للتظاهر ... **كان العمل الوطنى فى الكلية الحربية يختلف اختلافا جذريا عن العمل الوطنى فى المدارس الثانوية أو الجامعة ، وقد بدأ انور السادات عمله الوطنى فى الكلية الحربية بالاتصال بزملائه فى الكلية ، ومحاولة ايجاد راى عام بين الطلبة يدين الاحتلال البريطانى ويكشف مؤامراته على مصر ، وقد أثر الى حد كبير فى شخصية أنور السادات ، وزملائه بالطبع ذلك الذى كان يجرى فى المـانيا .**

لقد كانت التجربة الألمانية الجديدة التى تجرى وقتئذ فى المانيـا تجذب انتباه الشباب المصرى ، وخاصة طلبة الكلية الحربية .

كانت المانيا قد خسرت الحرب العالمية الأولى وفقدت فى تلك الحرب كل شىء : مستعمراتها ، جيشـها ، اقتصـادها ، مصانعهـا ، بل كادت تخسر سمعتها ، كدولة كبرى وقد حاول المارشـال هندنبرج وهو من خيرة القواد الألمان الذين لعبوا دورا خطيرا فى الحرب العالمية الأولى انقاذ المانيا كرئيس لها وقد قام بدور هام فى رفع شأن المانيا من جديد ؛ وعندما مات المارشال هندربرج وجد ضمن ما تركه وصية بأن يخلفه فى منصب المستشار هتلر ؛ ذلك الذى كان قد قام بحركة وطنية ناجحة فى ميونخ ، وانتشرت فى كل انحـاء المـانيا واستطاع هتلر أن يثير شـبابنا وقتئذ وفى مقدمتهـم أنور السـادات بما قام به من جهود مضنية لاعادة مجد المانيا ، حيث نجح فى الارتفاع بها من الحضيض ، من دولة فقيرة مفلسة الى دولة كبرى تفرض ارادتهـا على دول العـالم الكبرى مثل انجلترا وفرنسـا : لقد كنا معجبين ــ هكذا قال أنور السادات ــ بهتلر ، الذى نجح فى خلال ست سنوات فى أن يبنى بلده فى كل شىء من جديد .. لقد قلب البلد من حالة افلاس الى بلد رائع » ويضيفه أنور السادات الى التجارب التى قرأ عنهـا الكثير كتجربة مصطفى كمـال أتاتورك فى تركيا ، تجربة جديدة ، هى تجربة المانيا الاشتراكية ، ولست أبالغ اذا ما قلت ان مواويل زهـران وادهم الشرقاوى وقراءاته التاريخيـة والسياسية وتتبعه لكل الأحداث التى كانت تجرى فى مصر ، والخـارج ؛ قد ساهمت الى أبعد الحدود فى المساهمة فى تكوين فكر انور السادات ، السياسى

والوطنى ، ذلك الفكر الذى اعتمد على الكثير من النماذج الرائعة من قصص النجاح ، والذى استهدف ضمن ما استهدف العمل لتحرير مصر ، وانقاذها من الاحتلال الأجنبى ، كما فعل مصطفى كمال اتاتورك فى تركيا ، وكما فعل هتلر فى المانيا .

كان أنور السادات ــ فى الكلية الحربية ــ يمثل الطالب المنضبط الى أبعد حدود الانضباط والذى كان يتميز فى الوقت نفســـه بالحيوية والنشاط ، يؤكد زملاؤه فى الدفعة أنه كان يهتم كثيرا بالقضـــايا العامة التى جعلته يتفوق على غيره من الزملاء : تخرج السادات فى فبراير ١٩٣٨ وقد عين أول ما عين فى الأورطة الرابعـــة مشـــاة بمنطقـــة المكس بالاسكندرية وظل هنـــاك حتى يوليو من نفس العـــام ثم نقـــل الى منقبـــاد وظل بهــــا حتى أول أكتوبر سنة ١٩٣٩ وكان برتبة الملازم ثان ؛ وفى اليوم الثانى من أكتوبر ١٩٣٩ نقل الى سلاح الاشارة ، لأنه كان راغبا فى الانضمام الى ذلك السلاح ؛ وقد ظل انور السادات يعمل فى المعادى بسلاح الاشارة وقد حصل على رتبـــة ملازم أول فى أغسطس عام ١٩٤٠ ثم « نقل » الى الصحراء الغربية وبقى بها حتى ٢٥ ابريل ١٩٤١ ثم نقل الى الصحراء الغربيـــة مرة أخرى فى ٢٥ ابريل ١٩٤١ ثم نقل الى سلاح الحدود بالجبل الأصـــفر وبقى بهـــا حتى ٧ أكتوبر ١٩٤٢ حيث فصل من الخدمة العسكرية **وفى ملف السادات تقرير سرى عن المدة من ٢ نوفمبر ١٩٣٩ حتى نهاية سنة ١٩٤٠ وقد جاء فى ذلك التقرير الذى كتبه قائده : الحالة الصحية جيـــدة جدا ، ناشىء يحترم نفســـه جدا ، ويحترم رؤساءه يقدس واجبه الرسمى ويقوم به على أكمل وجه .. على جانب عظيم من الأخــلاق ؛ هادىء الطبـــع ، يعمل فى صمت وسكون : كفـــاءته الفنيـــة والعسكرية تستوجب التقدير ، مكانتـــه الشخصية موضع احترام زملائه ورضائى التـــام »** .

وفى تقرير آخر وضعه عنه قائد لواء المشاة فى ٢٣ مايو ١٩٤٠ ــ أى بعد ذلك بأسابيع فقط من التقرير الذى سبقت الاشارة اليه ــ **جاء التقرير موجزا ومختصرا لاعتبارات خاصة برأى القيادات العليا للجيش فى أنور الســـادات وخشيتها من نشـــاطه الوطنى الذى كان قد ابتـــدا يتزايد ويثير قلق تلك القيادات ؛ جاء فى ذلك التقرير السريع ، الموجز أ اخلاقه حسنة ، نشط ،**

ضابط جيد جدا ، ومثالى ، قدير فى فنه ، ميال للضبط والربط .. مكانته متينة بين اخوانه » .. وفى تقرير آخر عن المدة من أول مايو ١٩٤٢ حتى نهاية سبتمبر ١٩٤٢ :

ضابط .. مؤدب .. هادىء الطباع ، محترم من اخوانه ، حسن المظهر والهندام ، كفاءته الفنية مرضية » .

والذى نستطيع أن نقوله عن أنور السادات فى تلك المرحلة من مراحل عمله العسكرى أنه كان نموذجا للضابط المثالى الذى يؤدى عمله وفى الوقت نفسه يشارك الى ابعد الحدود ـ رغم حساسيات وظيفته ـ فى كل عمل وطنى يحقق أو يساهم فى تحقيق أهداف البلاد ، وكان من أهم الأهداف التى كان أنور السادات يسعى اليها فى تلك المرحلة تمصير الجيش المصرى ، وكان ذلك التمصير فى ذلك الوقت مطلبا شعبيا بالاضافة الى أنه كان من أهم مطالب الجيش وقتئذ .

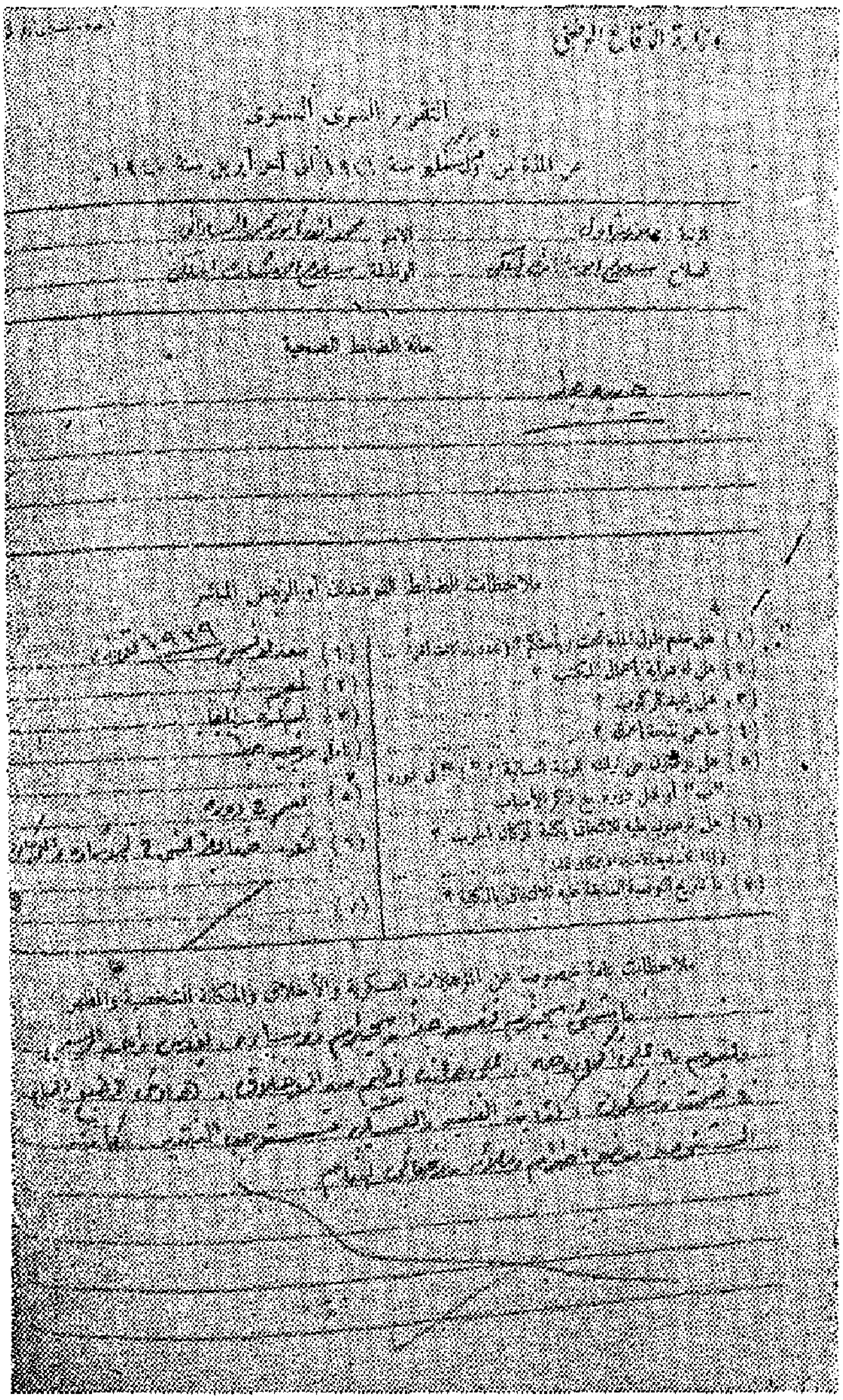

من الملف الخاص بالملازم اول انور السادات فى الجيش
المصرى عن الفترة من نوفمبر١٩٣٩ الى آخر ابريل ١٩٤٠

(نموذج عسكرى رقم ١٩٠)

وزارة الحربية والبحرية

التقرير السرى السنوى

عن المدة من أول مايو سنة ١٩٥٠ الى آخر ابريل سنة ١٩٥١

الرتبة: صاغ ..... الاسم: محمد أنور السادات

السلاح: ..... الوظيفة: .....

(١) هل خدم طول المدة تحت رياستكم؟ (وإلا فمن كانت مدته اقل)

(٢) هل حضر فرق التعليم التى تؤهله للترقى؟

(٣) هل مضى امتحان الترقى للرتبة الأعلى؟

(٤) هل حضر فرقة الضباط العظام؟

ملاحظات القائد

(٥) الحالة الصحية

(٦) هل أدى أعماله على غاية ما يرام؟

(٧) هل له دراية بأعمال المكتب؟

(٨) هل توصون عليه للالتحاق بكلية أركان الحرب؟

(٩) الأخلاق والمظهر والسكنة الشخصية

(١٠) الكفاءة العسكرية والادارية

(١١) الصلاحية للقيادة (من بكباشى فالفوق)

(١٢) هل توصون عليه بالترقى؟ (فى حالة عدم التوصية اذكر الأسباب فى ورقة منفصلة)

(١٣) الأخطاء وملخص التحقيقات والجزاءات

(١٤) ملاحظات عامة (اذكر الفضائل التامة والنقائص التى تؤثر وجوب مرتباً)

تحريراً فى ..... سنة ١٩٥١ (التوقيع) .....

ملاحظات الهيئات الأعلى (توضح صلاحية الضابط للترقى والقيادة العسكرية والادارية)

تحريراً فى ..... سنة ١٩٥١

توقيع الضابط (فى حالة الاطلاع) ..... (التوقيع) .....

تقرير سرى سنوى عن الصاغ محمد أنور السادات
كتبه قائد الفرقة الاولى المشاة فى ١٩٥١/٥/٥

بداية العمل الثورى

كان توقيع معاهدة ١٩٣٦ من أهم الأحداث المصرية التى وقعت فى النصف الاول من القرن العشرين ؛ انقسم المجتمع المصرى تجاه توقيع تلك المعاهدة انقساما جذريا ، أولئك الذين كانوا من أنصار المعاهدة أيدوها الى أبعد حدود التأييد وبكل صور التأييد ، وأولئك الذين كانوا من خصوم تلك المعاهدة عارضوها الى أبعد حدود المعارضة ، وبكل أساليب المعارضة المشروع منها وغير المشروع ، وكل جانب من الجانبين ــ جانب التأييد والمعارضة ــ قد دخل ضد الجانب الآخر فى معارك عنيفة شغلت الرأى العام المصرى ، عن كثير من قضاياه الهامة ؛ ولست أريد الدخول فى تلك الآراء التى أيدت أو عارضت المعاهدة، وحسبى فى هذا الحيز الضيق أن أشير الى أن تلك المعاهدة قد جمدت الى حد ما الصراع المصرى البريطانى وقد حملت السياسيين المصريين ــ فى كتابى عن « الرجعية العربية » ــ مسئولية توقيع تلك المعاهدة « لانهم كانوا سياسيين ولم يكونوا ثوارا .. كانوا سياسيين يبحثون عن الحكم وعن تحقيق الأهداف الحزبية لا أكثر ولا أقل » وقلت فى كتابى «الجلاء طريق السلام والاستقرار والحرية» فى فصل مستقل عن المعاهدة بعنوان « ثورة أطفأتها معاهدة » وكان من بين ما جاء فى ذلك الفصل : « حمل الشباب لواء ثورة ١٩٣٥ ، وكانت ثورته قوية اشترك فيها المصريون جميعا على اختلاف الوانهم ومشاربهم وقد كانت ثورة ١٩٣٥ من القوة بحيث أجبرت الزعماء السياسيين على التخلى عن ارائهم ومذاهبهم والانصهار فى أتون الحركة الوطنية . لقد شهدت مصر فى ١٩٣٥ ثورة لا تقل عن ثورة ١٩١٩ من ناحية القوة والعنف ؛ وسقط شهداء كثيرون . راحوا فداء للدستور وللجلاء وتحرج مركز انجلترا التى كانت تحتل بقواتها المدرعة القاهرة والاسكندرية ومعظم المدن ، وكان الوقت ملائما للمطالبة بالجلاء وكان هناك أمل كبير ، فى تحقيق هذا المطلب لو أن زعماء السياسة فى مصر ، قد آمنوا بأن المفاوضة

ليست طريقا الى الجلاء واننا طلاب حق مقدس ولا سبيل الى تفاهم صاحب الحق ، ومغتصب ذلك الحق ، الا بأن يرد المغتصب الحق الى صاحبه ، لقد فاوضنا الانجليز جماعة ، ثم وقع زعماء الاحزاب جماعة باستثناء الحزب الوطنى معاهدة سنة ١٩٣٦ تلك التى اجلت معركة الجلاء عشرين عاما ، وضاع بذلك الدم الذى قدمه شباب مصر فى معركة ١٩٣٥ ؛ فلا الدستور الذى عاد الينا قد احترم ، ولا المعاهدة التى طبلنا وزمرنا لها قد نفذها الانجليز ، وهكذا أطفئت الثورة بمعاهدة بل بقصاصة ورق » .

وخلاصة ما أريد ان اقوله ان جيل ثورة ١٩١٩ قد صدم بمعاهدة ١٩٣٦ لانه كان يطمع وقد التأمت الأحزاب بعد تصدع ، واتحدت كلمة الأمة بعد فترة من التمزق طالت حتى حسبها البعض دهرا من الدهور .. كان شباب جيل ثورة ١٩١٩ يطمع فى ان ينتهز الزعماء والقادة الحركة الوطنية القوية التى قامت فى ١٩٣٥ لتحقق لمصر حريتها واستقلالها ؛ فلم يفعلوا أكثر من أنهم جعلوا الاحتلال البريطانى لمصر قانونيا بعد ان كان قبل المعاهدة غير قانونى وكان شباب مصر يتوقع من الوفد ان يسير فى خطة استقلالية بحتة تحول دون تدخل السراى والسفير البريطانى فى شئون مصر ، غير أن زعماء الوفد ــ فيما يبدو لنا جليا ــ قد آثروا السلامة بعد كفاح طويل ورغبوا فى الهدوء ليتيسر لهم الحكم لفترة أطول ؛ يعيدون فيها تنظيم حزبهم الذى كان قد منى بانقسامات عديدة وصلت الى قواعده .

لقد قبل الوفد مثلا بعد معاهدة ١٩٣٦ ما سبق أن رفضه فى ١٩٢٤ .

قبل من فاروق ومن الانجليز ما لم يقبله سعد زغلول من قبل من فؤاد ومن الانجليز معا . سعد زغلول الذى اختلف ــ مثلا ــ مع الملك فؤاد حول تعيين حسن نشأت وكيلا للديوان الملكى دون أخذ رأى الوزارة ووصل الخلاف الى درجة تحكيم بيولاكازيللى رئيس لجنة قضايا الحكومة فى ذلك الوقت ، وكانت نتيجة التحكيم أن بيولاكازيللى أفتى بضرورة توقيع سعد زغلول على المرسوم الملكى الصادر بتعيين حسن نشأت ، وقد نفذ الملك فؤاد ما جاء فى قرار التحكيم الذى اتخذه بيولاكازيللى ، غير أن الوفد تراجع فى عام ١٩٣٧ فقبل تعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى دون أخذ رأى وزارة الوفد ، بل أن الملك لم يكتف باتخاذ القرار واصداره وانما أعلن فى مواجهة الوزارة « أعين من أشاء فى أى وقت أرى وأشاء » وتمتد ، عدوى التراجع ، الى بقية الأحزاب الوطنية المصرية حتى الحزب الوطنى الذى ظل محافظا على تقاليده الوطنية لا يقبل الحكم ما دام الاحتلال الأجنبى قائما ، هذا الحزب ، يقبل رئيسه حافظ رمضان الاشتراك فى وزارة محمد محمود باشا ، ودون موافقة اللجنة الادارية للحزب .

حزب الأحرار ، الذى ألف رئيســـه الوزارة بعد اقالة وزارة مصطفى النحاس بناء على جهود على ماهر ، هذا الحزب لم يلبث ان اقيل رئيسه من رئاسة الوزارة بدسائس على ماهر ، لم يحرك الحزب ساكنا ، فينتقم من على ماهر ، أو على الأقل يحاول كشف مؤامراته ؛ ولذلك فان شباب ثورة ١٩١٩ بعد أن رأى ما رأى من زعماء الأحزاب ومن تسلط السراى ودار الســـفير البريطانى قد ابتدأ يبتعد عن الأحزاب ويفكر تفكيرا مستقلا .

لقد أقيلت وزارة مصطفى النحاس بخطاب بالغ القسوة والعنف لأنها خانت الدستور ولأنها ابتعدت عن احترام الحريات العامة وحمايتها ، ورغم اعتراف الشباب بالأخطاء التى وقعت فيها تلك الوزارة وهى لا شك اخطاء كثيرة وكبيرة ، الا أنه غضب لاقالة وزارة تتمتع بالأغلبية البرلمانية وكم كان الشباب يود لو أن حزب الوفد الذى يشكل الأغلبية البرلمانية ، والذى **يعتمد** على أقوى قاعدة شعبية لم يقبل الاقالة كما قبلها ، بالهدوء والاستكانة . . كان الشباب يتمنى لو لم يقف الوفد ساكنا ازاء اعتداء السراى على الدستور خاصة ؛ وانه كان فى ذلك الوقت ، يملك القوة الشعبية التى تستطيع اجبـار السراى على التقيد بالدستور .

وتجىء وزارة محمد محمود ــ وزارة الاقلية ــ لتطرد الأغلبية الشعبية ولتكون أداة طيعة فى يد السراى التى كان يحركها على ماهر ولعـل النكتة السياسية التى أضحكت الكثيرين ، وابكتهم فى نفس الوقت ، ان وزارة محمد محمود اجرت الانتخابات ففاز أنصارها بالأغلبية الساحقة بينما لم يفز حزب الوفد ــ حزب الاغلبية الشعبية ــ الا بثلاثة عشر مقعـدا فقط ، وكان على ماهر ، الذى اقال وزارة النحاس والذى اختار محمد محمود خلفا له قد عمد الى تسميم الآبار أمام محمدمحمود ولما أحس علىماهر بأن الأجواء قد أصبحت ملائمة ليتولى هو الحكم ، بعث عن طريق سعيد ذو الفقار ــ من كبار رجال القصر ــ الى محمد محمود ليقول له انه بناء على ارادة الملك ينبغى عليه أن يرحل ، وقد رحل الرجل فى ١٢ أغسطس ١٩٣٩ ، **والف على ماهر الوزارة الجديدة ولم تمض سوى بضعة أسابيع على تاليف تلك الوزارة الا وبدات الحرب العالمية الثانية ، وعلى الفور نفذت الوزارة المصرية معاهدة الصداقة والتحالف فأعلنت الأحكام العرفية** ، وكان على ماهر ــ كأى رجل ذكى ــ يعرف جيدا أن الشعب المصرى ، يريد الابتعاد عن الحرب ، وكان قد انشأ ما أسماه بالجيش المرابط الذى يمتص الشباب الذى يزيد عن حاجة الجيش العامل ولم تنقض مدة التزامهم بالخدمة العسـكرية ، بالاضـافة الى اعداد كبيرة من المتطوعين ، وجعل على راس هذا الجيش رجلا له فى سـجل الجهـاد الوطنى صفحات نيرة ذلك هو عبد الرحمن عزام كما تستعين وزارة على ماهر ببعض

الشخصيات الأخرى ذات الماضي الوطنى ، كصالح حرب .. وتدخل ايطاليا الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ ويدعى البرلمان الى جلسة سرية لسماع بيان الحكومة عن سياستها ازاء دخول ايطاليا الحرب ويقر المجلسان ــ مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ ــ سياسة الوزارة الخاصة بتجنيب مصر ويلات الحرب مع وفائها بالتزاماتها وتقديم أكبر معونة للحليفة فى دفاعها عن الحق والعدل فى حدود معاهدة الصداقة والتحالف وان يكون موقف مصر موقفا دفاعيا ، على أن تقطع الحكومة المصرية العلاقات السياسية مع ايطاليا وتعتقل معظم رعاياها .

ويتحرك الوفد المصرى فى الوقت المناسب بالنسبة له كحزب جماهيرى ففى أوائل ابريل ١٩٤٠ يقدم الوفد مذكرة الى السفير البريطانى ليبلغها بدوره الى الحكومة البريطانية طالبا فيها التصريح بانه عند انتهاء العمليات الحربية وعقد الصلح تجلو القوات البريطانية كلها عن البلاد مع بقاء التحالف بين البلدين واشتراك مصر فى التسوية النهائية ودخول الطرفين بعد الحرب فى مفاوضات للاعتراف بحقوق مصر كاملة فى السودان وكان من بين مطالب الوفد المصرى الغاء الاحكام العرفية ؛ وقد كان الوفد ــ فيما يتعلق بهذه المذكرة ــ موضع مؤاخذة شعبية ؛ لأنه تقدم بمذكرته الى الحكومة البريطانية، ولأن المذكرة اشتملت على بعض الأمور الداخلية التى كان يجب الا تقحم فيها بريطانيا لأن الغاء الأحكام العرفية مثلا مطلب مصرى ، ولأن الوزارة المصرية هى التى أعلنت الأحكام العرفية ، كما أن الوفد لم يعمد الى الغاء تلك الاحكام عندما جاء الى الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وتزداد الدسائس ضد وزارة على ماهر ــ وكان الوفد يكن عداء من نوع خاص تجاه على ماهر ــ ويتهم على ماهر ، من قبل السفارة البريطانية بأن له ميولا محورية ، وتوجه الحكومة البريطانية انذارا الى الحكومة المصرية مؤداه انه لم يعد من سبيل الى التعاون بينها وبين الحكومة المصرية ، وبمعنى أوضح فان على وزارة على ماهر باشا أن ترحل ، وترحل وزارة على ماهر فى اواخر يونيو ١٩٤٠ بعد ان يعلن على ماهر ، ولأول مرة فى تاريخ الوزارات المصرية الأسباب الحقيقية التى أدت الى الاستقالة ، ((لقد أصبح الاستمرار فى الحكم ــ هكذا قال على ماهر فى خطاب استقالته ــ متعذرا لأسباب خارجة عن ارادتنا وارادة الشعب المصرى ــ وربما كانت كلمة ارادة الشعب المصرى هذه قد وردت لأول مرة فى وثيقة رسمية ــ لهذا أرانى مضطرا الى رفع استقالتى)) ويرفض الوفد الذى شارك فى اجتماع خاص لبحث استقالة على ماهر ــ فى قصر عابدين ــ يرفض فكرة الوزارة القومية لأن التجارب قد أثبتت ــ كما قال ممثلو الوفد ــ فشلها ، ويخلف حسن صبرى باشا فى رياسة الوزارة على ماهر ، وتمد وزارة حسن صبرى امتياز البنك الأهلى لمدة أربعين عاما ،

الأمر الذى أسعد الدوائر البريطانية المالية والاقتصادية ، تعلن حكومة حسن صبرى حرصها على الوفاء بالتزاماتها تجاه الحليفة بريطانيا بتنفيذ معاهدة الصداقة والتحالف روحا ونصا . . **ويوافق البرلمان — فى ١٢ يونيو ١٩٤٠ — على سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، ويرفض أعضاء الحزب الوطنى ، فى مجلس الشيوخ والنواب منح وزارة حسن صبرى الثقة لأنهم لا يقرون معاهدة ١٩٣٦** ؛ ويقوم خلاف عنيف داخل الحزب الوطنى لأن حافظ رمضان قبل الاشتراك فى وزارة حسن صبرى فأيده فريق من أعضاء اللجنة الادارية ، وعارضه البعض بزعامة عبد الرحمن الرافعى ؛ وقد ظل الخلاف قائما ، حتى نوفمبر ١٩٤٦ حيث تم الصلح بين الفريقين ، وتبدأ المناوشات بين القوات البريطانية والايطالية . وتظهر فكرة اعلان مصر الحرب على ايطاليا ، اذا اجتازت ايطاليا الحدود المصرية ؛ وفى جلسة سرية يعلن البرلمان ثقته بالحكومة المصرية ، تأييده للقرار السابق الصادر من البرلمان فى ١٢ يونيو ١٩٤٠ . وكان وزراء الحزب السعدى قد نادوا بدخول مصر الحرب وعرضوا وجهة نظرهم فى مجلس الوزراء فلما رفض مجلس الوزراء الأخذ برأيهم قدموا استقالتهم من الوزارة لأن دخول مصر الحرب خير لها وأصون لاستقلالها .

ويرد حسن صبرى على خطاب استقالة الوزراء السعديين ردا عنيفا « لأن التربث أحجى وأخلق حين البت فى مصائر البلاد وأقدارها حتى تكتشف خفايا النيات وتتأكد بوادر الغايات فما كانت مصائر الأمم لتعالج بالخفة والتطير من كل حادث طارىء وانما تقاس وتعالج بالمرونة والتدبير ، وتقدير العواقب » وتستمر الوزارة بدون السعديين ، كما كانت بهم ففى مثل هذه الحالات وبالنسبة للمستوزرين والخائفين على مراكزهم النيابية يصبح الأمر سيان ، ويشترك السعديون فى وزارة حسين سرى الذى كان قد خلف حسين صبرى عندما توفى فى ١٤ نوفمبر ١٩٤١ فى مجلس النواب اثر أزمة قلبية .

وكان الوفد فى تلك الفترة يصعد الخلاف مع بريطانيا — ويتلقى الوفد — عن طريق السفير البريطانى — رسالة من وزير الخارجية البريطانية ، يقول فيها : « أبلغوا النحاس باشا ، أن الحركة التى قام بها وظهرت على الناس قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية وان الحكومة البريطانية لا تستطيع الا أن تعتبر قرارات الوفد محاولة مقصودة لكى يلعب دورا فى السياسة الداخلية ، فى حين أن بريطانيا العظمى وهى مشتبكة فى صراع ليس أثره على مصير مصر واستقلالها بأقل منه على بريطانيا العظمى ذاتها » ، وتنفى رسالة وزير الخارجية البريطانية استعدادها للوعد بالجلاء ، بعد الحرب ،

وعن مطالبة الوفد بالغاء الأحكام العرفية تقول رسالة وزير الخارجية البريطانية :

ان الوفد يطالب بما يعتبر تدخلا منا فى السياسة الداخلية المصرية .. على النحاس انه وهو أحد الموقعين على المعاهدة يبدو لى أنه غير مفهوم وأن يشعر النحاس باشا بأنه يريد التشكيك فيما للمعاهدة من صفة منطقية ورسمية وان وزير الخارجية البريطانية ليسعده أن يتأكد أن النحاس باشا سيعمل جهد طاقته لتخفيف أثر تلك الحركة التى لم تقترن بالسداد » غير أن الوفد الذى كان يعرف جيدا صعوبة الظروف التى تمر بها بريطانيا لم يتراجع ـ وخاصة فى الخطاب الذى ألقاه رئيس الوفد المصرى فى رأس البر ـ عن مواصلة التنديد ببريطانيا ، وموقفها من المطالب الوطنية ثم تزداد أزمة التموين فى مصر ، ويعم القلق والسخط أرجاء البلاد ، ويقترب الالمان من الاسكندرية وتنطلق المظاهرات فى جميع انحاء البلاد تهتف: الى الامام يا روميل ، الى الأمام يا روميل ، وتبلغ الأزمة المصرية الذروة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وتمر بمصر مرحلة من أخطر مراحل تطورها فتقف أمام منعطف تاريخى هائل .. اذ يبدأ شباب الجيش المصرى التحرك ـ ولأول مرة بعد الثورة العرابية ـ للمشاركة عمليا فى تحرير البلاد من الاحتلال الأجنبى .

والذى أريد أن أقوله ان شباب الجيش المصرى الذى دخل الكلية الحربية لأول مرة بعد معاهدة ١٩٣٦ قد بدأ يفكر ـ وبعمق ـ فى مستقبل بلاده منذ أن خطا خطواته الأولى الى الكلية الحربية ثم بدأ يعمل وبقوة وعنف فى ذلك الحقل الوطنى ـ بعد المزيد من التفكير ـ منذ أن تخرج من الكلية الحربية .

يروى أنور السادات فى كتابه صفحات مجهولة ـ قصة بداية التفكير الثورى عند شباب الضباط الذين كانوا وقتئذ ، صغار السن ، صغار المناصب ؛ كبار الآمال وأفرى الشباب « ضباط لم تزد رتبة أحدنا عن الملازم ثان .. يتحرك طول النهار فى الجبل ، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب وكانت فى القلوب نار ، نار لا تنطفىء لأن وقودها يتجدد فى كل لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة ، ومما يقع أمام أعيننا ، كل يوم من الصباح الى المساء ، كانت آمالنا الكبيرة وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الأحداث ، فقد كنا ضباطا صغارا وكان لنا قواد ، وكان هناك أيضا انجليز ، وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا ، والا الانحناء أمام الانجليز ، ولكنا نرى هذا الوضع الكريه فنحترق ونسخط ، ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم .. وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى ،

وفى تلك الأوضاع الرهيبة الا أن يسكت ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى حشاه .. هكذا كانت أيامنا .. ولكن ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا ، ففى جو من الصداقة والألفة كنا نجلس فنمرح ، ونندب فى هذا المرح ، شقاء اليوم الطويل ، شقاء الجسد ، وشقاء النفس ، وشقاء الغربة فى جبل بعيد » .

وعن تلك الاجتماعات التى كانت تعقدها مجموعة من الضباط الصغار الأصدقاء ، يقول السادات :

« ولم يكن أحد يدرى أنها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر وأن اجتماعها فى تلك البيئات البعيدة ، لن يكون مجرد صدفة تمر ويتشتت من بعدها شمل الأصدقاء وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير وان كنا قد أخذنا حياة قوادنا الكبار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح ، فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئا ، فقد ألقى علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل اليها حتى شعرنا بأن الذى وصل غاز من غزاة الترك .. كان يرى نفسه بيننا مثلما يرى السلطان عبد الحميد نفسه بين معالم اسطنبول ؛ الآمر الناهى الفظ الذى لا يناقش ، وأصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التى وصل اليها اللواء سيف الى منقباد ، كان هذا هو اسمه ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد لأنه كان يفرض علينا تقاليد السلطان ، وبدأنا نيأس من خدمة الجيش ، وأعد بعضنا استقالته فعلا ، من هذا الجيش الذى يضم بين قواده السلطان عبد الحميد ، واشتدت الصلات بين كل منا ، وبين المجموعة الكاملة حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الكل ، وأصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة وأصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لأن كل عمل يأتيه فرد منها سينسب الى الجماعة شاءت أم لم تشأ ، علمت بالأمر أم لم تعلم . وقد أخذ هؤلاء الشباب — فى منقباد — يبحثون عن أسباب البلاء الذى ينزل بمصر ، واستقر الرأى على ان الانجليز هم أصل البلاء وارتبطت مجموعة صغيرة من الشباب الصغار بفكرة الحياة ، وبدأت هذه المجموعة تنزع من أعماقها زهو الشباب وحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصاد فى الأمل ، ثم يتفرق شمل المجموعة وكانت الحرب قد بدأت والأعصاب قد توترت وأرينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح ، ولكن الحلم لم يذب ، والفرقة لم تستطع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى أقسى الظروف التى حلت بها ، وفهمنا مع الأيام هذا الدرس ، وهو أن الصداقة القوية تقوم على نقاء ، وطهر ، وعندما تتركز أيضا حول فكرة فانها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الأصدقاء بل هو أكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع

المعجزات .. والذى وقع بعد تلك الايام هو الاثر القوى لهذه الصداقة ، النقية التى ربطتنا فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا وكنا ـ هكذا يقول انور السادات ـ اذ نفترق لا تفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة وكل ما هناك أن أحدنا كان عندما يجد الفرصة للعمل يعمل مستقلا بارادته فى ظاهر الأمر ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة ، وعهدها المقدس .

ويصور انور السادات باسلوبه الرائع الظروف التى كانت تمر بها مصر، والظروف التى كان الشباب يمرون بها ايضا فيقول : « لم نكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نفعل . لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنافى تخليص البلاد من جنود الانجليز ولم تكن الفرصة لذلك تسنح اثناء الحرب وقد سيطر الانجليز ، على كل مرفق من مرافقنا ، واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا ؛ بل لقد نحارب الى جانبهم ايضا ، وسنحت أول فرصة لنا فى مرسى مطروح ، ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم نستطع أن نحقق منها هدفا كبيرا ، استطاعت هى أن تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملى ضدهم فى جيش مصر ، كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة فقد بدات جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ، وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات : قطاعين بريين يحتلهما الجيش المصرى وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز ، كنا نحارب ، رغم أن مصر لم تكن قد أعلنت الحرب ، وكانت سياط العذاب التى تلسعنا نحن الجنود والضباط تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الأحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد .

كان موقف مصر من هذه الحرب موقفا مائعا .. ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة . وكان من المؤكد أن هذا الموقف ان تحدد فلن تكون مصر هى التى تحدده على وجه التأكيد ، كانت سياسة مصر التى اعلنها رئيس حكومتها عند اعلان الحرب هى سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب .

ولم تكن مصر ، تستطيع أن ترسم لنفسها سياسة أوضح من هذه أو أكثر حسما ، وتحديدا ، فقد كانت هناك المعاهدة ، وكانت جنود الاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور مطاراتنا ، وتنطلق منها الى الميادين القريبة الحافلة بالموت ، ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه ، ومخازن ذخيرتهم ترصع أرجاء الوادى بالبارود والقنابل وأسلحة الدمار ؛ وكانت أرضنا فوق ذلك حقلا كبيرا يشرب حبات العرق ، من جباه آبائنا ، واخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ، وكان موقفا نحن ضباط

الجيش وجنوده ، هو الموقف الضنك ، فسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب» لم يكن معناها أننا لن نحارب فعلا وكان الذى يشقينا هو ان نسأل ا... سنا نحارب من أجل من ؟ .. فهل كانت سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب تحمل هذا المعنى واضحا وترسم خطة كاملة الى نهايتها ، لقد كانت تشير الى شيء او ترنو الى أمل ، وهذا الشيء وهذا الأمل هو الذى فهمته مصر منها ، وفهمه الانجليز أيضا ، فهمته مصر ، فحاولت أن تستبشر به ، وفهمه الانجليز فأبرق رئيس وزرائهم تشمبرلن الى سفير انجلترا كيلرن ، برقية قصيرة حاسمة أى يجب أن تستقيل حكومة على ماهر ، وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لا يرد ، فاستقالت حكومة على ماهر لأنها اشارت الى شيء ورنت الى أمل وفهم الانجليز الشيء والأمل ؛ لم يكن أمر مصر ، اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانجليز وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه فلا يلبث أن يرتد الى الماضى ، الى الحرب العالمية الأولى ، التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى احشائها ، يحملون الروث ليدفنوا تحت اكوامه ، ويلعقون العرق ليوفروا كؤوس الشراب للانجليز ؛ ويجلب الماضى صور بعضه بعضا ، فلا يشير الى بارقة أمل فى مستقبل البلاد تحت هذه الأوضاع ، يجلب صورة الثورة المجيدة ، التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩ فاطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم وأصبحوا أحزابا ... مطايا للانجليز .

ويجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشباب عام ١٩٣٥ ليجمع الأحزاب فى حزب واحد لمصر ، فاجتمعت الاحزاب فى حزب واحد ليوقع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز .

ويجلب صور شقاء كثير ، فقر وعرى وانقسامات ، وتضحيات ودماء يتحالف فوق انقاضها الزعماء والانجليز .

وما تغير الزعماء ، ولا خرج الانجليز .

ولكن قامت الحرب وبدأت بوادر شقاء جديد . ماض كله حسرات ومستقبل كله مخاوف وحرب قائمة لابد أن تصلاها حتى فى ظل « سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب » ، وفجأة علمنا أن أوامر من قيادتنا ستصدر لنا ، وعلمنا أن هذه الأوامر كانت تقضى بأن تنسحب الفرقتان المصريتان اللتان تقومان بالدفاع فى القطاعين البريين ، لتحتلهما قوات بريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن المنطقة كلها .

والى هنا كانت الأوامر ، بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق الأخير فيها كان يقضى بأن نترك سلاحنا لتتسلمه القوات البريطانية التى ستحتل القطاعين ، وهاج الضباط وماجوا .

وتحرج الأمر جدا .

وصممنا على ألا نترك سلاحنا ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا .

وكنت أجد فى هذا الاجراء فرصة مناسبة لنجعل من « فكرة الحياة » حقيقة مجسمة يشارك فى حمل أعبائها الجيش كله ، والشعب كله ، أيضا وكنت أعتقد أن اى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام الى الأمام .

وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشي أحمد حسن وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشي بلا استثناء . كانت قوتنا هناك قوة مختلطة تسمى القوة الحقيقية وكانت تتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهرة سلاح المدفعية وبقية الأسلحة الأخرى ، فوضعنا خطتنا على أساس أن تعود هذه القوات فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ثم تفرض حكومة على ماهر ، مرة أخرى بعد استقالته المعروفة المدوية .. كنا اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال فى شهر يوليو ، وكان الشعور القوى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد ، وصدرت الأوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك أسلحتنا ، فرفضنا ترك السلاح ، وتقدمنا الى القاهرة ولأكثر من سبب تبين لنا أن تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف اننا لن نستطيع أن ننجح فيها الى نهايتها ؛ فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة واعتبرنا هذا نصرا كافيا لنا فى رحلة جهادنا الأولى ، وعلى الرغم من كل الأحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة ، والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها اى شيء ، ولكنهم فى الوقت نفسه أدركوا سيطرة روح العداء ، لهم على ضباط الجيش الصغار ، وأيقنوا أن هذه الروح قد تلعب دورا أخطر من ذلك الدور فى يوم قريب ، وبدأنا نحن نكون هدفا ، لعيون الانجليز حيثما كنا فى القاهرة ، أو فى أى سلاح من أسلحة الجيش ننتقل اليه ، والكسب الأكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة هو عودتنا الى القاهرة فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصدقاء منقباد ، ما عدا جمال الذى كان لا يزال فى السودان .

وفى القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز ، وأخذنا نفكر فى شيء نقوم به على أساس من الدراسة الكاملة وبحيث يكون توقيته الكامل فى أيدينا ، نحن لا فى ايدى الظروف وحدها ! ! وكان فى خيالنا رجلان نريد أن نتصل بهما وأن نشركهما معنا فى عملنا الكبير : على ماهر ، صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية ، وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش وهو الذى وقع عليه اختيارنا ليقود ثورتنا ، وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر فلم نستطع .

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصرى فاستطعنا .

بين..
عزيز المصرى وأنور السادات

قصة كفاح طويلة امتدت اكثر من خمسة وثمانين عاما امتلأت بالهزائم والإنتصارات وخلدت الكثير من صور البطولة والتضحية والفداء ، تلك هى قصة كفاح عزيز المصرى او عزيز على المصرى كما يطلق عليه بعض الأخـــوة العرب : ان تاريخنا المعاصر لم يعرف شخصية كشخصية عزيز المصـرى استطاعت بما توفر لها من جرأة وايمان ، وتضحية ونكران ذات ، أن تضع بصماتها على كثير من صفحات التاريخ العربى طوال النصف الأول من القرن العشرين ... اشترك عزيز المصرى فى مطلع شبابه فى اخماد ثورة شـعوب البلقان التى قاموا بها ضد الحكم التركى ، وكان عزيز المصرى موزعا بين ما فى جوانحه من نزعة الى الحرية تفرض عليه عـدم الاشتراك فى محـاولة القضاء على أية ثورة ؛ وبين الانضباط العسكرى . على أية حال فقـد عامل الشعب البلغارى الثائر معاملة طيبة حتى لقد أصبح ساندتشكى ـ زعيم الثوار البلغارى ـ فيما بعد من أخلص أصدقاء عزيز المصرى ، شارك فى عام ١٩٠٨ فى حصار قصر السلطان عبد الحميد ـ رمز الطغيان والفساد ـ من أجل ارغامه على اصدار الدستور ، والافراج عن المعتقلين والغاء الرقابة عـلى الصحف وغيرها من وسائل النشر ؛ واستخدم عزيز المصرى ذكاءه ودهاءه ، فى مهاجمة القصر حتى أنه وضع فرقته فى قطار ضخم من قطارات البضـائع وغطاه بما تيسر له الحصول عليه من وسائل التغطية الى ان دخل العاصمة التركية بصورة عادية ومن محطة (السركجى) ودون أن يشعر أحد ، أمر رجاله بالخروج من القطار ، والتجمع فى شارع من شوارع العاصمة والهجوم على قصر السلطان عبد الحميد وقد نجحت الحركة ؛ بفضل ذكاء عزيز المصرى وجرأته ، وقد كافأه محمود شوكت (باشا) بأن عينه استاذا لفن التعبئة فى

الكلية الحربية ، وبعد ستة أشهر من الاشتغال بالتدريس طلب عزيز المصرى أن يعود الى الجيش العامل لانه لا يطيق البعد عن الميدان وبعد أن استعاد السلطان عبد الحميد حرية الحركة اعتقل عزيز المصرى ، غير أن محمود شوكت (باشا) وكان قائد حامية سالونيك بادر بالزحف على الاستانة واطلاق سراح عزيز المصرى بل والقبض على السلطان نفسه ، وارساله الى معتقل سالونيك ، وخلعه عن العرش ، لعب عزيز المصرى دورا هاما فى مقاومة الغزو الايطالى لبرقة وطرابلس وحقق انتصارات رائعة ولولا المؤامرات التى دبرت ضده فى العاصمة التركية ، لاستطاع أن يدحر قوات الغزو الايطالى ، واضطر عزيز المصرى الى العودة الى مصر ومعه ثلاثمائة من رجاله بعد أن قطعوا على ظهور الجمال وسط الصحراء القاحلة مسافات طويلة فى مدى شهر كامل وعين عزيز المصرى بعد ذلك قومندانا لفرقة تعسكر فى ولاية قونية ومع استمرار المؤامرات ضده اضطر الى الاستقالة فى ٢٠ يناير سنة ١٩١٤ .

وفى ٩ فبراير سنة ١٩١٤ قبض على عزيز المصرى وقدم الى المحاكمة .. و .. وحكم عليه بالاعدام وكاد ينفذ فيه حكم الاعدام لولا أن الشعب العربى فى كل أرجاء الوطن العربى — وخاصة فى مصر — قد ثار ضد هذا الحكم الجائر فأجبر السلطان التركى على الافراج عنه .

ويعود عزيز المصرى الى مصر بعد الافراج عنه فتستقبله مصر استقبالا رائعا ويكتتب الشعب بتكاليف قطار خاص ينقل عزيز المصرى من الاسكندرية الى القاهرة حيث استقبله عشرات الألوف من أبناء العاصمة استقبالا لا مثيل له .

وتتوالى الأحداث : يكون عزيز المصرى وزيرا للدفاع فى أول حكومة شكلها الشريف حسين .. يتولى قيادة الجيوش العربية التى كانت تعمل لاستقلال العرب ويصر على ألا يتناول أى أجر نظير قيامه بتلك القيادة ...

ولم يسمح له بالعودة الى مصر الا فى عام ١٩٢٤ ، يعين فى ١٩٢٨ مديرا لمدرسة البوليس فيحدث فيها انقلابا خطيرا ويتمكن عزيز المصرى فى خلال فترة قصيرة من توليه ادارة تلك المدرسة من تحويل مدرسة البوليس الى قلعة من قلاع الوطنية .. **يعين مفتشا عاما للجيش المصرى ، ثم رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ..**

ويخوض عزيز المصرى المعارك العنيفة فى هذين المنصبين . ضد البعثة البريطانية التى كانت بناء على معاهدة ١٩٣٦ تتولى تدريب الجيش المصرى وفى حقيقة الأمر تسيطر على كل صغيرة وكبيرة من أموره وتحاول جهد الاستطاعة ، عرقلة أى تقدم للجيش المصرى ؛ كما يخوض فى الوقت نفسه

العديد من المعارك ضد كبار ضـباط الجيش المصرى الذين كانوا يأتمرون بأوامر رجال البعثة البريطانية وضد وزراء الحـربية الذين كانوا بدورهم أسرى لتعليمات البعثة ؛ والذين كانوا يقفون باستمرار ضـد أية رغبة فى الاصلاح يقوم بها عزيز المصرى ، ويبعد عزيز المصرى ذات مرة بدعوى الحاجة الى قيامه بزيارة عدد من المناطق النائية .. ويعود عزيز المصرى من زيارته التفتيشية الاجبارية ليقدم تقريرا الى وزارة الحربية يطلب فيه عـلاوات وترقيات للضباط المصريين ، كما يطلب فى ذلك التقرير ، مبالغ من المـال للنهوض بالجيش فى تلك المحافظات ، ولم يتطرق عزيز المصرى فى تقريره الى أية مسألة عسكرية ، فلما سأله وزير الحربية عن السبب فى ذلك قال له « لأنك رجل غير عسـكرى ، وبالتـالى فأنت لا تفهم شـيئا فى الشـئون العسكرية » ومرة سأله أحد وزراء الحربية عما يفعله فى مسـألة عسكرية ، قال له « انت لا تفهم فى هذه الشئون العسكرية واذا ما أردت أن تحقق أمرا فانك لا تستطيع دعنى أجلس مكانك لأنفذ ما تريده لأننى قادر عليـه أما أنت فتجهل كل شىء والجاهل لا يستطيع تحقيق أى شىء » .

ومن المضايقات التى اتبعت مع عـزيز المصرى انه عاد من اجازته ذات مرة ليجدهم فى الوزارة قد نقلوا مكتبه الى مكان غـير معروف ، ومرة زار العراق لأمر خاص وسأله الصحفيون وهو واقف امام الطائرة عن سبب سفره فقال ضاحكا : « سأسافر الى بغداد لأنى قاضى ، والقاضى يعمل قاضى» وظلت علامات الاستفهام تتزايد ، وتتزايد حول تلك الرحلة الى أن عاد منها التف حوله الصحفيون يسألونه عن تلك الرحلة التى اهتمت بها الصحافة فأجاب فى سخرية بالغة : أليس عجيبا أن تهتم الصحف بنزهة أقوم بها الى العراق ، لا تستغرق ، عدة أيام ؛ دون أن تهتم بالعطلة الطويلة التى تمنحنى اياها الحكومتان الأخيرتان ، والتى تجاوزت سنتين ، وأنا مفتش عام الجيش المصرى واتقاضى مرتبا ، عن تلك الوظيفة .

اننى أدهش حقا عندما أجد الصحافة تقوم قيامتها من أجل غيابى بضعة أيام ثم تغمض العين عن تلك الأجازة القهرية التى أتمتع بها بالرغم منى .. لقد حيل بينى وبين اختصاصات منصبى واداء واجبى » ...

واستسمح القارىء فى أن أنقل فقرة نشرتها مجلة مصر الفتاة فى عددها الصادر فى أول يولية سنة ١٩٣٩ تحت عنوان « عزيز المصرى » جاء فيها : ضابط ممتاز لا قرين له فى مصر ، وهو أعجوبة الأعاجيب فى ثقافته وعلمـه الواسع الغزير والذى يدهش من يراه لأول مـرة : لم يتلوث يوما برشوة ، أو مال ؛ . . . لا زيف فى عقيـدته ولا نفـاق ، فلا عجب أن اعـتز بشخصيته ورفض دائما أن يـكون ألعـوبة فى يد كائن من كان ، الا أن تكون

معاونته للخير العام ، فما أن اكتشف على ماهر باشا ذلك حتى أزور عنه وأعرض وبعد أن كان يقسم ويتعهد أنه لا يكاد يصل الى شيء من السلطان والنفوذ حتى يقتسمه مع عزيز باشا المصرى اذ به وقد أصبح قادرا فعلا على معاونة عزيز باشا المصرى وتمكينه من القيام بواجبه خصوصا وقد خطا محمد باشا محمود فى هذا السبيل خطوة محمودة فى بدء حكمه بأن عين عزيز باشا المصرى مفتشا للجيش وكان على باشا ماهر ، قد وقف موقفا سلبيا من عزيز باشا المصرى ولسنا نريد أن نذهب الى الحد الذى يقوله محمد باشا محمود من أن على باشا ماهر ، هو الذى يقف حجر عثرة فى سبيل عزيز باشا المصرى : لسنا نريد أن نذهب الى هذا الحد ، فعندنا أن محمد باشا محمود يغالى فى هذا أو يريد أن يدافع عن نفسه ، ولكنا لم نعد نستعيد أن يكون هذا صحيحا لأن عزيز باشا المصرى الذى كان على باشا ماهر يتصل به كل يوم ، ويزوره فى بيته لم يعد يرى على باشا ماهر ، بل لم يعد على باشا ماهر يعلق على أمره شيئا ، وليس ذلك الا لأنه اكتشف أن عزيز باشا المصرى لا يمكن ابدا ان يكون صنيعة لأحد ، بل هو رجل يقف معه على قدم المساواة» وفى كتاب « نضال شعب مصر » لمحمد عبد الرحمن حسين كلام كثير عن عزيز المصرى الذى حاول ــ عندما عين مفتشا عاما للجيش المصرى أن ينفث فيه من روحه ما يريد له من نهضة وتحرير ، ولكنه اصطدم بالبعثة العسكرية الانجليزية مرارا ، وحطم أوامرها واقتراحاتها وأوقف رئيسها الجنرال مكريدى عند حده ومنعه من التدخل فى شئون الجيش فطالبوا باخراجه وعزله ، وتم لهم ذلك وكانت الحرب قد أعلنت بين الحلفاء والمانيا فى سبتمبر ولم يكتفوا بذلك بل ظلوا ومن ورائهم البوليس السياسى المصرى يضيقون عليه الخناق ، حتى فى حياته الخاصة ولم يسكن البطل للاضطهاد أو الظلم ، بل وقف كالطود أمام الأحداث التى مرت به يساعد الوطنيين ويبث تعاليمه فيهم وقد خاض معهم بعد ذلك معارك كثيرة ضد المستعمر فى محاولات بطولية لنيل الحرية والاستقلال » .

وكنموذج لما كانت تسير عليه الأمور فى مصر اثناء الحرب العالمية الثانية اذكر أن د. محمد حسين هيكل قد ذكر فى كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » ان الأستاذ توفيق بك خليل المحامى ، قد أخبر الدكتور هيكل أن مصنعا للأسلحة والذخيرة فى بلجيكا يمكن نقله الى مصر بثمن مقبول اذا رغبت الحكومة المصرية فى ذلك « وذهبت معه الى وزارة الحربية وقابلنا ــ أى هيكل ــ وزيرها صالح حرب (باشا) وخاطبناه فى هذا الأمر فاستمهلنا اسبوعا حتى يخاطب رئيس الوزراء وقال لنا صراحة .. أنتم تعلمون أن هذا الأمر لا يمكن أن يتم فى مثل هذه الظروف الحالية من غير موافقة انجلترا ..

وعن عزيز على المصرى يقول الدكتور محمد حسين هيكل .. « كانت الوزارة قد عينت الفريق عزيز المصرى باشا رئيسا لأركان حـــرب الجيش المصرى وعزيز باشا رجل على علم بالفنون العسكرية الألمانية ولم يخف فى يوم من الأيام اعجابه بألمـــانيا أما وموجة الاعجاب بانتصار الألمـــان ترتفع فى مصر وعزيز باشا هو رئيس أركان حرب الجيش المصرى والوزارة المصرية تأبى أن تعلن الحرب على المـــانيا والانجليز الرسميون وغير الرسميين فى مصر يشـــعرون فى أعماق نفوسهم بهول ما يصيب أبناء وطنهم فى ميادين القتال ويرون بأعينهم هذا الذى يقع فى مصر ويسمعون أن عبد الرحمن عزام (بك) وزير الشـــئون الاجتماعية وصالح حرب (باشا) وزير الحربية يتحدثان فى كل مجلس عن انتصارات الألمـــان وهزائم الانجليز فلا عجب أن تمتلىء نفوس الســـفير البريطانى واعوانه والمشيرين عليه من الانجليز المقيمين فى مصر حفيظة على هذه الوزارة التى رفضت مجاراتهم فى اعلان الحرب وأصرت على هذا الرفض وان يروا فيما تقدمه من المعونة لانجلترا فى حدود المعاهدة نوعا من النزول على الحكم لا يرضاه الا من ضعضعت الهزيمة نفسه فلم يعد قادرا على كبح جماح غضبه أو اخفاء حفيظته .

وعن عزيز على المصرى كتب مارسيل كولومب فى كتابه « تطور مصر » (١٩٢٤ ــ ١٩٥٠) فقال : فى اغسطس سنة ١٩٣٩ عين الفريق عزيز المصرى باشا رئيسا عاما لأركان حرب الجيش المصرى وكان هـــذا الضـــابط الكبير الذى قلما عرف الهزيمة فى المعارك التى خاضها فى طرابلس فى صـــفوف الجيوش العربية التركية ليقدم عن طواعية وعن طيب خاطـــر الأدلة على وطنيته المتطرفة .

ولذا فقد استقبل تعيينه فى هذا المنصب بتحفظ شديد فى لندن وبعدذلك بقليل وفى اول سبتمبر انشىءجيش مرابط وضع تحت قيادة وزير الأوقاف عبد الرحمن عزام وهذا الجيش الذى بلغ فيما يقال ٢٥ الف رجل كان محط آمال رئيس الوزراء وموضـــع عنايته وقد عمل قائده بهمة على أن يبث فى جنوده الحمية الوطنية التى تحركه هو نفسه منذ الوقت الذى كان يحارب فيه فى صف طرابلس العثمانية مثله فى ذلك مثل عزيز المصرى « باشا » وكانت شخصيته تشغل بال السفارة البريطانية مثلها كذلك مثل شخصية وزير الدفاع صالح حرب (باشا) وفى القاهرة كانت الهجمات المعادية لقضـــية الحلفاء تسرى وتنتقل من قسم لآخر وسرى الظن بأن بريطانيا العظمى تنتوى أن تعود لتفرض من جديد الاجراءات والقيود التى كانت قد فرضتها أثنـــاء الحرب العالمية الأولى وسرى القول كذلك بانها تريد أن تنشىء فرقة للعمـــال Labour corps شبيهة بتلك الفرق التى كان مجرد طريقة جميع أفرادها

قد خلف فى النفوس ذكريات مريرة وتردد الادعاء بأن أركان الحرب البريطانية قد اقترحت ارسال جيش من المتطوعين لخوض غمار الحرب على الجبهة الأوربية كما تردد فى ريف مصر بأن الدواب والمواشي سوف تصادر وبأن مساحة الأراضى المزروعة قطنا ستحدد ، بل لقد قيل أن مديرى المديريات المصريين سوف يستبدل بهم ضباط انجليز . وحتى لو حدث وكف الناس فى مصر عن اختلاق مثل هذه الأخبار فقد كانت أجهزة اذاعتى برلين وبارى تعمل على انتشارها ، وكانت هاتان المحطتان تستغلان بنجاح ملحوظ الانتصارات التى يحرزها الجيش الالمانى .. وقد طالب البعض برحيل البعثة البريطانية من البلاد او بمساهمة مصر بقسط اوفر فى ادارة السودان واقترح آخرون انقاص فترة بقاء القوات البريطانية الى عشر سنوات بدلا من عشرين ... وهكذا نهضت ــ كما يقول مارسيل كولومب ــ الروح القومية تدعمها الدعايات الألمانية والايطالية وتشجعها ــ بدهاء ــ كل من الحكومة المصرية والسراى ، وانتاب السفارة البريطانية القلق فزاد تدخلها وضغطها على رئيس الوزراء الذى اضطر للتخلى عن رئيس أركان الحرب ومنح الأخير مرتين متعاقبتين ــ أجازة لمدة ستة أشهر ثم أحيل الى الاستيداع فى ٧ أغسطس سنة ١٩٤٠. وفى بداية نفس العام وجه السير مايلز لامبسون فى خطاب القاه فى حفل العشاء السنوى لخريجى كلية فيكتوريا بالاسكندرية تحذيرا مليئا بالوعيد الى كل مثيرى الشغب على حد سواء ، ومن المفيد أن نذكر بعض ما جاء فيه: لنكن صرحاء ان بريطانيا العظمى ومصر مرتبطان بفعل القدر ــ اريد أن أقول العناية الالهية ــ وهناك فى هذه الآونة الأخيرة بعض من الثرثارين سيئى الطوية ممن ينسبون الينا كل انواع النوايا السيئة ، فهم يؤكدون أننا عازمون على التدخل المباشر فى الشئون الداخلية وكل هذا ليس سوى بلاهة فنحن مع كوننا حلفاء لمصر الا انه يهمنا أن نراها تتمتع بسلامها الداخلى » والى مثيرى الشغب يوجه مايلز لامبسون نصيحته . اننا نحن البريطانيين شعب يمتاز بالصبر ولكننا اليوم فى حالة حرب وليس من هدف لمجهودنا القومى الا أن نكسب الحرب .

ولذلك فان صبرنا اليوم تجاه الذين يهدفون الى مقاومة هذا الهدف العظيم لا يمكن أن يظل بغير حدود » « لقد كان على مصر فى ذلك الوقت أن تلزم جانب الحياد بأكثر مما كان عليها أن تفعل ذلك فى عام ١٩٣٩ » .. وينبغى أن نأخذ فى اعتبارنا أن غالبية الشعب المصرى انذاك كانت تشاطر رئيس الوزراء الرأى كما أن كافة الأحزاب السياسية المصرية كانت ترى نفس رأيه باستثناء الهيئة السعدية بزعامة أحمد ماهر « باشا » ... قاومت حكومة القاهرة ــ تدعمها السراى والرأى العام ــ كل ضغوط السفارة البريطانية وتلقت القوات

المصرية المرابطة فى الغرب الأوامر بعدم اطلاق النــار على الجنود الايطاليين .

« وأصبح الأمر موضوعا لخلاف سرعان ما ازدادت خطورته وكان رئيس الوزراء يريد اعلان القاهرة مدينة مفتوحة وخالية من القوات البريطانية وفى نفس الوقت سرت الشائعات بأن لندن تضغط على القاهرة كى تعلن الحرب على قوات المحور ، وبعد بضعة أيام توترت العلاقات بين الوزارة والسفارة الى حد خطير ، وفى ٢٩ يونيو فضــل على ماهر باشــا الاستقالة على أن يرضخ للنصائح التى لم يكف السر مايلز لامبسون عن اسدائها له ، وتفجرت الأزمة » واستسمح القارىء فى أن أنقل فقرات مما كتبه أنور السادات عن استاذه الأول عزيز المصرى ذلك الذى أثر على أنور السادات ورفاقه الضباط الشبان كما لم يؤثر أحد .. قال أنور السادات :

لقد صدرت أوامر الانجليز باعطاء الفريق عزيز المصرى أجازة اجبارية من رياسة أركانحرب الجيش ، وكان معلوما لنا أن وراء هذه الفعلة أيدى الانجليز وكان مجرد العلم بهذا كافيا لاثارة نفوسنا ودفعنا الى أى عمـــل قد يراه الكثيرون ــ فى مثل ظروفنا ــ من أعمال الجنون ..

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصرى لجيش مصر من قوة ومنعة ؛ وكنا قد بدأنا ننتعش بالنهضة الفعلية التى فعلها الرجل فى الجيش ، وكنا نسمع كثيرا عن القصص التى تروى عن محاولات عزيز المصرى الاصلاحيــــة والمشاكل والعقبات التى توضع أمامه والاحابيل والشراك التى تنصب له والتى عرفت بعد ذلك للاسف الشديد ان الذى كان ينصبهاله هم كبار ضباط الجيش المصرى نفسه ، وكنا قد تحققنا من الشرك الأخير شرك الخيانة الحقيقية تقع من ضباط كبار ، فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات ليسألهم عن مــدى حاجتهم فى أسلحتهم الى جهود البعثة الانجليزية ومدى ما حققته هذه البعثة فعلا من الاصلاح ، وكان الجيش كله ما عدا هــــذه الفئة يتمنى اليوم الذى تزول فيه وصمة البعثة الانجليزية من وحداته وأسلحته ، وتكلم عزيزالمصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين وكلام قائد لضباطه ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا ولكن ليذهبوا الى السادة الانجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم وعادوا اليــه فرادى ، عاد كل منهم وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحوم الاخرين ولعل كل واحد كان يرمى من وراء ذلك الى الظهور بمظهر الوطنى نفيا للشبهة عن نفسه والصاقا بها للاخرين اذ حدث أن وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة ، ولكن عزيز المصرى فهم كل شيء وأدرك انه بين جماعة من اللواءات لا يفضل واحد منهم اخاه الا فى خسة النفس وبطلان الضمير ولم تكن خيانات اللواءات هى كل ما أحاط

بعزيز المصرى من الشراك فقد كان الانجليز أحرص من الا يرصدوا عليه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الحاصلين على شهادات دراسية عليا ، والحاصلين على شهادة انجليزية فذة فى نوعها ؛ شهادة التخصص فى أعمال التجسس للانجليز كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك .

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل .. » ؟

وعن اللقاء الأول بعزيز المصرى روى انور السادات قصة ذهابه الى عيادة الدكتور ابراهيم حسن وكيل جمعية الاخوان المسلمين وكان عزيز المصرى فى مكتب ملحق بحجرة الكشف : يقول أنور السادات : كنت بحاجة أن أقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته .. وكنت أريد أن أقول له كلاما كثيرا وأكسب ثقته .

لكن رغم كل شىء ... رغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى وبينه ، كنت أشعر أن فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة الاصدقاء الكبار والشبان على السواء ..

ولكن النفس الصافية أبت ان تحملنى هذه المشقة .. وفى الدقائق الأولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد .. كان يائسا من الحكومات يائسا من الأحزاب ، يائسا من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب وقال لى :

عيب هذا البلد انه ضعيف وانه لا يجد العناصر التى تغذيه بالقوة ..

وسألته : وكيف تاتى بالقوة ؟

فنظر الى وقال

انتم شباب الجيش ماذا تنتظرون ؟ ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها ؟

وعدت أسأله .. وهل تظن اننا فى ظل الأوضاع القائمة نستطيع ان نفعل اليوم شيئا ؟ فاجاب وقد انتفض : تستطيعون كل شىء وغيركم لا يستطيع شيئا ، ماذا تنتظرون ؟ تنتظرون توجيها منى ؟ من لواءاتكم ؟ من حكام البلاد ؟

وسكت وهو يتمتم : كلام فارغ !!

ثم نظر الى فى عزيمة شابة وقال :

لقد كان نابليون فى سن السابعة والعشرين من عمره فقط ، وكان مثلك هكذا شابا صغيرا ولكنه استطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد .. واستطاع أن يقود بلاده وجيشه ولم يكن يتلقى توجيها من أحد ؟؟

وبعد لحظات قال فى عمق : التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه ، فابحثوا عن الايمان ولا تعتمدوا أبدا على احد الا على انفسكم » وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق ، فقد كنت أنا أيضا أبحث عن الايمان وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون يعيشون فيها فلا يقدمون حتى يحجموا تيئسهم الحسرات وترعبهم المخاوف ، ورغم هذا فقد قلت له :

لقد عشت انت مؤمنا بهدفك وعشت لا تعتمد على احد .. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد ان نعمل ..

فقاطعنى بقوله :

اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم .. والذى يستطيع أن يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش لا يستطيع ان يقصى شباب الجيش عنه .

وكان كلاما منطقيا حكيما .. وكان مع ذلك اشارة الى سلسلة الدسائس التى تعرض لها عزيز المصرى قبل هذه المرة ... فسألته ..

اذن فقد بدأت الدسائس من زمن ؟ !

فقال :

نعم ، منذ كنت فى انجلترا أشرف على تربية فاروق .. وتنهد بمرارة وهو يقول :

كنت أحب أن تحسن تربيته لأنه شاب سواء كنت أنا الذى أربيه أم غيرى .. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت اليه ... وكانت أقرب الى قلبه من يدى ...

وسألته :

اتقصد احمد حسنين ؟

فقـــال :

أحمد حسنين وعمـر فتحى .. هذان الاثنـــان تآمرا على فاروق .. فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه ..

وبعد قليل عاد ليتكلم :

هل تتصور أنى كنت أدخل غرفتـــه صباحا ، فأجده نائمـــا بملابس السهرة ... والخمر تفوح من فمـــه ؟ ..

هذا الشـــاب الذى كنت أريد له الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار .. كانا يقودانه الى دور الفســـاد فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ويعود مخمورا .. فينام ويلقى بنفسه القاء على أقرب مقعد ... أو وسادة ..

وكنت أحاول أن أنهاه عن ذلك فيخجل .. ولكنهما ينفردان به من بعدى فيزيلا كل أثر لنصائحى ..

وتمهل قليلا ثم اردف :

هل تريد أن تعرف سرا خطيرا ..

ولم ينتظر منى اجابة فقال ..

لقد ألقى هذان الاثنان فى وهم فاروق أنى مدسوس عليه من أبيـــه .. قلت ...

أبيـــه ؟

قـــال :

نعم .. فان فاروقا كان يبغض أباه أشد البغض .. يبغضه من كل قلبه .. وكان يقدس أمه تقديسا شديدا .. فالقى هؤلاء فى وهمـــه انى أنا عزيز المصرى أشيع الأقاويل عن امه ، وانى أريد أن أزيلهـــا من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه ...

وانى أعمل الآن على دس السم لها ..

وسألته :

وعرفت أنت كل ذلك ؟ ..

فأجاب :

نعم عرفته .. عرفته يوم أرسل فاروق الى أبيه خطابا باكيا يهدده فيه ان لم يسحبنى فورا من مهمتى ..

وبعد هنيهة قال :

وقد سحبنى أبوه فعلا .. وتركه لهذين المفسدين .. يفسدانه على نفسه ويفسدانه أيضا على وطنه ..

ثم تلاحقت الدسائس والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان أستطيع فيه أن أوجه الشباب ، لأن فاروقا يعرف كيف أوجه أنا الشباب ..

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء .. ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة .. وقال لى :

ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين فانى على استعداد اليوم أن أحمل طبنجتى وأتقدمكم لأى عمل لانقاذ البلد ..

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا ..

لن يكون الخلاص للبلد الا بانقلاب على أيدى العسكريين ..

ونظر فى عينى طويلا وأنا أصافحه .. ولم يقل بعد ذلك شيئا ..

ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ، كهدف نستطيع أن نراه بأعيننا ، وان كنا لا نتبين الطريق اليه » .

ويؤمن أنور السادات كما يؤمن رفاقه بالكلام الذى قاله له عزيز المصرى أن البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش ..

ويذكر أنور السادات فى ذكرياته عن يوم من أيام صيف ١٩٤١ فيقول :

« كنت عائدا الى منزلى عقب نزهة قصيرة أعفيت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوتر الأعصاب ولم أكد أدخل البيت حتى أخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى ، فلما لم يجدنى طلب أن أتوجه اليه فور حضورى » .

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى وهذا الطلب أيضا يحملان فى طياتهما بالنسبة الى شيئا خطيرا .. فلابد أن شيئا قد وقع وأننا على وشك أن نخوض المعارك .. وغادرت منزلى فورا .. وأسرعت الى عزيز المصرى ..

وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة ، الهبت حواسى ، وجعلتنى أعتقد أن ساعة البدء ، قد تحددت .. وأننا فى الطريق اليها ..

قال لى عزيز المصرى أن الألمان قد اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم وانهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الأوسط والعرب .. وانهم على أتم استعداد لاختطافه ونقله الى قيادتهم ، حيث تستطيع خبرته أن تلعب دورا عمليا كبيرا ..

اذن فقد بدأت نذر المخاطرة .. ولن يكون العمل داخليا فقط وانما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة أخرى مع الألمان .

وكان يجب أن نقرر هل نقوم بهذه المخاطرة أم نرفض القيام بها .. وكان علينا أن ندرس كل ذلك على أساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا .. فى القاهرة ..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الانجليز تشك فى نوايا عزيز المصرى وتتوقع منه أن يهرب الى الخارج ومن أجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة شديدة ..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الاجراء بالرضى بل توجه الى المسئولين وطلب منهم أن يسمحوا له بالسفر الى الخارج فعلا ، فرفضوا هذا الطلب ..

ومعنى هذا أن كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه .. وأكثر من هذا أن حكومة مصر ، ومخابرات الانجليز كانتا تتوقعان سفره ..

هذا من ناحية ..

اما الناحية الأخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد .. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق ..

كانت هذه الثورة .. هى المتنفس الوحيد لنا ، هنا فى مصر وكنا نتابع أنباء هذه الثورة ، فى حماسة بالغة ، ونعلق عليها آمالا واسعة ..

ولكن نظرتنا الى هذه الثورة كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى .

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل ..

وكانت نظرته مليئة بالضيق والتشاؤم ..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا نريد أن نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى ..

ننقض على الانجليز ونعلنها عليهم فى أزمتهم ثورة مسلحة وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رأيناه يفتح الطريق ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها ..

ولكن عزيز المصرى ، كان يسمع أنباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية ويملأه التشاؤم ..

« أنتم لا تعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما اعرفهم » وكان يسترسل فى حديثه فيروى لى قصصا من خيانات الساسة العرب او اكثر الساسة العرب على الأصح منذ أن اتصل بالأحداث فى عهد الدولة العثمانية وكان اذ ذلك يرعى الحركة العربية .

وكان يسمع أنباء هذه الثورة ، ثورة رشيد عالى فيتوقع الخيانة وتتجسم له الخناجر التى لابد أن يطعن بها رشيد فى ظهره ..

وكان يتصور هذا المصير لتلك الثورة المخلصة فيكاد ينفجر غيظا وكمدا ..

ولم نكن نحن .. حتى آخر لحظة ، نشاركه فى هذا الشعور أو نقبل منه هذا الكمد .. هذان الظرفان .. المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة والانجليز .. وثورة رشيد عالى الكيلانى التى يتوقع لها أن تطفئها الخيانة .. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عندما عرض الألمان عرضهم عليه أن يختطفوه ليستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم ..

وفكر عزيز المصرى طويلا .. وفكرت معه .. ثم استقر رأينا على وجوب سفره .. وعدم افلات هذه الفرصة ..

وفى اليوم التالى ، عاد عملاء الألمان الى عزيز المصرى فأبلغهم قراره بالقبول ... طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الانجليزية لتهبط فيه .. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة ..

وعلى الفور تناولنا الخرائط واخذنا نحن الاثنين ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الأماكن وندرس أيضا كل الاحتمالات .

واخترنا مطار الخطاطبة .. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم ، وانما كان مجرد أرض صالحة لهبوط طائرة ..

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية .. وأرسلناه الى الألمان ..

وبدانا نحن ننتظر الموعد الذى سيحدده الألمان لهبوط طائرتهم «الانجليزية» فى أرض الخطاطبة .

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الألمان يرفضون فيه فكرة الخطاطبة ويعينون منطقة جبل رزة على طريق الواحات البحرية مكانا للقـاء .

وأخذنا ندرس أسباب هذا التغيير .. فوجدنا أن الألمان كانوا على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ، ومعرفة حقيقية بوسـائل الهروب من مصر .. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بها كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى احداها أحد باروناتهم فى صحرائنا ، لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ..

كنا اذ ذاك فى يوم الأربعاء وكان سفر عزيز المصرى قد تحدد له يوم السبت التالى على الفور .

ولا أدرى كيف توقعت مخابرات الانجليز أننا على وشك اتخاذ خطوة خاصـة ..

فقد صدرت الى فى نفس اليوم — يوم الأربعاء — أوامر بالنقل الى الصحراء الغربية فورا وأنبانى مدير السلاح ، وهو يصدر الى أمره ،وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة . يوم الخميس ..

ولم يكن لهذا النقل أسباب .. وانما كان أمرا واجب التنفيذ فحسب ..

ووقفت حائرا أمام مدير السلاح اللواء أحمد الصاوى : وهو يصدر الى امره .. وكان على أن أختار اما أن أسافر فى الموعد المحدد واما أن أرفض السفر ومعنى هذا اعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف الحرب ..

وهى أخطر تهمة يمكن أن توجه الى ضابط فى الجيش ..

وخرجت من عند مدير السلاح ، وتوجهت الى عزيز المصرى لأعرض أمرى عليه ..

ولكنه رفض أن يشير بشيء على وفوض لى الأمر كله .. والشيء الوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحدد فعلا .. وأن يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى صحبته حتى تطير به طائرة الألمان ..

وقد تركت الأمر لهما ، وتوجهت أنا الى المستشفى العسكرى صباح الخميس .. وادعيت انى أشعر بآلام مترتبة على مرض فى القلب أصبت به أثر حادث تصادم كان قد وقع لى ..

ولم يكن صعبا أن أحصل على اجازة مرضية من المستشفى العسكرى وأن أبطل بذلك ــ ولو مؤقتا ــ أمر النقل الى الصحراء ..

وقضيت يومين فى المستشفى أرتقب يوم السبت وأتعجله ..

وجاء يوم السبت .. وزارنى فى نهايته عبد المنعم عبد الرؤوف وكان حزينا مبتئسا .. ان الرحلة لم تتم ولم يستطع عزيز المصرى أن يصل الى جبل رزة ولم يكن السبب انكشاف أمر هذه الرحلة ولا رقابة البوليس ولا أى شيء من كل الأسباب التى تطوف بالذهن لأول وهلة .. ولكنه كان القدر ..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض .. وسارت بهما السيارة شوطا ، واذ بها تتوقف عن السير فجأة على مقربة من الهرم ، وقبل أن يدخلا بها طريق الواحة البحرية الذى كانت الطائرة الألمانية ستهبط فيه ..

وكان الاتفاق أن تهبط الطائرة عند الغروب وأن يصعد اليها عزيز بمفرده ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فوز وصوله الى خطوط الألمان ..

وقال لى عبد المنعم ، انهما لم يتمكنا من اصلاح العطب الذى أصاب السيارة فتركاها فى مكانها بعد أن فات الوقت المحدد لهبوط الطائرة .. وعادا ..

وقال لى أيضا ان عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث ..

ومضى بعد ذلك يومان ثم اتصل أحد رجال الألمان بعزيز المصرى وأبلغه ان الطائرة قد أتت فى موعدها وأنها حومت حول المكان ولم تجد الاشارة المتفق عليها فعادت .

ثم مرت أيام كثيرة ، دون أن يجدد الألمان اتصالهم بعزيز المصرى ..

وكان لابد لأجازتى المرضية أن تنتهى ..

وكان لابد أن أرحل الى الصحراء الغربية ..

ورحلت فعلا تاركا كل شيء لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وأكاد أتصور الآن الأيام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك على ضوء ما اعرفه عنه وما لمسته من انه اذا صمم على شيء لم تستطع قوة ان توقفه عن المضى فيه ..

فقد كان عزيز المصرى قد صمم على الذهاب الى خطوط الألمان وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه واصبحت مسيطرة على تقديره وآماله وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من راس الرجل ..

ومرت أيام قليلة واذا به يكلف عبد المنعم بان يبحث له موضوع سفره على متن طائرة مصرية .. وبدأ عبد المنعم دراسته . ثم اتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار واتفق معه على أن يعد خطة السفر .. وأن يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى الى الألمان ... وتحدد موعد السفر فى ليلة كان فيها ذو الفقار هو الضابط العظيم بالمطار ..

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى فى احدى الطائرات وطارت الطائرة بهما ولكن القدر كان بالمرصاد ايضا .

لقد استقل عزيز المصرى فى ليلة ١٩٤١/٦/١٥ طائرة انسون ٢٠٥ من سلاح الطيران المصرى من المطار العسكرى بالماظة وبرفقة الضابط العظيم حسين ذو الفقار والطيار أول عبد المنعم عبد الرؤوف .. وتسقط الطائرة بجوار قليوب فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ويختفى عزيز المصرى وزميله ، وتقوم الدنيا ولا تقعد ؟ .

وعن ردود الفعل الأولى لحادث سقوط طائرة عزيز المصرى يقول د. محمد حسين هيكل : فى صباح اليوم الذى اعتزمت فيه العودة من رأس البر الى القاهرة أبلغنى الحاجب المرافق لى أنه سمع أن عزيز (باشا) المصرى سافر خفية بطائرة حربية يريد الذهاب الى الالمان ولم أصدق الخبر أول ما سمعته واتصلت تليفونيا من رأس البر بمحافظ دمياط استوثق منه وأخبرنى الرجل انه بلغته مثل هذه الانباء وانه سيتصل بالقاهرة ليتثبت منها . فلما بلغت دمياط لقيته فانبأنى ان عزيز باشا المصرى وضابطا طيارا استقلا ليلا طائرة

عسكرية من القاهرة وقاما بها يريدان جهة غير معلومة وان الطائرة اصطدمت بأسلاك التليفون عند قليوب فهبطت الى الأرض واضطر راكباها لمغادرتها وللفرار هربا الى حيث لا يعلم أحد ، وأن مجلس الوزراء ينعقد بعد الظهر من هذا اليوم ليتداول فى الحادث وانه خوطب من القاهرة كى يتصل بى لأحضر اجتماع مجلس الوزراء « ..وعدت مسرعا الى القاهرة وحضرت اجتماع مجلس الوزراء فالقيت سرى باشا والوزراء جميعا فى حيرة ورأيتهم يخشون أن يكون لما حدث نتائج بعيدة الأثر فعزيز باشا المصرى هو الذى تولى رئاسة اركان حرب الجيش المصرى فى وزارة على ماهر ، وكان متهما بميله الواضح للالمان فلما تولت وزارة سرى باشا أعفته من منصبه وكان طبيعيا وذلك الرأى فيه أن يراقب مراقبة دقيقة فكيف استطاع مع ذلك ان يدبر وسيلة للفرار من غير أن يعلم بهذا التدبير أحد ؟ وأين ترى يكون قد اختفى ؟ وما هى الاجراءات التى يمكن أن تتخذ فى شأن من يروجون الدعايات لمصلحة المانيا ؟ تداول المجلس فى هذا وفى مثيله وانتهى بأن ترك الأمر لرئيس الوزراء بوصفه السلطة القائمة على اجراء الأحكام العرفية يتصرف فيه بحكمته وحسن تدبيره .

وازداد سرى باشا بعد هذا الحادث اقتناعا بضرورة تدعيم الوزارة لكنه لم يكن يستطيع أن يفاتح أحدا فى هذا التدعيم قبل أن يعثر على عزيز باشا المصرى وأن يتخذ معه اجراء ليعيد الطمأنينة الى قدرته على معالجة شئون الدولة فى الأوقات العصيبة المحيطة به بالحزم والحكمة ، لهذا وجه كل جهده للبحث عن الفارين واعتقالهما ولم يكن هذا يسيرا فقد كان الجمهور يحيط عزيز باشا بعطف يتعذر معه الاستعانة بمعلومات الجمهور لاقتفاء آثار الرجلين ومعرفة المكان الذى اختفيا فيه وبعد أسابيع استطاع البوليس السياسى أن يتأكد أنهما موجودان بمنزل بامبابة وأن يحيط بالمنزل وأن يقبض عليهما وأصدر سرى باشا أمره باعتقالهما .

وحول قصة القبض على عزيز المصرى روى لى الاستاذ احمد محمد مرزوق ان عزيز المصرى ، ورفيقيه قد اختفوا بمنزل الاستاذ الفنان عبد القادر رزق فى امبابة وكان البوليس يراقب أحمد مرزوق وعندما التقى احمد مرزوق بعبد القادر فى محل « صولت » ــ بشارع قصر العينى ــ وتتبع البوليس السياسى كلا منهما وكان محمد امام ابراهيم ضابط البوليس السياسى ممن ساروا خلف عبد القادر الذى لم يكد يفتح باب بيته حتى كان أمام ابراهيم فى أثره واذا به يجد عزيز المصرى فيقبض عليه وعلى زميله وينقل الثلاثة فورا الى سجن الأجانب حيث وافاهم هنالك حسين سرى وقد حاول عزيز المصرى

ان يعطى حسين سرى درسا فى الوطنية » وكانت محاكمة عزيز على المصرى قد جذبت انتباه الجماهير حيث كانت تتابع ما ينشر عنها فى الصحف باهتمام بالغ وكانت هيئة الدفاع عن عزيز المصرى مكونة من الأستاذ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى، ومصطفى الشوربجى بك وزير العدل الأسبق، وابراهيم رياض وفتحى رضوان وحمادة الناحل ، وكانت هيئة المحكمة برئاسةاللواء عبد الحميد حافظ (باشا) وعضوية اللواءات محمد زكى عبد الحليم (باشا) وأحمد ناشد « باشا » وعلى « باشا » حسنين الشريف وشـاكر الروبى (باشـا) والأميراليات أحمد الصاوى ومحمد حمـدى وحسن حسنى طاهر ، ومحمـود هاشم وحسين محمود وغيرهم من ممثلى النيابة وعندما سـأل رئيس المحكمة عزيز باشا المصرى : هل لك اعتراض على أعضـاء المجلس الذى شكل لمحاكمتك وعلى شخصيا ؟ قال عزيز المصرى « اللى يهمنى فى الأمر ده أن تكون المحاكمة فى أيدى هيئة مصرية وطنية صادقة موثوق فى عدالتها سليمة فى عقيدتها مؤمنة بالله سواء أكانت مسلمة أو نصرانية » ويتنازل عزيز المصرى عن الشرط الخاص بأنه عند محاكمة أى ضابط لا بد وأن يكون رئيس وأعضاء المجلس أكبر رتبة من المتهم وقد حاول عزيز المصرى أن يقوم هو بالدفاع عن نفسه لأنه رجلدرس القانون ودرس النظم العسكرية وانه يستطيع أن يقول كل شىء ، ويتساءل عزيز المصرى وهو يتطلع الى المقاعد الكثيرة الخالية فى قاعة الجلسة ثم يقول : أين هى الأمة المصرية ؟ هل هؤلاء هم البلد ؟ هل أنا متهم بسرقة بسكليت أو طيارة كما يقولون ؟ ويقترح عزيز المصرى أن تعطى نصف التذاكر على الأقل للشعب وخاصة لطلبة الحقوق والبوليس لحضور الجلسة القادمة حتى يحضر الشعب الى هنا ، ويعرف هل الراجل ده طيب ولا نصاب كما قال عزيز المصرى .

وعندما جىء بعزيز المصرى من مستشفى الدمرداش وقام أحد الاطباء بالكشف عليه للتأكد من قدرته على حضور الجلسة قال : أنا صالح للمحاكمة وقادر عليها والمهم سلامة الرأس والفكر ، فان المفكرين وكبار الكتاب والعلماء كانوا فى القرون الوسطى ، وفيما مضى من الزمان يؤلف بعضهم كتبه أو يضع نظريته أو رسالته وهو مصلوب على الجدران او معلق فى الأشجار وليست الحالة تتطلب منى أكثر من الحديث والتفكير .

ويسأله الدكتور صادق عجرمة : ولكن وزنك نقص ١٣ كيلو جراما وهذه علامة خطر عند الأطباء ؟ يقول عزيز المصرى : نعم نقص جسمى ١٣ كيلوجراما ولم ينقص ذهنى ولا فكرى وفى استطاعتى حضور الجلسة والاشتراك فى كل ما يدور فيهـا » وكان ممـا قاله عزيز المصرى فى تلك الجلسـة : « أنا لا أخشى العدالة ولا تضايقنى المحاكمة ، فقد مرت بى شدائد كثيرة وأهوال

مختلفة وحوكمت امام المجلس العالى فى تركيا فلم يضايقنى ذلك وانما يضايقنى انى قمت بعمل أصبت فيه بالفشل » .

وكان اليمين الذى يؤديه رئيس المجلس العسكرى وأعضاؤه أمام نائب الأحكام وأمام فضيلة امام الكلية الحربية هو : أقسم بالله العظيم وانبيائه الكرام وبكتابه هذا انى فى محاكمتى هذا المتهم أمام المجلس أسلك سبيل العدل والحق وانى أتبع العدالة على مقتضى قانون الأحكام العسكرية المعمول به الآن بدون مراعاة الغرض أو الميل أ والهوى وأقسم به سبحانه أيضا على الا ابوح بحكم هذا المجلس العسكرى الى ان يصدق عليه قانونا وأن لا أفشى قط فى أى وقت من الأوقات بأى رأى او قرار صادر من أى عضو من أعضاء هذا المجلس مهما كانت الأسباب ما لم تقض على بذلك الواجبات الشرعية والله على ما أقول وكيل ، وقد جاء فى مذكرة من المذكرات التى طالب فيها الدفاع عن عزيز المصرى من المجلس العسكرى العالى الافراج فورا عن عزيز المصرى ما يلى :

ليس من شك فى أن حرية الانسان ، كبرا كان أو صغيرا هى أغلى ما يملك لأن من تقيد حريته ، يفقد جوهر حياته فيحرم من السعى فى الدنيا كما يحرم من مشاركة الناس فيما ينفعلون فيه من مختلف العواطف ، وينكمش وجوده الى دائرة ضيقة لا تعدو الطعام والنوم : لهذا تحرجت القوانين جميعا بحق من انزال القيود بحريات الناس والحد منها ووضعت لنفسها شروطا دقيقة لا تسمح لرجل السلطة التنفيذية أو القضائية بغير توفرها أن يمس قدس الأقداس أعنى حرية الناس .

وتنتهى هيئة الدفاع عن عزيز المصرى باشا بتلك الفقرة . . فاسألوا الأطباء يقولون لكم انه فى معتقله فقد ١٤ كيلو جراما من وزنه وقد تجلد ، ولم يتعلل بهذه الحالة ليؤجل المحاكمة لأنه مل الانتظار وضاق به ذرعا ولأن أعصابه التى أنهكها ما أثير حوله وحول اسمه ، ونواياه ؛ من غبار لا تتحمل ان يبقى هذا الاسم الكريم معلقا ولأنه جبل من صباه على أن يواجه المكاره لا أن يفر منها ، ولكن المجلس العالى وهو حقيق بتقدير هذه الروح الطيبة الفياضة بالاباء والشجاعة الناطقة بالبراءة ونصاعة الصفحة يجدر به الا تفوته هذه الحالة الصحية والا يغفل ان هذا الرجل العظيم وان وقف اليوم موقف الاتهام فان ضخامة المركز الذى كان يشغله وكبر الدور الذى قام به ولعبه تجعل له حقا فى التكريم واحسان المعاملة ، شأنه فى ذلك شأن جميع اخوانه الذين وقفوا هذا الموقف فلم يلقوا من القواد الذين حاكموهم الا الرفق والتلطف فى المحاكمة وهما لا يتعارضان مع الحزم وتحرى وجه الحق والدأب والسعى لاظهاره ثم انزال العقاب بمن يستحقه .

وايم الحق انها لسبة ما بعدها سبة الا يطمئن رجال الجيش الى شرف رئيسهم الى حين قريب اذا هو طلب منهم أن يفرجوا عنه الى أن يفصلوا فى قضيته لا سيما اذا ارتفع صوت القانون عاليا مدويا بأن القبض عليه كان باطلا وأن استمرار حبسه كان امعانا فى البطلان واصرارا عليه : أن شرف العسكرى أغلى واكبر من أن يقوم على هذه الصورة ويوزن بهذا الميزان . افرجوا عن عزيز المصرى باشا ، والسلطات الادارية (البوليس) تتخذ ما تشاء من اجراءاتها فليس هذا شأنكم ولا هو جدير بأن يشغل بالكم .

افرجوا عن عزيز باشا تعيدوا الأمور الى نصابها وتحققوا الحق وتطبقوا القانون وتبسطوا على الجيش المصرى العظيم شرفا فوق شرف » .

وفى مذكرة الدفاع عن عزيز المصرى كلام كثير عن قانون الأحكام العسكرية وكونه ليس بقانون « بل أنه لا ينتسب الى التشريع أى انتساب ومن ثم فلا يجوز اتخاذه مصدرا لولاية القضاء فى شىء ولا لتشكيل محاكم تفصل فى حرية الناس وشرفهم وحياتهم ومصائرهم . ان احترام أحكام هذا (القانون) معناه ازدراء الدستور واحتقار أوامره ونواهيه » .

وتتساءل المذكرة : كيف يستسيغ العقل وكيف يستسيغ المنطق ان الرجل المدنى المصرى اذا اريدت محاكمته على جنحة بسيطة كانت المحاكمة بناء على قانون ناقشه مجلس الشيوخ ثلاث مرات مادة مادة ، ثم أقره وناقشه مجلس النواب مادة ، مادة ، ثم أقرته وبحثته الهيئة التنفيذية وصدق عليه الملك وأمر بنشره وبعد ذلك كله نشر فى الوقائع المصرية ، أما الرجل العسكرى المصرى فيحكم عليه بالاعدام طبقا لبنود هـــذا الكتاب (القانون) المختلف المصادر المتنافر المآخذ الذى لم يمر بأى دور من أدوار التشريع فى أى عهد من العهود ولم ينشر فى الجريدة الرسمية والذى لا يوجد دليل على أنه عمل من أعمال الحكومة المصرية .

وكيف يجوز أن يتمتع المصرى قبل انخراطه فى سلك الجيش بجميع الضمانات الدستورية للحرية الشخصية فاذا انضم الى الجيش فقد فجاة هذه الضمانات جميعها والقى نفسه دفعة واحدة تحت نوع من الحكم العرفى فى غير حالة خدمة الميدان .

الا أن العسكرى هو الديدبان الواقف دائما أبدا على قدم الاستعداد للدفاع عن البلاد واستقلالها بدمه وروحه وحياته : العسكرى الذى اذا ما نادى منادى الوطن هب مسرعا الى تلبيته واختطف سلاحه ونسى زوجه وأولاده وكل عزيز لديه وتقدم الى الموت بقدم ثابت وقلب جرىء ، هـــذا

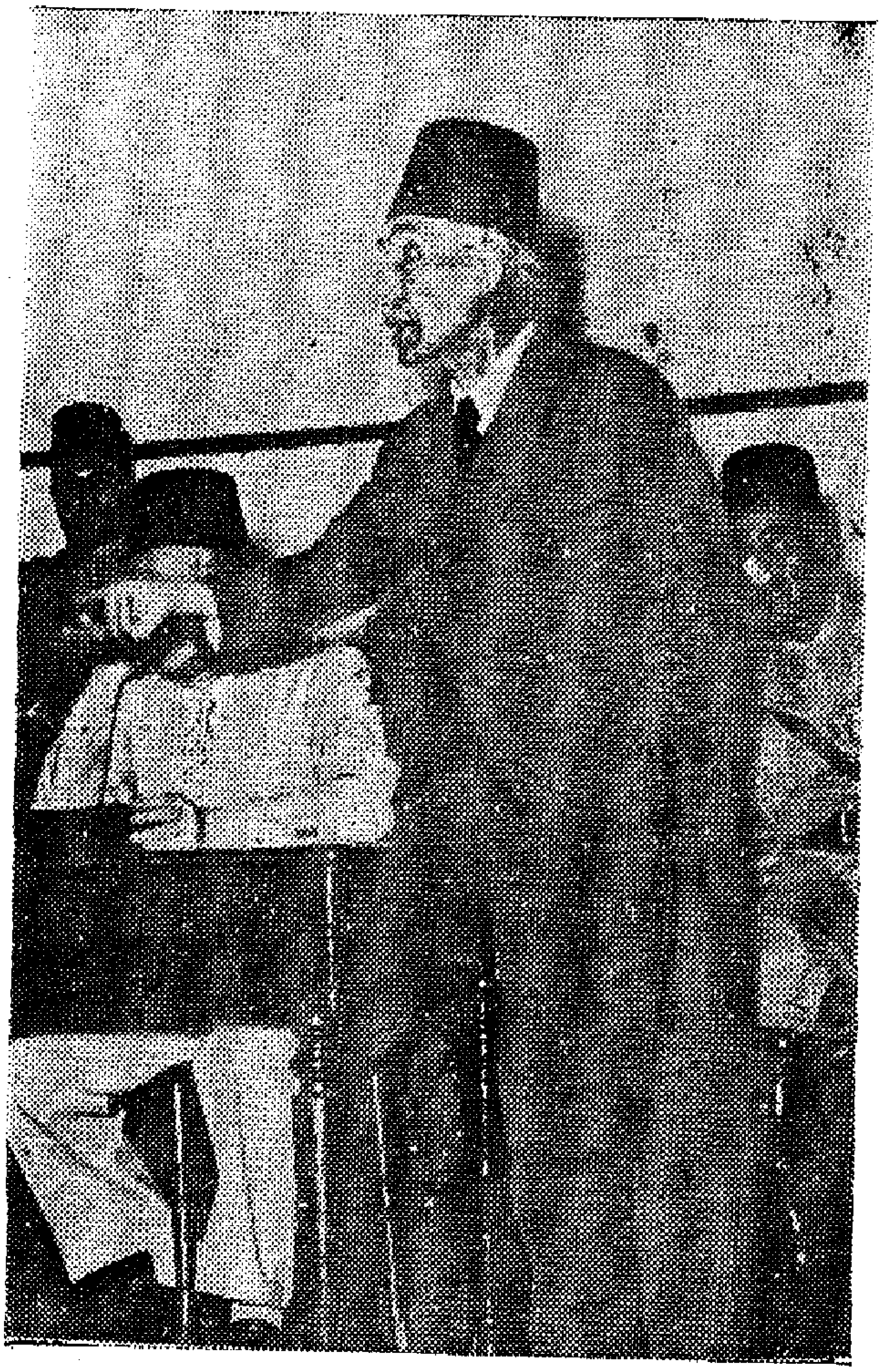

عزيز المصرى : أمام المحكمة العسكرية العليا التى تولت محاكمته : انه فى هذه الصورة يجيب على الاسئلة التى وجهت اليه من هيئة المحكمة

العسكرى الساهر على حراسة الأمة وحريتها ، ونظمها لا يصح بحال من أن يحرم من ضمانات الدستور الذى يحميه .

وتقول المذكرة : اى استعباد لرجال الجيش اقسى من هذا الاستعباد ، واى حكم دكتاتورى اشد من هذا الحكم . ان الضابط المصدق ، له هذه السلطة الهائلة ، له هذا التحكم فى حرية العساكر ، والضباط ، وحياتهم وشرفهم ومصائرهم دون قيد أو شرط ، دون أن يسمع دفاعا ودون أن يسأل متهما ، أو شهودا ودون أن يرجع الى المجلس . كل ذلك يجرى ، لا وقت الحرب فقط ، ولكن وقت الحرب ووقت السلم ، وفى غير خدمة الميدان .

وتقول المذكرة : لقد سمعنا ، وسمعنا أن الحرب الساحقة الماحقة الدائرة الآن رحاها حصدا فى الأرواح والاموال سمعنا أنها حرب بين الدكتاتورية والديمقراطية فهل النظام الذى يرسم هذا الكتاب (القانون) شيء آخر سوى الدكتاتورية بكل معناها . أليست الدكتاتورية هى عدم التقيد بالدستور والقانون ، اليست هى قتل الحرية الشخصية بتجريدها من من كل ضماناتها . أن هذا الكتاب هو الدكتاتورية بعينها .

وتنتهى المذكرة بالعبارة التالية : ان هذه الصيحة الصادقة ان شاء القدر لسبب من الأسباب ان لا يكون لها صدى فى قضية المصرى باشا ، فالأمة الغيورة على دستورها الحريصة على أحكامه المتبعة لأدوار هذه القضية خطوة خطوة . هذه الأمة تريد حكما يرد على دفاعنا نقطة نقطة لنطمئن على أحكام الدستور : قد يكون هذا الكتاب الغريب أجاز أن تصدر أحكامه من غير ذكر أسبابها ، ولكن هنا ، ونحن ننادى بأعلى صوتنا أن الدستور تنتهك أحكامه ، ونسمع الامة نداءنا فيجب أن يسبب الحكم تسبيبا صحيحا لتطمئن الأمة ويسكن روعها .

اننا لا نهرب من المحاكمة ، بل نحن نطلبها ونلح فى طلبها فقد اتهمتنا الحكومة بالخيانة فى بياناتها الرسمية ، واتهمتنا بالاغراء على الهرب والسرقة والاختلاس ومخالفة الأوامر فى هذه القضية ، فشرفنا العسكرى رهن المحاكمة ، لكن المحاكمة الدستورية التى تحترم فيها القوانين ونظم القوانين .

لقد انتهيت وليس لى بعد كل ما تقدم الا أن أحفظ لعزيز باشا المصرى الحق فى مقاضاة كل فرد أو هيئة حكومية عاملته على غير ما يقضى به الدستور ، وبناء عليه يلتمس الدفاع رفض محاكمة المصرى باشا بالتطبيق على هذا (الكتاب) والأمر بالافراج عنه فورا .

وتتأجل المحاكمة ، مرة ، ومرة ..

ثم تتوقف ،

ولقد أحببت الاطالة فى الحديث عن تلك القضية لاننى أعرف جيدا الدور الذى لعبته فى ايقاظ الروح الوطنية عند كثير من شبابنا : لقد كان الشعب ـ والشباب فى المقدمة ـ يتتبع تلك القضية ، وكانت هيئة الدفاع عن عزيز المصرى قد وجدت فى تلك القضية فرصة تنفذ من خلالها الى الشعب رغم الأحكام العرفية المفروضة على الشعب ، كان الدفاع يعمد الى طبع مذكراته عن القضية لا على ماكينة طباعة وحسب كما جرت العادة

فى كتابة تلك المذكرات وانما يطبعها كما تطبع الكتب وبكميات كبيرة حتى يطمئن الى وصولها لكثير من العاملين فى الحقل الوطنى .

وقد كان عزيز المصرى فى المحاكمة أستاذا للوطنية الصادقة الجريئة : واثقا من موقفه فى المحاكمة الى أبعد حدود الثقة فليس فى القضية جريمة يمكن بمقتضاها أن يحكم عليه حتى ولو بالغرامة .

وكان أنور السادات ورفاقه من شباب الجيش يقفون وراء عزيز المصرى المصرى يؤيدونه ويساندونه بل ويتاهبون للعمل اذا ما قسا المجلس العسكرى العالى ضده ، وأصدر عليه حكما .

وقد استغل أنور السادات ورفاقه من الضباط الأحرار فرصة المحاكمة للحملة على الاستعمار البريطانى وعلى الحكومة المصرية التى تسير فى فلك ذلك الاستعمار .

وقد نجح أنور السادات وزملاؤه ـ ؛ وكانوا قد نشطوا فى فترة المحاكمة نشاطا كبيرا ـ فى جعل قضية محاكمة عزيز على المصرى قضية شعبية لا يهتم بها ضباط الجيش المصرى وجنوده وحسب وانما تهتم بها كل فئات الشعب المصرى التى كانت تتعاطف مع القائد العجوز الذى يواجه المحاكمة بشجاعة منقطعة النظير والذى كان بدوره يريد أن يحول القضية من قضية اغراء ضابطين من ضباط القوات المسلحة على الهرب ومن قضية الاستيلاء على طائرة من طائرات الجيش المصرى الى قضية محاكمة الاحتلال البريطانى فى مصر .

ويقضى عزيز المصرى فى السجن حتى مارس سنة ١٩٤٢ حيث تفرج عنه وزارة النحاس ويغضب الانجليز اشد الغضب لذلك الافراج وتواصل السفارة البريطانية الضغط على وزارة النحاس لكى تعيد اعتقال عزيز المصرى ، ثم يعتقل أنور السادات وعزيز المصرى فى ١٣ اغسطس سنة ١٩٤٢ وانقل فقرة من كتاب عزيز المصرى باشا للزميل فؤاد نصحى وقد نشر فى نوفمبر سنة ١٩٥١ ـ أى قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ببضعة أشهر ـ والذى يعنينى من تلك الفقرة اكثر من غيرها من الفقرات ورود كلمة الثورة فيها ... يقول مؤلف الكتاب : « نمى الى البوليس عن طريق قلم المخابرات السرية الانجليزية ان ضابطين من الجيش الألمانى بالصحراء الغربية استطاعا التسرب الى القاهرة ، والاتصال بحرم المرحوم الدكتور عامر وهى سيدة المانية وقيل أن عزيز المصرى قابلهما عن طريق الضابطين المصريين أنور السادات وحسن عزت استعدادا **لتنظيم ثورة مصرية تمدها المانيا بالاسلحة لقطع خط الرجعة**

على الجيش الانجليزى وتحرير مصر والسودان منه وهكذا صدر الأمر ، باعادة اعتقال الباشا فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٢ وفر الضابطان المصريان ولم يعثر البوليس على أثر لهما » . وهذه صورة من تحقيق النائب العام مع عزيز المصرى .

س : ألم تتصل بضباط متقاعدين من الجيش المصرى بقصد تنفيذ خطة سياسية معينة .

ج : لا ...

س : هل تعرف وجود جماعات سرية غرضها ارتكاب جرائم القتل والاعتداء على أشخاص عموميين .

ج : ما أعرفش جماعات ولكن الحوادث تدل على وجودها .

س : أليس لك صلة باحدى هذه الجمعيات .

ج : لا ...

س : هل تعرف أحدا من الضباط المتقاعدين يشتغل بالمقاولات الحكومية .

ج : نعم أعرف ولد اسمر اسمه السادات واعرفه من الجيش لأنه كان ضابط « لويس » من سلاح الاشارة وكنت انبسطت منه وأنا افتش الجيش وزارنى فى يوم جمعة فى الغالب بعد انفصالى من الجيش ثم كان يتردد على فى الاعياد وكنت أساله اين هو ؟ فيقول نقلونا هنا ، وأنا لى حادثة معه لأنه هو السبب فى اعتقالى لأنه كان قد قبض على جاسوس المانى ، وقال ان أنور السادات وزميله حسن عزت وهو ضابط لم أكن أعرفه من قبل قد عرفاه بى فلما ووجها بى أنكرا ما قاله الجاسوس .

س : هل تعرف أنه يمكن الحصول على اسلحة من الجيش المصرى ، او البريطانى بطريقة غير مشروعة .

ج : ممكن وكل الصعيد مليان أسلحة ويبلغنى من ضباط البوليس وغيرهم ، أن الحالة أصبحت لا تطاق ، وأنه تحصل معارك مع المهربين ويستعملون فيها مدافع تومى .

س : وهل تعرف أشخاص يتمكنون من الحصول على قنابل يدوية ؟ .

ج : يجوز التهريب والعساكر الانجليز يتصرفون فى السلاح للحصول على زجاجات الويسكى .

س : هل تعرف وقائع معينة من هذا النوع .

جـ : لا ..

وعندما أقيلت وزارة مصطفى النحاس فى أوائل اكتوبر سنة ١٩٤٤ وتولت وزارة د . أحمد ماهر ، الحكم فى أعقاب تلك الاقالة أفرجت عن عزيز المصرى فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ على أن يوضع تحت مراقبة شديدة بمنزله فى عين شمس واعتقل عزيز المصرى فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ اثر مصرع أحمد ماهر ، وحقق معه ، بتهمة التحريض على قتل احمد ماهر ، ثم اعتقل أيضا فى قضية الاغتيالات السياسية التى اتهم فيها أنور السادات

ومن التحقيق الذى أجراه معه النائب العام الأستاذ يحيى مسعود بك فى قضيه الاغتيالات السياسية ننقل هذه السطور وكان التحقيق فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٧ .

س : اسمك ؟

جـ : عزيز المصرى .

س : سنك ؟

جـ : ٦٥ سنة ـ رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصرى سابقا ومقيم بعين شمس .

س : ما مدى نشاطك السياسى فى العهد الأخير ؟

جـ : لم يكن لى منذ دخلت أرض مصر أى نشاط سياسى ، لأنى عدت اليها حوالى سنة ١٩٢٤ وكانت احزابها مشكلة ولم أدخل فى حزب منها ، وكل الطبقات تشتغل بالسياسة وخصوصا بعد الحرب وفى الانقلابات وانا عند الكلام فى السياسة أبدى رأيى كأى انسان آخر .

س : هل لك رأى معين فى الاتجاه السياسى الحالى ؟

جـ : رأيى أولا منذ اتمام دراستى العالية باستنبول وبعد مشـاهداتى لشئون الشرق المسمى بالشرق المتوسط وتاريخ هـذا الشرق وتفكيره وتكوين شعوبه يجعل أن احسن فكرة لهذا الشرق أن تكون أمما متحدة ومستقلة فى شئونها الداخلية مع الاجتماع فى التجارة والسياسة الخارجية والدفاع وهذه هى السياسة العملية حسب رأيى وما زلت على هذا الرأى للآن ، وليس هذا قاصرا على الأمم الاسلامية بل يشمل اليونان والبلغار والصرب ، وتركيا ، أى مجموعة أمم شرق البحر المتوسط .

س : وهل لك رأى خاص فى السياسة الداخلية لمصر

ج : رأيى الخاص للسياسة الداخلية فى مصر نتيجة لهذا الرأى العام ويقضى باستقلال مصر ، اذ لا يمكنها أن تكون عضوا حرا فى هذه المجموعة وهى فى حالة تشبه القاصر .

س : هل لك نشاط عملى لتنفيذ هذه الآراء ؟

ج : لا ، كل أرائى أقولها شفهيا كما أقولها الآن وفى محاضرات فى الجامعة وفى المحال العامة وبين اخوانى .

س : هل لك اجتماعات خاصة لابداء هذه الآراء ؟

ج : مع الأسف لم يحصل هذا بعد لأن هذا لا يفيد الا اذا كان العدد وفيرا ، والفكرة انتشرت من نفسها نتيجة توسع الثقافة فى الشرق ، وقد بدأت تظهر تباشيرها بفكرة الجامعة العربية الحديثة .

س : وهل فيما يختص بالاستقلال الداخلى ترى اتباع وسيلة معينة للوصول اليه ؟ .

ج : لا توجد فى رأيى وسيلة معينة للوصول الى تكوين قومى أو فكرة سياسية وانما هى الاستفادة من الظروف والأحوال بمعنى أن الرأى العالمى يدرك أن خير البشر انما هو بالتعاون والاحترام المتبادل وعمل الخير المتقابل حتى تطمئن القلوب الى بعضها فيسود الأمن .

س : ألا يكون من رأيك تحبيذ وسائل العنف من الداخل للوصول الى تحقيق فكرتك فى الاستقلال الداخلى .

ج : كنت حبذتها وانا شاب فى الثورة القومية العثمانية حين كنت ضابطا فى الجيش العثمانى ، وكانت الثورة نتيجة عمل هذا الجيش ، ومع ذلك فلم يعرف عنى فى ذلك الوقت انى سمحت لأحد اخوانى أن يقتل أى رجل حتى من الذين كنا نعتبرهم أعداء للوطن وكان منهم قائد الحامية التى كنت فيها . وكانت حجتى أن هـــذا الرجل قليل الادراك ولكن له ولد نابغ يدرس فى استنبول ، والولد هو المستقبل وقتل والده يضر بالمستقبل .

س : وهل هذه هى أراؤك الحالية ؟

ج : والى أن اموت .

س : هل هناك ممن تتصل بهم من يعتنقون هذه المبادىء ؟ .

ج : لم يعد فى مصر فرد واحد ، يؤمن ايمانا حقا راسخا بأى مبدأ من المبادىء العامة بل وجدت فى بعض الأوساط نبلا فى الأخلاق وميلا الى الرقى وحبا شديدا للوطن وكراهية الاحتلال ، وآمالا عالية للاستقلال ، ولكن لم اجد برنامجا أو شبه برنامج عملي للوصول أو لرسم طريق تصل به البلاد الى تلك الأهداف .

انني لم أجد طريقا للاصلاح وللفوز بهذه الأهداف الا طريقين وهما : الصدق والعلم ، لقد شهدت انهيار دولة وهى الدولة العثمانية وانا أرى أن الاستناد الى القوة لا يؤدى الا الى الانهيار ، وان اكبر سلاح هو المحبه بين الناس ، وأن القتل السياسى مثل حادث مقتل أمين عثمان باشا ، والقاء القنبلة على النحاس باشا وحادث المرحوم أحمد ماهر باشا ، انما يرجع الى معاملة الانجليز الخاطئة لمصر والحكم الاستعمارى ، لأنه يهيىء اذهان الشبان الذين ليس لديهم من سنهم الصغيرة الا العواطف كمحرك عنيف مما يدفعهم الى مثل هذه الأعمال .

س : ورد فى التحقيق أن بعض الذين يريدون تحقيق أغراض سياسية معينة ، اتجهوا الى الاتصال بك لمساعدتهم فى تنفيذ أغراضهم ؟

ج : أنا معنديش حزب أساعد بيه أحد ومفيش عندى غير ارشادات والزيارات متوالية عندى من يوم خروجى من الاعتقال ؟ ومنهم شيب ومنهم شبان ، وأكثرهم لاأعرفهم ؟ وأنا دائما كنت أبدا حديثى معهم بأن نصفهم من القلم السياسى ونصفهم ثوريون ، فكيف تنتظرون أن أعطى مثل هذه الطوائف أسرار أو آراء شاذة مثل قتل أحمد ماهر ، أو اتجاهات عنيفة أيا كانت بل العكس حصل كثيرا أنى أعطيت جماعات توسمت فيهم الذكاء ، والفطنة كتبا لتلخيصها بعد فهمها وابداء آرائهم فيها وهى من كتب التاريخ والأدب .

س : هل من تذكر حضورهم لك كانوا يحضرون بصفتهم أفرادا أو أعضاء لجماعات ؟

ج : لا دول ناس مبيعرفوش بعض .

س : هل لم تكن تتحرى أن تكون من بين هؤلاء أو غيرهم جماعة أو جماعات لتنفذ اغراض معينة ؟

ج : لا ..

ومن ذكريات عزيز المصرى التى طالما سمعناها قبل أن يرحل الى لقاء ربه عن علاقته بالضباط الأحرار : كنت أشعر فى أعماق نفسى قبل قيام الثورة انه

لا بد أن تقوم نهاية للقضية التى نعانيها من استمرار بقاء الاستعمار البريطانى فى بلادنا جاثما ، فوق صدورنا ، متحكما فى شئوننا ، ناشرا الفساد ، فى ادارة الحكم فيؤلف الوزارات ويسقطها ويذيق الشعب كأس الذل ويزج بالوطنيين فى السجون والاعتقال وأحسست بارهاصات الثورة عندما زكمت الأنوف رائحة الأسلحة الفاسدة ، التى قتلت شبابنا فى فلسطين وملأت خزائن تجار الأسلحة المحتمين بالملك السابق بفيض من المال الحرام . وفى غمرة الأحداث المحمومة التى سبقت الثورة كان بعض الضباط الأحرار يطوقون عنقى بثقتهم الغالية ويتصلون بى فى غفلة من عيون الرقباء الكثيرين الذين كان الملك السابق ، ووزراؤه يبثونهم فى كل مكان للايقاع بالمواطنين والوشاية بهم ، وكنت أستمع من هؤلاء الضباط الأحرار بعض أسرارهم فتبهرنى شجاعتهم وأحلم باليوم العظيم الذى تتحول فيه ارادتهم الى عمل جبار ينقذ الوطن .

وكانت أسرارهم تنفـذ من سمعى لتستقر فى أعمـاق صـدرى ، وكأنى لا أعرفها فلا أبوح بها حتى لنفسى ، فقد كنت شديد التوجس من غدر الملك السابق وحكام ذلك العهد البائد ! انى أستطيع أن أرى صورة بسيطة ولكنها رائعـة جليلة هى صـورة طاهيتى العجوز التى كنت أكلفهـا بأن تقف فى الظلام وراء احدى نوافذ بيتى لتسلط ضوء مصباح كهربائى صغير (بطارية) على حديقة دارى لكى يدرك من استطاع دخول الحديقة من هؤلاء الرجال الشجعان : اننى مازلت مستيقظا انتظر أن القاهم وأستمع اليهم وكانت طاهيتى تعرف أن هؤلاء الضباط سيفعلون شيئا ذات يوم ولكن ما هو هذا الشىء ؟ لقد كانت الاجابة على هذا السؤال آخر ما تعرفه الطاهية الوفية » .

وفى الحقيقة أن أنور السادات قد تأثر الى حد كبير بتلك الشخصية الفذة ، شخصية عزيز المصرى ، كما أن كل الضباط الشبان قد تأثروا الى حد كبير بشخصية عزيز المصرى .

لقد جمع بين عزيز المصرى وأنور السادات كفاح قوى متين استمر طويلا وكان نموذجا بحق للكفاح الخالد بين شخصيتين تاريخيتين كتب لهما أن يلعبا دورا خطيرا فى تاريخ مصر والعروبة .

٤ فبراير .. ومابعده

كان من المفروض ـ قانونا ، وعرفا ـ أنه بعد أن تم توقيع معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا أن تتغير العلاقة التى تربط مصر ببريطانيا من علاقة ((**التبعية**)) التى كانت مفروضة على البلاد منذ أن احتلتها القوات البريطانية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ الى علاقة ((**الصداقة والتحالف**)) التى يؤكدها كل بند من بنود معاهدة ١٩٣٦ . كان المصريون جميعا ـ حتى أولئك الذين عارضوا معاهدة ١٩٣٦ ـ يتوقعون تغيير تلك العلاقة وبدء عهد جديد من التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا ، غير أنه ـ وخاصة بعد أن بدأت الحرب العالمية الثانية وبعد اعلان الأحكام العرفية فى مصر ، تطبيقا لمعاهدة ١٩٣٦ عمدت بريطانيا ـ الدولة الحليفة ـ الى احكام سيطرتها الكاملة الشاملة على مصر بحيث أصبح كل أمر من امور البلاد صغيرها وكبيرها فى أيدى رجال السفارة البريطانية وقادة الجيوش البريطانية التى تعسكر فى مصر تماما ، كما كانت عليه الحال فى الحرب العالمية الأولى مع فارق واحد ، هو أن كل اوامر الاعتقال والاستيلاء على كل شىء فى البلد كانت تصدر بالانجليزية وبتوقيع من بعض البريطانيين ، أما فى الحرب العالمية الثانية فقد كانت الأوامر تصدر باللغة العربية وبتوقيع من الحكام المصريين !! ورغم المحاولات التى بذلها بعض أولئك الحكام ـ وفى حالات خاصة ـ للتخلص من سيطرة بريطانيا على مصر ، الا أن بريطانيا قد ظلت صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة فى كل أمر من أمور البلاد ، وكان الشعب فى بعض الحالات يقاوم ، بقدر استطاعته ذلك التدخل السافر ، والمستمر فى شئون البلاد ، وقد كان فى الامكان أن تتطور تلك المقاومة ، لو كان زعماء البلاد وقادتها ينظرون الى مصلحة مصر ، اكثر من نظرتهم الى مصالحهم الحزبية الضيقة .

كان زعماء مصر ، وقادتها ـ فى الغالب ـ فى حرب حزبية أكثر عنفا وضراوة من تلك الحرب ، التى كانت تدور على حدودنا الشرقية ، والغربية .

كانت الخطب ضد الاحتلال البريطاني والاستعمار البريطاني تزداد نيرانها وضراوتها عندما يكون « الزعيم » في المعارضة ؛ فان انتقل الى الحكم نسى أو تناسى كل ما قاله وهو في المعارضة ، كان السباق عنيفا بين القادة والزعماء لا من أجل تحقيق أهداف البلاد في الحرية والاستقلال وانما من أجل الوصول الى الحكم ، أو أجل الاستمرار في « الجلوس » على كراسى الحكم . وكانت السفارة البريطانية تعرف ذلك جيدا ، فكانت تضربهم ببعضهم ، تقرب اليوم هذا الزعيم لتستفيد من وجوده في الحكم ، أكبر فائدة ممكنة .. ثم تقرب آخر لتلعب معه نفس اللعبة ، وهكذا كانت تسير ساقية الحكم في مصر ، الساقية التى لا تعرف الا مدارا واحدا يسير عليه الجميع وأعينهم مغمضة وأرجلهم لا تعرف الا دائرة معينة تسير فيها .

وكان اخطر حدث وقع في مصر ، منذ توقيع معاهدة ١٩٣٦ هو حادث ٤ فبراير ، عندما فرضت بريطانيا حكومة الوفد ، على السراى ، وارادت بريطانيا من مظاهراتها المسلحة أن تعيد احكام سيطرتها على البلاد بعد أن ظنت أن هناك محاولات تستهدف ضربها عندما تأزمت الأمور في جبهة القتال على حدودنا الغربية ، وسوف يظل حادث ٤ فبراير في مقدمة الأحداث الكبرى التى كان لها أثرها البالغ في كل ما يتعلق بمصر في تلك المرحلة الخطيرة من مراحل تطورها ، كان له اثره على السراى التى أحست بأن وجودها في مصر ليس له أى جذور عميقة أو غير عميقة ، وأن هذا الوجود يمكن ان يزول في اية لحظة .

كان له أثره على أوضاع البلاد الداخلية التى تأثرت بذلك الحادث الى ابعد الحدود ، في كل النواحى السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، وكان له أثره على ضباط الجيش الشبان اللذين هالهم وقوع ذلك الحادث أكثر مما آلم غيرهم ، وكان ، وكان ..

وقصة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بدأت في الحقيقة في ٢٨ يونيو ١٩٤٠ ، عندما ألف حسين صبرى « باشا » وزارته من السعديين والدستوريين ورئيس الحزب الوطني والمستقلين اذ صرح لورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا انه كان يسر الحكومة البريطانية لو كان في الامكان اشتراك الوفد في الحكومة الجديدة ، وفى ٤ فبراير ١٩٤٢ جدد السفير البريطاني رغبته في اشراك الوفد في الحكم وعرض (الملك) في نفس اليوم ، على مصطفى النحاس (باشا) تأليف وزارة قومية برئاسته غير أن النحاس رفض تأليف وزارة « قومية » وطلب السفير من الملك ــ عن طريق رئيس الديوان الملكى ــ أن يكلف النحاس بتأليف وزارة

وفدية ؛ ويدعو الملك رؤساء الأحزاب وبعض الشخصيات البارزة للبحث في الموضوع ويحضر الاجتماع **شريف صبرى ، مصطفى النحاس ، على ماهر ، حسين سرى ، محمد محمد خليل ، أحمد ماهر ، احمد زيور ، اسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، محمد حسين هيكل ، محمد توفيق رفعت ، على الشمسى ، حافظ عفيفى ، حافظ رمضان ، بهى الدين بركات ، أحمد محمد حسنين ، محمود حسن** ، وكان الملك قد تلقى عن طريق رئيس الديوان من السفير البريطانى الانذار التالى :

((اذا لم أسمع قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتاليف الوزارة فان جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج)) .

Unless I hear by 6. P.M. that Nahas Pasha has been asbed to form a cabinet His Magesty King Farouk must accept the consquences.

ويروى رئيس الديوان ما حدث في يومى ٣ ، ٤ فبراير بالتفصيل ويقرأ نص الانذار البريطانى ويطلب الجميع من النحاس تأليف وزارة قومية برئاسته ولكنه يرفض وينتهى المجتمعون الى الاحتجاج على الانذار البريطانى رغم معارضة النحاس ثم يوقع الجميع بما فيهم مصطفى النحاس على الاحتجاج التالى :

((ان توجيه التبليغ البريطانى اعتداء على استقلال البلاد ، ومساس بمعاهدة الصداقة ، ولا يسع الملك ان يقبل ما يمس استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة .. ويحمل رئيس الديوان الاحتجاج الى السفير البريطانى الذى يقول **لأحمد حسنين** ان هذا ليس ردا ، وانه سيجيء لمقابلة الملك في الساعة التاسعة مساء ، وقبيل الساعة التاسعة مساء ، جاءت دبابات بريطانية مسلحة بالمدافع ورابطت أمام القصر الجمهورى بشكل تهديدى ثم حضر السفير البريطانى برفقة **الجنرال استون** قائد القوات البريطانية في مصر وقتئذ ، وبعض الضباط البريطانيين مسلحين بالمسدسات ؛ ودخل السفير والجنرال استون الى غرفة الملك واجتمعا به بحضور أحمد حسنين وكان السفير يحمل ورقة بالتنازل عن العرش **ويختلى الملك بأحمد حسنين ويسدى احمد حسنين النصح للملك بقبول الانذار فيقبله** ويعود الزعماء للاجتماع بالملك في الساعة العاشرة مساء ، ويقول لهم الملك : **اعتبروا ما دار من الحديث وما قررتموه اليوم كأن لم يكن ؛ وأكلفك يا نحاس باشا بتشكيل الوزارة ؛ ويعتذر النحاس** ، ولكن الملك يصر على تكليفه بتأليف الوزارة ؛ ويقول

احمد ماهر للنحاس : « كنت أظن ان النحاس باشا كما يقول عن نفسه زعيم البلاد وصاحب معاهدة الشرف والاستقلال يرفض تشكيل الوزارة أما وقد قبلها فانى أعلن فى حضرة مليك البلاد ان النحاس باشا يتولى الحكم مستندا الى اسنة رماح الانجليز » . ويقول **مصطفى النحـــاس أنه قد قال لأحمد** ماهر (اخرس) وان لم ترد تلك الكلمة فى المحضر الرسمى وانما وردت فيه العبارة التالية على لسان مصطفى النحاس « لست انا الذى يستند الى أسنة الرماح » ، ويدور نقاش حام وعنيف وينتهى الاجتماع ، بأن يشكل النحاس الوزارة ، ويتم الاتفاق بين مصطفى النحاس والسفير البريطانى على تبادل الرسالتين التاليتين .

من مصطفى النحاس الى السفير البريطانى :

يا صاحب السعادة

لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية وليكن مفهوما أن الأساس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو انه لا المعاهدة البريطانية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية وبخاصة فى تأليف الوزارات او تغييرها وانى آمل يا صاحب السعادة أن تتفضلوا بتأييد يتضمن ما فى خطابى هذا من المعانى وبذلك تتوطد صـلات المودة والاحترام المتبادلين وفقا لنصوص المعاهدة . .

● ويتلقى ، مصطفى النحاس الخطاب التالى من السفير البريطانى .

يا صاحب المقام الرفيع

لى الشرف ان أؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم ، المرسل منكم بتاريخ اليوم (٥ فبراير ١٩٤٢) وانى أؤكد لرفعتكم ان سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة فى تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية من غير تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها » . وحول بعض التعليقات على هذا الحادث نقول أن الأستاذ عبد الرحمن الرافعى قد ذكر **أن المسئول الأول عن حادث ٤ فبراير هو العدوان البريطانى لأن هذا العدوان هو اســاس الانذار** كما يقول أيضا « ان مسئولية النحاس تبدأ من يوم أن عـلم برغبة الانجليز فى اسناد رئاسة الوزارة اليه وقد كان ولا ريب عالما بهذه الرغبة

قبل ٤ فبراير راضيا عنها بل مغتبطا بها متلهفا على تنفيذها . وعلم بحديث السفير البريطانى مع رئيس الديوان بأنه اذا لم يقبل تأليف وزارة قومية فليؤلف وزارة وفدية وهذا ما جعله يسير فى انانيته الى الشوط الأخير ، وتدل الظروف والملابسات على أن أمر هذا الانقلاب قد دبر بليل وكان السفير بين الانجليز والوفد هو أمين عثمان الذى كان موضع ثقتهما معا ، وقد انتهزها النحاس فرصة ، ليعود الى الحكم منفردا ، ويؤلف وزارة وفدية لحما ، ودما ،ويقول الرافعى : ان مصطفى النحاس قد رفض فكرة الائتلاف بتاتا ، واحتمل بذلك مسئولية كبرى اذ كان هو المسئول الثانى عن حادث ٤ فبراير ، وضاعف فى هذه المسئولية أنه كان فى وزارته مواليا للانجليز معتمدا عليهم فى حل الأزمات بينه وبين القصر ، وليس هذا من الاستقامة ولا من الوطنية فى شىء » ..

وفى قضية الاغتيالات السياسية عندما أدى مصطفى النحاس الشهادة برر تصرفه فى ٤ فبراير وألقى الزعماء ، الذين أدلوا بشهادتهم فى تلك القضية المسئولية على مصطفى النحاس ، كما سيجىء ذلك كله مفصلا عند حديثنا عن قضية الاغتيالات السياسية التى كانت فى كثير من جلساتها محاكمة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ذاته .

ويقول مارسيل كولومب ، فى كتابه تطور مصر ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ :

لقد عمل الوفد منذ انضمامه لصفوف المعارضة على أن ينفرد بذلك الدعم الحقيقى أو المفترض الذى تقدمه السفارة البريطانية للقصر الملكى ولكل الرجعيين محاولا بذلك أن يسترد شعبيته التى استطاع الملك الشاب أن يطفىء بريقها الى حد ما ، وبعد ذلك وقف الوفد ضد المحادثات التى أجراها فى روما فى ٨ مارس ١٩٣٨ اللورد بيرث حول مشاكل البحر المتوسط ، والمسائل الافريقية دون استشارة سابقة لمصر ، كما أنه رأى الاتفاق الانجليزى الايطالى المعقود فى ١٦ ابريل ١٩٣٨ بمثابة العدوان على استقلال البلاد وكيانها الدولى ونكث عهود مقطوعة فى معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا والتفريط فى حقوق مقدسة مقررة لمصر والسودان ، كما أنه لم يخفف من انتقاداته للاتفاق الانجليز المصرى الذى عقد فى ٤ اغسطس ١٩٣٨ حول بناء ثكنات عسكرية فى منطقة السويس كما أصدر فى الرابع من سبتمبر بيانا يستثير فيه الرأى العام ضد أول خرق لنص معاهدة ١٩٣٦ ومع ذلك مع بدء العمليات فى أوروبا تغير موقف الوفد وبدأ تنديده لبريطانيا يفقد حدته تدريجيا ثم يختفى على وجه التقريب من الصحف الوفدية ؛ وفيما بين موقف السعديين

الذين كانوا يحبذون دخول مصر الحرب وبين موقف أنصار على ماهر باشا ، تبنى الوفد سياسة أكثر ملاءمة ونادرة فى الوقت نفسه ، على أن تضمن له ولاء الجماهير ؛ وعبر الوفد فى مذكرة سياسية سلمها الى السير مايلز مبسون فى أول ابريل عن تخوفه « من أن يتعرض التحالف الانجليزى المصرى ، لازمة اخلاقية بالغة الخطورة يمكن أن نلمح دلالات عليها عند عناصر معينة من الشعب المصرى « حسب تعبيره » وعند آخرين من أبناء الشعوب العربية والشرقية ولكى تدرأ بريطانيا هذا الخطر لزم عليها أن تعلن منذ ذلك الوقت أن القوات البريطانية بعد انتهاء الحرب الدائرة واستتباب السلام بين الأطراف المتحاربة ستنسحب كلية من الأراضى المصرية لتحل محلها قوات عسكرية ؛ مصرية كما أن من المسلم به أن معاهدة التحالف سوف تظل نافذة المفعول بين الطرفين كما اقتضى الأمر أن تؤكد بوضوح أن مصر سوف تشارك فى الترتيبات النهائية للحرب كما أنها ستكون طرفا فعالا فى مفاوضات للسلام ، حتى تكون فى وضع يسمح لها بالدفاع عن مصالحها ، وحتى تحقق أهدافها المادية والروحية ومن جهة أخرى فما أن يسود السلام حتى تكون حقوق مصر فى السودان موضع اعتراف من جانب بريطانيا العظمى ، لمصلحة سكان وادى النيل العظيم » ولم يكن من شأن بيان الوفد الا أن يسبب بعض الضيق فى لندن كما أن رد الحكومة البريطانية كان يتسم بشىء من الحزم وفى نفس الوقت فان الوفد لم يتردد فى اعلان ارتباطه بالديمقراطيات وأكد أن مصر ، تمد ، يدها الشعب الحليف وأن الشرف يقتضى من كل مصرى أن يساعد الدولة (الحليفة) بريطانيا ويشد أزرها وأن يتجنب بوجه خاص كل ، مايمكن أن يؤخذ على أنه طعنة فى الظهر ، وغداة دخول ايطاليا الحرب خرج الوفد بكلماته الى حيز التنفيذ فمنذ ذلك الحين تغاضى الوفد ، عن المطالب المعلنة فى برنامجه وظل يعلن أنه يقف الى جانب تقديم المساعدة المخلصة لبريطانيا العظمى فى اطار معاهدة ١٩٣٦ مع رفض الزج بمصر فى أتون الحرب ؛ وحققت هذه السياسة سكوت السفارة البريطانية كما جعلتها فى الوقت نفسه تأخذ فى الاعتبار رغبات الشعب المصرى وبفضل هذه السياسة أيضا باتت بريطانيا مقتنعة ــ بعد أن أدركت ما تواجهه من صعوبات ــ بعدم امكانية تحقيق فكرة جر مصر الى الحرب وازاء ما لمسته بريطانيا من مناورات على ماهر باشا والمحاولات المتخبطة التى قام بها حسن صبرى (باشا) وحسين سرى (باشا) بدأ الوفد بوصفه الحزب الوحيد والذى لا يزال يحوز الشعبية الكافية ــ القادر على أن يقنع الرأى العام بتقبل الاجراءات التى تحتم الضرورة اتخاذها أثناء فترة الحرب ، ولذلك فانها لم تتردد فى أن ترغم الملك فاروق على اعادة النحاس باشا الى الحكم مفضلة

اياه على أحمد ماهر باشا الذى بدت لها آراؤه المتطرفة بمثابة خطر على استتباب الأمن والنظام فى مصر . لقد طلب السفير البريطاني من الملك رسميا ان يكلف رئيس حزب الوفد مصطفى النحاس باشا بتشكيل الوزارة وفى مساء هذا اليوم (٤ فبراير) انتشرت القوات البريطانية فى ميدان عابدين امام القصر الملكى تصحبها المدافع والدبابات وانتزعت من القصر بعض الحواجز الحديدية وجرد ضباط مصريون من الحرس الملكى من سلاحهم ، وبلغت الأحداث الدرامية ذروتها وفى الساعة التاسعة دخل سير مايلز لامبسون يصحبه جنرال ستون القصر الملكى ورضخ الملك وكلف النحاس بتشكيل الحكومة الجديدة !!

يقول دزموند ستيبورات فى كتابه « ثورة ناصر » : تحول نشاط الأحزاب الى تنافس فى الخطب فى موضوع القضية الوطنية والمطالبة بالاستقلال والحرية وعرف بعض الزعماء النفى الى الخارج عندما تحدوا القصر واعترضوا على قراراته ولم تظهر أية محاولة من الأحزاب للتخلص من القصر أو لتدعيم الناحية المالية للبلاد وكان للزعماء شخصيات بارزة وكانت سياستهم تترسم أهدافا كبيرة وكانوا ينادون بشعارات حماسية ، ولكن أحدا لم يستطع أن يشخص بنجاح الصراع الاجتماعى القائم بين مختلف الطبقات فى البلاد ورغم أن زعماء الأحزاب كانوا ينتزعون التصفيق من الجماهير فقد فقدت الأحزاب قدرتها على تحريك الكتلة الشعبية نحو الهدف الكبير الذى كان يراود خواطر الناس جميعا وفى سنة ١٩٤٢ جاء حزب الوفد الى الوزارة مفروضا على القصر بقوة الانجليز وفى حماية دباباتهم فكان ذلك اليوم من فبراير نقطة اخرى سوداء فى جبين السياسة البريطانية التى رأت أن تفرض حكومة شعبية على مصر ، لضمان التعاون معها ، فى حربها ضد المحور ؛ ويعلم الله ويعلم الاستعمار أن مصر لم يكن لها أية مصلحة أو مبرر للاشتراك فى هذه الحرب ، **وعندما صدر الانذار البريطانى المعروف بانذار عابدين كان له نتائج ثلاث** : أولا : حطم نفوذ فاروق بوصفه ملكا . ثانيا : قضى على شعبية وكرامة حزب الوفد ، ثالثا : اقتنع المصريون أن سياسة مصر ما زالت مسرحا للدمى وان الانجليز يحكمون مصر ، بخيوط خفية ، من وراء الستار ومنذ ذلك التاريخ بدات القوة الشعبية تتخذ مظهرا مختلفا فى خارج نطاق الأحزاب .

يقول راشد البراوى فى كتابه « حقيقة الانقلاب الأخير » عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ : قدمت بريطانيا انذارا الى الملك فى ٤ فبراير تطالبه فيه بقيام وزارة على رأسها النحاس ، ورفض الأخير فكرة الوزارة القومية ، ولم يكن هناك مناص من النزول على رأيه وتألفت الوزارة فى اليوم التالى : لقد قبل

الملك الانذار حين علم أن هناك وثيقة معدة لنزوله عن العرش ، وقد أثار الحادث بطبيعة الحال الغضب لأنه تدخل من جانب الاستعمار ، ولكن القصر كان يجب أن ينظر الى المسألة على أنها طبيعية جدا ، فمنذ قيام الحياة الدستورية فى البلاد ، كان يستند الى الاستعمار ، وينزل على رأيه أو يسمح له بكل ألوان التدخل فلو أن القصر وقف منذ البداية الى جانب الشعب ، وتنازل عن الدعاوى البالية بشأن الحكم المطلق لألفت بريطانيا نفسها منذ أول الأمر أمام جبهة متحدة وما جرؤت على دس أنفها فى مسائلنا الداخلية . لقد عد الملك الانذار عدوانا على السيادة والاستقلال ولكن الأهم من ذلك أن نحدد المسئول والمسئولين عن اقحام الانجليز فى شئوننا أولا وقبل كل شىء : **ان على الذى يلعب بالنار أن يتأكد ، أنها لابد أن تحرقه فى النهاية وهذا هو منطق التاريخ .**

هذا عن حادث ٤ فبراير ، أما ما بعد حادث ٤ فبراير فان الحديث يطول ويطول :

● كان الشعب يأمل وقد جاءت وزارة الوفد بالصورة التى جاءت بها أن تحكم الوزارة حكما قوميا لا حزبيا خاصة وأن الظروف التى أحاطت بالبلاد سياسيا ، واقتصاديا ونفسيا ؛ كانت تحتم هذا اللون من الحكم أسوة بما تتبعه الحكومات المختلفة فى الدول المتحضرة وتطبيقا لما وعد به النحاس باشا عندما باشرت وزارته مسئولياتها لأول مرة ..

وكان الشعب يأمل فى الوقت ذاته أن يتعلم بقية الزعماء والقادة من درس ٤ فبراير وان يحاولوا ما وسعهم الجهد الوقوف الى جانب الوزارة الجديدة يعضدونها ، ويسندونها حتى لا تقع فريسة فى يدى سير مايلز لامبسون السفير البريطانى **الذى تحول بعد ٤ فبراير الى لورد كرومر يأمر وينهى ويباشر مهامه الاستعمارية** وكأنما البلد لم تتحرر بعد من ربقة الاستعمار البريطانى وكأنما لا توجد معاهدة بين مصر وبريطانيا يطلق عليها معاهدة « الصداقة والتحالف » ، أو معاهدة الشرف والاستقلال .

وكان الشعب يأمل أيضا أن يفيق القصر الى نفسه وأن يبعد عنه تلك الحشرات السياسية التى لا تعمل الا بوحى من الاستعمار الأجنبى وأن يوقن أن الشعب وحده هو السند الوحيد ، لأية قوة تحاول أن تفكر فى مصالح الشعب ، غير أن شيئا مما كان يأمله الشعب قد تحقق ؛ فلا وزارة حزب الأغلبية الشعبية حكمت البلاد حكما قوميا ولا هى حتى نفذت كل ما كانت تشكو منه خارج الحكم ، وتنادى به وهى فى المعارضة .

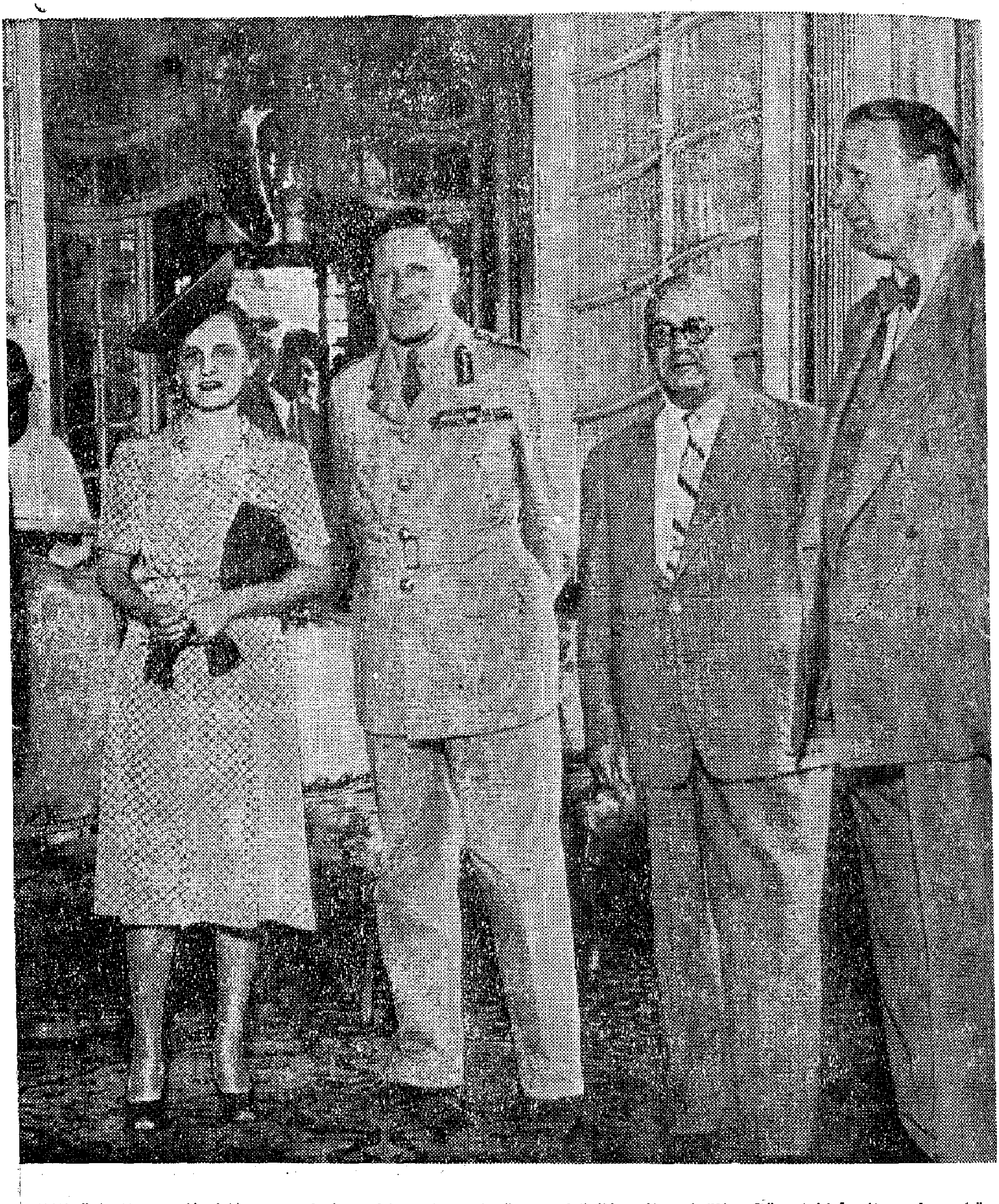

وعقيلته والجنرال أوكلنك قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط . كان يحكمان مصر خلال الحرب العالمية الثانية

مثلا لم تلغ حكومة الوفد الأحكام العرفية التى طالما نادت بالغائها أو حتى لم تخفف من مساوئهــا ، ولم تحاول مثـلا أن تحصل على وعد من الدولة الحليفة بالجلاء عن مصر والسودان عندما تضع الحرب أوزارها ولم تحــاول مثلا أن تتعاون مع القصر لاصلاح ما فســد من علاقات فى يوم ٤ فبراير ولا ، ولا ، وكذلك زعماء الأحزاب الأخرى لم يحاولوا ابدا النظر الى مشاكل البلاد ومستقبلها بعيدا عن وجهات النظر الحزبيــة ولا هم مثلا ترفعوا عن النزول الى المستويات الدنيا فيما يتعلق بمعارضتهم للوزارة القائمة ، ولا هم أيضــا حاولوا العمل مع التيارات الوطنية الجديدة التى بدأت تظهر على الساحــة حتى **مكرم عبيد وهو الذى تربى فى أحضان حزب الأغلبية الشعبية والذى ظل سنوات وسنوات الرجل الثانى ان لم يكن الرجل الأول فى بعض الأحيان لحزب الوفد ـ حزب الغالبية الشعبية ـ عندما خرج على حزبه ، وعلى زعيمه لم يختر الوقت المناسب للخروج ولم يعتمد فى معارضته فى كتابه الأسود الا على أمور لم تكن فى الغالب ذات صفة شعبية أو ذات تأثير على الخطوط الرئيسية للسياسة المصرية** لقد ملأكتابه الأسود ببعض أشياء تافهة كقطعة فرو اشترتها أو جاءت هدية الى حرم رئيس الوزراء لست أذكر ، ومثل بعض الأمور المالية البسيطة والترقيــات والعلاوات التى كانت عادية بالنســبة لما كان يحدث فى كل العهود والوزارات .

أما القصر فقد انطوى على نفسه يلعق الجراح التى أصيب بها فى ٤ فبراير ، وينتظر اللحظات المناسبة لكى يسترد نفوذه الشعبى اذا ما أصيبت بريطانيا فى حربهــا ضد المحور بالهزيمة . ويقول مارســيل كولومب فى مكان آخر من كتابه « تطور مصر » ..

« كانت الشهور الأولى فى عمر (حكومة الشعب) بالغة الصعوبة ، فقد سرى الهمس بأن السير مايلز لامبسون كان قد قدم الى الملك فاروق أثناء المقابلة التى تمت فى ٤ فبراير وثيقة تنازل عن العرش ، وانه كانت قد اتخذت كافة الاجراءات لنقل الملك الى مكان مأمون اذا ما رفض دعوة مصطفى النحاس (باشا) الى تولى الحكم وفى العاصمة تمت لدى الضباط مشاعر النقمة على بريطانيا العظمى ، وفى لبيا كانت المعارك تدور بشراسة ؛ وفى ٢٧ فبراير ١٩٤٢ كان روميل يواصل طريقه الى الامام وفى ٢١ يونيو جلت قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال كونج عن بير حكيم ، وفى ٢١ يونيو سقطت طبرق ، ووقع ٢٥ ألف من الرجال أسرى فى يد العــدو ، وفى ٢٥ يونيو تم اجتياز الحــدود المصرية واحتلال السلوم ، وفى اليوم التالى دخلت قوات المحور المدرعة سيدى برانى وفى صباح ٢٩ سقط معسكر مرسى مطروح الحصين وفى أول يوليو

حوصرت العلمين واصبحت القوات الالمانية تبعد عن الاسكندرية بما لا يزيد عن مائة كيلو مترا ، وبعد ذلك بثلاثة أيام أعلنت المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية التزامهما المشهور باحترام وتأكيد ضمان استقلال مصر وسيادة مصر ((**بل انهما أكدتا من جديد أن قواتهما لن تدخل مصر ، كبلد معاد وانها ستدخلهـا بهدف طرد الانجليز من الأراضى المصرية حتى تواصل ضد انجلترا العمليات الحربية التى تهدف الى تحرير الشرق الأوسط من السيطرة البريطانية)) .**

وبالاضافة الى ما سبق فقد تلقت مصر تأكيدا بأنها بعد أن تتحرر ، من قيودها ستتبوأ مكانها بين الدول المستقلة ذات السـيادة وشجعت هذه السياسة الماهرة كل خصوم بريطانيا العظمى على معاداة دعايتهم لصـالح قوات المحور فى الوقت الذى نجحت فيه بعض العناصر الألمانية فى التسلل الى ضواحى الاسكندرية .. **لقد كان وقتا عصيبا حقا ، وفى القاهرة هجم** الناس بالطوابير على نوافذ البنوك ، وجرت حركة سحب جماعية للارصدة ودب الفزع فى قلوب الأجانب وفكر الكثيرون منهم فى الهرب الى فلسطين . **ووضعت السلطات البريطانية تحت تصرفهم قطارا خاصا** وكتب احد شهود العيان يقول : كانت أعمدة الدخان تشاهد وهى تعلو فى سـماء المدن وأخذت البعثـات الأجنبيـة تحرق وثائقهـا فى حدائق مبانيهـا وملأت قوافل السيارات الطرق الصحراوية وبدأت هجرة جماعيـة وغادر النـاس من كل الجنسيات مصر بالمئات وذهبوا يلوذون بفلسطين وسوريا ولبنان بل وجنوب أفريقيا ، وفى ظل هذه الظروف المحزنة أبدى رئيس الوزراء من ضروب النشاط والمهمة ما لعله يوجـه المرة تلو المرة شكره العميق الى حكومة لندن ، وفى ٢٢ فبراير اعفى رئيس الجيش المرابط عبد الرحمن عزام باشا من مناصـبه وفى ٨ أبريل اعتقل على ماهر ، بعد أن طلب اليه أن يكف عن القيام بأى نشاط سـياسى وحددت اقامته وزيدت اجراءات الأمن فى كل انحـاء مصر وأدان النحاس باشا الطابور الخامس الذى يبذر القلق فى النفوس ، وبقوة وحماس كذب الشائعة التى راجت ومؤداها أن انجلترا طلبت الى مصر أن تمدها بمعونة عسكرية ؛ وأكد انه مواصلة منه للسياسة التى سبق أن أعلنها قبل مجيئه الى الحكم لن يقدم على الاطلاق جنديا واحدا منهما مهما كانت الظروف .. وكلف الجيش بالتعاون مع البوليس فى حفظ النظام والهدوء فى الشـوارع والقى القبض على آخرين ممن حامت حولهم الشكوك ونشطت المحـاكم العسكرية وهكذا انحازت مصر للمرة الأولى وبشكل واضح تحت قيادة مصطفى النحاس باشا الى جانب الحلفاء ، وذلك دون أن تشترك فى الحرب اشتراكا مباشرا .

وقد ظل رئيس الوزراء طيلة عام ١٩٤٣ هدفا لهجمات شديدة وجهتها اليه معارضة ضعيفة وان تكن نشطة تعيد الى الأذهان باسـتمرار ظروف

مجيئه الى الحكم على أسنة الرماح الانجليزية ، ولم تستثن بريطانيا العظمى من هذه الهجمات فقد وجهت اليها الاتهامات من فوق منصة البرلمان باعتبارها مسئولة عن الغلاء المستمر فى تكاليف المعيشة ووصفت الرقابة التى يمارسها على الصادرات المصرية عن طريق مركز تموين الشرق الأوسط بالقسوة كما تعرض تعنت جهاز الرقابة الخاصة به الى انتقادات مريرة .

وفى يونيو ١٩٤٣ ألقى النائب الوطنى عبد العزيز الصوفانى خطابا طويلا ندد فيه بالسلوك غير القويم لرجال الفرق التابعة لجيوش الحلفاء ، وضد اعمال العنف التى انغمسوا فيها فى بعض الأحيان .

ويضيف مارسيل كولومب فى كتابه ((**تطور مصر**)) الى ما سبق الاشارة اليه كلاما عن المعركة بين فاروق والنحاس فيقول :

« تحولت هذه المعركة الصامتة الى صراع عنيف فبعد مناوشات عديدة قدم الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر الذى ساند السراى بكل قوة فى عام ١٩٣٧ استقالته التى كانت أول سبب جاد للخلاف بين الملك ورئيس وزرائه فلقد رفض الملك استقالة مربيه القديم ، الذى كان يصطدم برئيس الوزراء لما بينهما من عداء قديم ، واصر مصطفى النحاس ضد رغبة الملك على تعيين خليفة للشيخ المستقيل ، واصر كذلك ازاء عناد الملك ــ على أن من حقه تعيين شيخ الجامع الأزهر **ولقد ظل مصطفى النحاس باشا فى الواقع لعدة أشهر واستنادا الى دعم بريطانيا العظمى لم يستخف بخصومة السراى ، كما كان يقابل الاستجوابات المقدمة اليه فى مجلس الشيوخ والنواب بلا مبالاة . وكان فى استطاعته ان يقبل أو يرفض مناقشة اى منها حسبما يتراءى له))** .

فقد كانت الاحتكاكات بين رئيس الوزراء والملك مستمرة ، كما كانت الصلات بينهما متوترة للغاية .

يزور الملك ــ مثلا ــ الصعيد لبحث موضوع الملاريا ويصدر تعليماته ، وبعدها يزور رئيس الوزراء المنطقة ويصدر تعليماته أيضا . يذهب الملك الى جهة ما ليوزع « العطايا والهبات » فنجد رئيس الوزراء يحذو حذوه .. ومع ذلك كله كانت الخطابات السرية المتبادلة بين رئيس الوزراء والملك تختلف كثيرا عن تلك المعارك الصامتة الواضحة والسافرة .

وهذه عينة من خطابات رئيس الوزراء (السرية) الى الملك :

كتب مصطفى النحاس (باشا) فى ٥ اغسطس ١٩٤٢ الى « الملك » فاروق خطابا قال فيه :

« وفد الى مصر يوم الاثنين الماضى ٣ أغسطس بصفة سرية محضة حضرة صاحب السعادة المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وقد دعانى لتناول الغداء معه بدار السفارة البريطانية يوم الثلاثاء ٤ أغسطس . حاولت الاتصال بجلالتكم لابلاغكم ذلك فلم يتيسر لى . كان الحديث على المائدة يدور عن أحوال مصر بصفة عامة ؛ يخيل الى انه قادم بصفة سرية للنظر فى الحالة الجديدة القائمة على حدود مصر وان كان لم يتحدث معى فى شيء من ذلك علمت منه أنه انتظر عودة جلالتكم الى القاهرة ليحظى بشرف المقابلة بصفة سرية وهو لهذا السبب لم يتوجه الى القصر العامر لقيد اسمه فى سجل التشريفات وقد اتصل سعادة السفير البريطانى بحضرة صاحب المعالى احمد حسانين باشا رئيس ديوان جلالتكم وافضى الى بذلك طلب منى مساء الأمس بصفة سرية استمرار وقف المواصلات مع فلسطين على صورة مخففة لمدة ٤٨ ساعة أخرى تنتهى فى صباح الجمعة المقبل وقد نفذ ذلك فعلا .

استقبلت فى مساء السبت الماضى بالمنزل حضرات أصحاب السمو والمجد والسعادة عمر الفاروق ؛ وعباس حليم ومحمد طاهر باشا واتفقت معهم على تفاصيل سفرهم الى المصيف الذى أعدته الحكومة لهم باستراحة طلمبات السرو اعدادا يليق بمقامهم : وتنفيذا لما تم الاتفاق عليه سافروا باختيارهم صباح الأحد الماضى ، ووصلوا الى الاستراحة الساعة ٢٫٣٠ بعد الظهر حيث كان كل شيء معدا لاستقبالهم واقامتهم وقد أبلغونى فى نفس اليوم أنهم فى غاية الراحة والممنونية ويهمنى أن اذكر جلالتكم انى فى الحديث معهم مساء السبت افهمتهم بكل جلاء مبلغ اهتمام جلالتكم بشأنهم وما كان من مواصلة سعيكم الكريم لابعاد هذا الأمر .

من جانبى قد بذلت جهدى نزولا على أمركم فلم نستطع أكثر مما تم الاتفاق والتفاهم معهم عليه : هذا ما عن لى ابلاغه لجلالتكم بصفة عاجلة وانى يا مولاى على الدوام الوفى المخلص الأمين . مصطفى النحاس .

وفى حفلة اقامها رئيس الوزراء لتكريم مايلز لاميسون بمناسبة الانعام عليه بلقب لورد يصف مصطفى النحاس رئيس الوزراء ، السفير البريطانى بأنه الصديق العزيز الذى كرس جهوده دون كلال فى صدق عاطفة وسعة ادراك لنجاح المفاوضات المصرية البريطانية « واذا كانت المفاوضات قد كللت بالنجاح فاليكم يرجع الفضل الأكبر فى نجاحها ، وهكذا انقضت فترة طويلة من الخلاف فطوى البلدان كتاب الماضى ، وتفتحت أمامهما صفحة بيضاء سجلا عليها بمداد الاخلاص صداقتهما وآمالهما المشتركة » .

ويرد السفير على خطاب النحاس (باشا) بقوله « العالم كله يعلم أن رفعة النحاس باشا هو صاحب اليد الطولى فى انشاء المعاهدة وانه ليجب على كل انسان أن يسلم - بصرف النظر عن العاطفة والتقاليد - بأن القدر والجغرافيا هما اللذان قضيا بارتباط بلدينا لمصلحتهما المتبادلة فكل منهما فى احتياج الى الآخر . ولا شك ان العناية الالهية أرادت بهما خيرا عندما شاءت بأن تكون شريكة مصر فى الشئون العالمية وهى الدولة الاوروبية العظيمة الوحيدة التى تتوقف مصلحتها الحقيقية على الاحتفاظ بسلامة كيان الأراضى المصرية » .

ويقول عبد الرحمن الرافعى عن حكومة الوفد : استغل النحاس الاحكام العرفية الى مدى بعيد بل اغتبط بقيامها واستمرارها حتى انه حينما استسلمت المانيا ، واشرفت الحرب العالمية الثانية على نهايتها أعلن ان الأحكام العرفية باقية حتى تنتهى الحرب مع اليابان واستغل هذا النظام فى اعتقال خصومه والاساءة اليهم فاعتقل على ماهر فى حرم مجلس الشيوخ سنة ١٩٤٢ واعتقل مكرم عبيد وبعض انصاره سنة ١٩٤٤ ، ومنع الصحف من نشر آراء المعارضين ومقالاتهم واعتقل بعض الضباط ، وبعض المدنيين لمجرد الاشتباه فى ولائهم للوفد » .

وفى نوفمبر ١٩٤٣ **كان روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وتشرشل رئيس الوزارة البريطانية والمارشال شان كاى شيك زعيم جمهورية الصين الوطنية وعدد جم من كبار القواد ورجال السياسة والحرب يجتمعون فى فندق مينا هاوس بالقرب من اهرام الجيزة . لتنسيق الأعمال العسكرية ضد اليابان** وانتهز زعماء المعارضة فى مصر ، فقدموا الى الأقطاب مذكرة هامة وخطيرة لخصوا فيها مطالب شعب مصر فى بعض نقاط فى مقدمتها ، ضرورة جلاء القوات الأجنبية عن مصر بعد نهاية الحرب أيا كانت جنسيات تلك القوات لأن بقاء أى جيش على أراضيها لن يكون له مسوغ ، وكذلك ضرورة استرداد مصر كامل سلطاتها وحدها الاعتراف بوحدة مصر والسودان قانونا كما هى قائمة فعلا ، وكذلك ضرورة أن تتبوأ مصر مقعدها فى مؤتمر السلام القادم ، كدولة مستقلة متمتعة بكامل سيادتها ، وقد وقع على تلك المذكرة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى ، ومحمد حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين و د. احمد ماهر ، رئيس الهيئة السعدية ، ومكرم عبيد رئيس الكتلة الوفدية . وكان قد اشترك معهم فى وضع تلك المذكرة ، اسماعيل صدقى ، وأحمد لطفى السيد ، وبهى الدين بركات وعبد الحميد بدوى .. والمآخذ

الذى نأخـذه على المذكرة أنها قدمت الى رؤســاء دول أجنبيـة واذا كان النحاس قد أخطأ عندما تقدم بمذكرته فى أول ابريل ١٩٤٠ الى السفير البريطانى ليبلغها الى الحكومة البريطانية فان زعماء الأحزاب الأخرى قد اخطئوا أيضا بدورهم عنـدما تقدموا بمذكرتهم الى رؤسـاء دول أجنبيـة متخطين السلطات الرسمية المصرية ..

وقد حـدث فى ابريل ١٩٤٤ أن الملك فكر فى تغيير الوزارة الوفـدية بوزارة أخرى يرأسها أحمد محمد حسنين رئيس الديوان الذى تحدث الى السفير البريطـانى فى هذا الموضوع ؛ فاستمهله السفير ليستطلع رأى الحكومة البريطانية التى ردت بالبرقية المشهور : لا تغيير

وازدادت العلاقات توترا بين القصر والوزراء .

ونشير أيضـا الى رأى آخر فى وزارة النحاس باشا ذكره د. راشـد البراوى فى كتابه « حقيقة الانقلاب الأخير » : لقد جاءت وزارة النحاس برغم القصر ، فكان مجيئهـا هزيمة له ، ولكنهـا اعتلت الحكم فى أعقـاب انذار من المستعمر ، وظلت فى الحكم من فبراير ١٩٤٢ حتى أكتوبر ١٩٤٤ وخلال هذه الفترة **ارتكبت طائفة من الأخطاء تدل على الانحراف الذى طرأ على قيـادة الوفد من سـنوات خلت من قبل فلم تحـاول استخلاص وعد من الانجليز بالجلاء التام فى ختام الحرب وامعنت فى الاسـتثناء والمحسوبية ؛ وفصل كبـار الموظفين واساءت استخدام الأحكام العرفـة للتنكيل بخصومها وخصوم الانجليز واستغلت وأنصارها الظروف للاثراء عن طريق الصفقات المريبة** ؛ ولكن الوزارة فى الوقت نفسـه قامت باعمـال ذات اتجاهات شعبية ومن ذلك انشاء ديوان المحاسبة وجامعة الاسكندرية (فاروق الأول سابقا) واصدار قانون نظام هيئات البوليس وتقرير مجانية التعليم الابتدائى والنص على استعمال اللغة العربية فى مكاتبات الشركات ودفاترها وتحويل الدين العام الى قرض وطنى واخراج قانون استقلال القضاء وخفض الضريبـة المربوطة على صـغار المزارعين ووضـع مشروع المجموعات الصحية واصدار قانونى عقد العمل الفردى ونقابات العمال ولا ريب ان الموازنة بين هذين الضربين من التصرفات والأعمال تدل على تناقض وان كان يصعب تفسـيره ؛ لقد رأينا التحول الذى طرأ على الطبقـة الوسطى التى عمدت الى دعم نفوذها فى الوفد كما اشتدت قبضة العناصر الاقطاعية فيها وبهذا أخذت قيادة الوفد تنحرف فى سـبيل محاباة المصـالح الكبيرة فهادنت الاستعمار ولجأت الى أساليب الضغط والكبت وعملت على دعم هذه المصالح غير انه فى الوقت لا ننسى اعتبـارات أخـرى لها

أهميتها ، ذلك أن الوفد كان يرتكز على قاعدة شعبية كبيرة من العمال والفلاحين والطبقة الوسطى الصغيرة وبذلك تعرض للضغط السفلى من جانبها ولم يشا أن يقطع صلته بالقاعدة حرصا ، على كيانه وليتخذ منها قوة تسنده اذا ما دب الخلاف بينه وبين القصر ومن هنا قام بكثير من الأعمال التى تستهدف صالح هذه القاعدة الشعبية » .

تلك صورة موجزة لحادث ٤ فبراير ـ وما أعقبه من أحداث وقد أولينا هذا الحادث وما بعده اهمية خاصة لأننا نعرف جيدا الآثار العميقة التى خلفها ذلك الحادث وما تلاه من أحداث فى نفوس الشعب المصرى بصفة عامة ، وفى نفس الضباط الشبان بصفة خاصة ، ولما كانت هذه الدراسة مخصصة لتاريخ تلك الفترة الهامة من نضالنا القومى من خلال شخصية أنور السادات وكفاحه القومى ، فاننا نستأذن القارىء فى أن نعود الى الحديث عن حادث ٤ فبراير وما بعده وأثره على الضباط الشبان وفى مقدمتهم **أنور السادات** .

وفى البداية أشير الى **أن جمال عبد الناصر ـ رحمه الله ـ كان قد اقترح على انتونى ناتنج ـ الوزير البريطانى السابق ـ أن يضع كتابا بعنوان : ناصر ، بقلم ناصر** ، وتعهد الرئيس عبد الناصر يومئذ بأن يزود انتونى ناتنج بالعناصر الرئيسية والأساسية التى يحتاجها هذا الكتاب وعندما سأل ناتنج عبد الناصر من أين نبدأ ؟ أجاب عبد الناصر بقوله ، نبدأ من ٤ فبراير ١٩٤٢ . عندما وقفت أؤيد الملك فاروق ، يوم أن حاصر السفير البريطانى المستر مايلز لاميسون قصر عابدين بالدبابات ودخل على الملك فاروق وأمره بتغيير الوزارة المصرية القائمة ، والمجىء بوزارة النحاس » وقال عبد الناصر : يوم ٤ فبراير كان الوقوف بجانب الملك فاروق هو الموقف الوطنى ، وأنا أريد الانطلاق من هذه النقطة لأقول بأن المواقف الوطنية ليست مواقف ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والمعطيات المتجددة مع الزمن فالموقف الذى كان فى الأمس موقفا وطنيا قد يصبح موقفا منحرفا اليوم ، أو موقفا خائنا غدا » .

وعندما تحدث عبد الناصر الى دافيد بن مورجان عن بداية التفكير الثورى عنده ـ وقد نشر الحديث فى صحيفة الصاندى تايمز البريطانية ، قال عبد الناصر : لقد كنا نتجه الى شىء يجعلنا جميعا ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية فأعطانا الانجليز ما نحتاج اليه ففى ١٩٤٢ كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط ، وكانت فى الصحراء الغربية الحرب تمر فى مرحلة حيوية وكان البريطانيون مصممين على أن تقوم فى مصر

حكومة تؤازرهم مؤازرة ايجابيـــة وذهب السفير البريطـــانى السير مايلز لاميسون ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين ، فى القاهرة بعد ان حاصر القصر بالدبابات البريطانيـــة وسلم الملك انذارا يخيره فيه بين اسناد رئاســة الوزراء الى مصطفى النحاس ، مع اعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيـــا ؛ وبين الخلع وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط .. كان ذلك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شىء كما كان ابدا وكنت يومئذ فى العلمين حين جائنى هذا النبأ ، ومازلت أذكر انفعالى الشديد وقد كتبت فى تلك الليلة الى صديق أقول : ترى ماذا نحن فاعلون بعد هــذا الحادث التعيس الذى تقبلناه بتسليم قوامه الخنوع ، والمهـــانة : الحقيقة هى ان الاستعمار ليست لديه الا وسيلة واحده يرهبنا بها ، لكن يوم أن يدرك الاستعمار ان المصريين مستعدون للتضحيـة بأنفسهم سيتراجع كالجعجاع الجبان ؛ ان حوادث ٤ فبراير قد الحقت العار بمصر ، لكنهـا رغم ذلك الهمتنا بروح جديدة ، فقد ايقظت هذه الحوادث أناسا كثيرين وعلمتهم أن هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الانسان بأى ثمن .

وقد أوضح أنور السادات وبمزيد من التفصيل آثار حادث ٤ فبراير ، وما أعقبه من أحداث فى نفوس الضباط الشبان عندما كتب يقول :

« ونحن نستعد ، ونستعد ، ونستعد ودعوتنا تجد أنصارها ببطء ، ولكن فى وثوق ، وكل شىء يجرى على وجه نطمئن اليه ، وفجأة كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ فقلب خططنا راسا على عقب ، وبدأنا السير فى طريق خطير » ويذكر السادات بعض الحقائق والملابسات التى اكتنفت حادث ٤ فبراير فيقول : فعلى كثرة ما كتب عن هـــذا الحادث فان هنـاك حقيقة لم تنشر أبدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ولا الذين سمعوه فقد أخذ الناس هذا الحادث بالأخذ السطحى فقالوا : ان مظاهرات سارت فى البلاد تهتف : « الى الأمام يا روميل » **فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحـاس على الملك رئيسا لمجلس وزراء البلاد ، ولو قلت اليوم ان هذه المظاهرات قد رسمت ودبرت تدبيرا لمـا جاوزت الصواب ، ولو قلت انهـــا رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة ، التى ارتكبهـا الانجليز لمـا جاوزت الصواب أيضـا .** وبقى أن تعرف بعد ذلك اليد التى حركت هذه المظاهرات بليل ؛ يد المدبر ، والمحرك وناصب الشرك ... لقـد كانت البـــلاد واقعة تحكم عرفى والذين يقودون مظاهرات كهذه ــ ان كانوا من الوطنيين فعلا ــ لا بد وان يقدروا خطورة تظاهرهم ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلهـــا جيش الانجليز ، ومع ذلك فقد سارت المظاهرات ولم تعرف أشخاص قادتها ولا قبض رجال البوليس عليهم ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة والذى لم يجد حرجا

فى مهاجمة قصر الملك ، فاذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية واعوانها فى مصر أن تلعب فى فترات الحرج بعقول العامة من اهل هذه البلاد فاذا بالأكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثنى عشر عاما كاملا ، ثم تترددها قاعات المجالس النيابية وقاعات المحاكم أيضا فى قضايا السياسة الكبرى احقا .. هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القاهرة لتلعب دورا فى هزيمة الانجليز ؟ . انها اذن مظاهرات خطرة من ورائها تدبير وطنى فاهم لما يعمل : فأين المدبرون والمحركون وأين قصاص الانجليز منهم أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ..

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الانجليز فى ايام محنتهم ففيم اذن هذا الاجراء العنيف وقد كان أيسر اجراء فى تلك الأيام كفيلا بقمع مظاهرات لا هى بالخطورة ولا وراءها تدبير .

ولكن هناك هدفا ، وقد تحقق هذا الهدف ..

والهدف هو ايجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه .

وقد تحقق هذا الهدف واستطاعت انجلترا أن تفرض على الملك حكومة النحاس .

ويبقى السؤال الذى لا يزال ينتظر الجواب : لماذا اراد الانجليز هذا وما الذى كلفهم كل هذا التدبير ، وكل هذه الجريمة وكل هذه الدعاية التى اضطروا اليها اضطرارا لتبرير فعلتهم . لم يكن المسألة مسألة السخط الذى كان يعم مصر وقتئذ ؛ ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى المضاد لانجلترا فى وقت يتصرف فيه الانجليز فى أحرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية ، فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السخط ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للانجليز ؛ وانما هو جدير بزيادة السخط والكراهية وكشف العداء ، سافرا بين شعب مصر ، وبين حليفه المفروض عليه فرضا ، جند الاحتلال ؛ فصحيح كان هناك سخط ، وكان فى البلاد توثب لانتهاز الفرصة وضرب الانجليز من الخلف بينما تشتد عليهم نيران روميل من امام ولكن هذا لم يكن كل شىء ولم يكن يستحق الموضع الذى وضعت انجلترا نفسها فيه يوم ٤ فبراير المشئوم .

كانت انجلترا ترى ان هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الأخرى : فقد كان الملك فى نظر الشعب

وفى نظر الجيش أيضا شابا وطنيا وكان محبوبا ورأت انجلترا ان هـذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشـعب ورأت أن تحطم هـذه الجبهـة وأن تعزل الجيش عن الشعب ؛ وكان يوم ٤ فبراير هو الوسـيلة لذلك فلقد صممت انجلترا فيه على تكليف النحاس - زعيم الشعب - بتشكيل الوزارة فأصبح الشعب بذلك فى ناحية والملك والجيش فى الناحية الأخرى وبدأت انجلترا بعد هذا تقيم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا ، عن الشعب بتبغيضه اليه واشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهـره باسم الملك ، وكان يوم ٤ فبراير الذى تحدثت مصر عنـه عشرة أعوام ولا تزال تتحدث ؛ وكحقيقة نذكرها لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث بل وأكثر من هذا لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع ، ولكننا أحسسنا به بعد ذلك وفهمناه من تحليلنا ومن تجربتنا وبينما كانت البـلاد فى ذهول من الحـادث ؛ طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن فى تشكيلنا نفكر ، اما البلاد فقد ذهلت لأن الأحداث كانت أغرب من كل ما تصوره خيال هذا ، الشعب وأذهلها بعد ذلك عنه أو شغلتها عنه ما تقاذفه به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك والمواقف المثيرة التى رأتها قاعاته من الزعمـاء : وطاش صواب ضباط الجيش لا لأنهم كعسكريين شعروا بأنها ضربة عسكرية لا يردها سواهم وفى ثورة الحماسـة وعنف الشـباب بدأت الاجتماعات تعقد علنا فى نادى الضباط لمناقشة الموقف ، وتقرير الخطة بصورة مفتوحة لا يمكن أن تؤدى الى خير ؛ أما نحن فقد انتهينا حينئذ الى قرار أولى .

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز قررنا تأجيل هذا الرد لأن ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسائل بنادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شىء فى خلاله .

كنا قد درسنا الأمر ، من كل وجوهه على طريقة العسكريين عندما يقومون بما يسمونه ، ((تقدير الموقف)) ، ولم نضع فى حسابنا عندئذ أن نحدد موعد ضربتنـا فقد اتفقنـا على عدم الاهتمـام بالتفكير فى الموعـد ، بعدما حدث وما فوجئنـا به على غير اسـتعداد أو ترقب ولكننا وضعنا فى حسابنا ان ندرس كيف تكون ضربتنا ؛ لا متى تكون ، وصممنا على أن نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة ، ودامية فى الوقت نفسه وقررنا كذلك أن تنأى خطتنا فى هذه المرة عن اى صلة بالاخوان المسلمين ، وان نقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش وتكتيل قوتنا فى كل الأسلحة واعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية .

ومرت الأيام ــ كما قال **أنور السادات** ــ من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين او مأزق العلمين وكانت هذه المدة كفيلة بأن تضاعف قوتنا داخل الجيش أكثر من مائة ضعف ، فقد كنا عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا الى تجهيز مائة ألف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف وكنا قد استطعنا انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات وبدات تخرج السلاح فعلا ، وكنا أيضا قد استوردنا من الريف كميات كبيرة من البارود الذى يصنعه الفلاحون من زمن بعيد واستطعنا أن نحضره تحضيرا علميا يمكن الاعتماد عليه وكان هذا هو الشق الأول من خطتنا بعد ٤ فبراير .. ان نعد انفسنا بما يلزم لعمل كبير ، أما الشق الثانى الذى يحدده نوع العمل فقد كان مقررا تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه : كنا مرة أخرى ننتظر الوقت المناسب وجاء هذا الوقت ؛ يوم وصل الألمان الى العلمين وبدانا نرقب الأحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع أن نقوم به ، وقالت الأحداث كلماتها سريعة متلاحقة قالت **ان روميل يضرب ضرباته القاضية ؛ وقالت ان الانجليز أيقنوا بالهزيمة وقالت انهم فى هلع أفقدهم صوابهم وقالت انهم قرروا الانسحاب فورا وباسرع ما يمكن الى الجنوب** كان هذا هو صوت الأحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورآها العالم بأسره معنا .

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطلق الأحداث ... فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظامية ، ولا انقلابا عسكريا ؛ ولكنه كان يوجب اتجاها آخر . يوجب خطة سريعة واحدة توضع لابادة الانجليز أفرادا وجماعات عند انسحابهم وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ، وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى .

والجانب الآخر ، يرسم خطة الاتصال بالألمان .. ولكن خطة أخرى كان القدر يضعها فى الوقت نفسه وقد لا نستطيع أن نحكم على أفعال القدر ، عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل ، نستطيع دائما أن ننظر الى الماضى فنجد أن الايمان حق .. هو دائما ، أقوى من القدر » وقصة القدر ، التى رواها **أنور السادات** فى كتابه صفحات مجهولة تتلخص فى أن صديقه الصاغ حسن عزت قد عرفه باثنين من الالمان : هانز ابلر ، وساندى وانهما كانا جاسوسين للالمان وانهما طلبا من **أنور السادات** اصلاح جهاز ارسال لاسلكى يملكه الجاسوسان ويذيعان منه من داخل عوامة ويكتشف **أنور السادات** أن الجهاز ليس معطلا وانه بالتالى ليس بحاجة الى اى اصلاح وان الألمانيين يدعيان به عطل ، لأسباب خاصة بهما ، وعرف فيما بعد ان الجاسوسين قد استطابا الحياة الناعمة التى وفرتهما لهما آلاف

الجنيهات المزورة ؛ التى بدلوها عن طريق يهودى من البنك الاهلى نظير عمولة ضخمة ، وأنهما قد تعرفا على عدد من الراقصات ومن بائعات الهوى وارادا أن يطيلا مكثهما فى القاهرة وان يلقيا عن كاهلهما عبء المسئولية والمخاطرة . فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد تعطل .

عرف **أنور السادات** ذلك ولكن بعد فوات الأوان .

وقبض على ابلر وساندى بعد شهر قضته المخابرات البريطانية فى رقابة مفروضة عليهما ، وانزعج **أنور السادات** بسبب القبض على هذين الالمانيين وراح يحاول أن يعرف ان كانت صلته بهما قد اكتشفت أم لا ؛ فعلى الاجابة على هذا السؤال ــ كما قال **السادات** يتوقف مصيرى كضابط فى الجيش وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون ، وقد يذهب الأمر ، الى أكثر من هذا فتتوقف على الاجابة على السؤال حياتى وموتى وأكثر من هذا ان نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين كان يمكن أن تكون المفتاح الكثير الذى يفتح امامهما الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش هذا الذى ترامت انباؤه الى انجلترا منذ شهور فأدت بهـا الى افتعال حادث ٤ فبراير ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى هذا الوقت .

وتم القبض على أنور السادات ويكتشف السادات ان السبب فى القبض على ساندى وابلر ، ليس نشاط المخابرات البريطانية وانما اختلاف ابلر وساندى مع غانيتين على الأجر الذى تستحقانه بعد ليلة حافلة من المغامرات فى العوامة وكيف أن أحد الجاسوسيين الألمانيين قد راح يغنى ــ بعد أن أخذته نشوة الشراب ــ نشيد ألمانيا فوق الجميع وشاركه زميله فى الغناء ، ولم يكن هذا النشيد مجهولا خصوصا فى أوساط اليهود ، فهرت احدى الفتاتين راسها وجذبت الأخرى ، ومضيتا من العوامة التى كان يقيم فيها الجاسوسيين ابلر ، وساندى الى قلم المخابرات البريطانى وبعد ساعات قليلة كان ابلر وساندى فى طريقهما الى السجن ؛ وروى أنور السادات كيف ان الالمانيين بعد أن رفضا الكلام حملتهما المخابرات البريطانية حملا ، الى مستر وينستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وكان يزور مصر فى ذلك الوقت فلما مثلا أمامه وعدهما بحياتهما بعد اعترافهما بكل شىء « وبدأنا نرقب النهاية المحتومة لضابطين فى الجيش المصرى يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الأعداء وقد كان الالمان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر ، ثم جاء الوقت الذى يتقرر فيه المصير » .

وانطلاقا مع منهجنا فى البحث وحتى تكون صورة الحياة فى مصر فى ذلك التاريخ واضحة جلية نحاول فيما يلى اعطاء بعض ملامح تلك الصورة .

الذين عاشوا مثلنا الحرب العالمية الثانية يذكرون أن شعبنا ـ كما سبق أن ذكرنا ـ كان بكل جوارحه مع الألمان ، وكان بكل جوارحه أيضا ضد السياسة البريطانية الاستعمارية التى كانت عبئا ثقيلا على شعوب أفريقيا وآسيا : كان أى خبر يسمعه من محطة برلين يثق فيه ثقة مطلقة ، وأى خبر يسمعه من لندن أو من القاهرة ، أو من قبرص ، أو من أى مكان يخضع للسياسة الاستعمارية البريطانية ، كان يشك فيه ولو كان صحيحا مائة بالمائة ، حتى عندما بدأت النكبات والهزائم تلحق بالجيوش الألمانية ، كان الشعب يتذرع بالصبر ثقة منه فى أن هتلر ، عندما يفتح « **المخزن رقم ١٣** » ـ **ولست أدرى لماذا أطلقوا عليه ذلك الرقم ؟** ـ سوف يغير وجه التاريخ وسوف يسترد ما خسره من أراض ، وسوف يقضى القضاء المبرم على دولة بريطانيا .

كان المخزن رقم ١٣ هو أمل الشعب المصرى بل أكاد أقول الشعب العربى ، **وكان فى برلين زعماء عرب كالحاج أمين الحسينى رئيس اللجنة العربية العليا ود. مصطفى الوكيل نائب رئيس مصر الفتاة** ، وغيرهما من العرب ، الذين كانوا يذيعون بأصواتهم من محطة الاذاعة برلين ، وكانت الجماهير تتعلق بهم مثل يونس بحرى ، وعبد اللطيف الكمالى ، و . . و . . ولم تكن الحكومات المصرية قبل ٤ فبراير تقف ضد مشاعر الشعب بل كانت فى الغالب ، ومن وراء ستار ، وخاصة الحكومة التى رأسها على ماهر ، التى اشترك فيها صالح حرب وعبد الرحمن عزام ، **وكان لعزيز المصرى دوره فى تقوية الجيش** : لم يعتقل فى عهد حكومات على ماهر ، وحسن صبرى وحسين سرى من مناهضى السياسة البريطانية الا القليل القليل ، وبضغط عنيف للغاية من قبل السلطات البريطانية ، أما فى عهد حكومة الوفد التى تألفت بعد حادث ٤ فبراير ، فقد تغير الموقف تماما : كان أى عمل ضد السياسة البريطانية ولو من بعيد يحاسب أصحابه عليه حسابا عسيرا وكان كل من عرف عنه مناهضة السياسة البريطانية يلقى به فى المعتقلات والسجون وكان مجرد التذكير بمساوىء الاحتلال البريطانى يعتبر جريمة من جرائم الحرب حتى تلك الأيام الوطنية التى تعودنا الاحتفال بها لتذكير الشعب بخطورة الاحتلال البريطانى كيوم ١١ يوليو ـ **ضرب الاسكندرية** ـ ويوم ١٤ سبتمبر ـ يوم دخول القوات البريطانية العاصمة المصرية فى عام ١٨٨٢ ـ كان الاحتفال بتلك الأيام من الأمور التى لا يمكن التساهل فيها من قبل الاحتلال ولا من قبل السلطات المصرية فى نفس الوقت .

اذكر انني عندما كنت صبيا ، يافعا فكرت وانا فى المنصورة فى الاحتفال بذكرى الصحفى الوطنى أمين الرافعى وتحدثت مع **الدكتور عبد الغفار متولى قطب الوطنية المعروف** فى أمر ذلك الاحتفال وسمح لنا باستعارة قاعة مبنى جمعية المساعى المشكورة ــ وهى جمعية خيرية كان يرأسها ــ ودعوت الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ، للاشتراك فى هذا الاحتفال كما دعوت بعض القيادات الوطنية فى الدقهلية لالقاء الخطب والكلمات فى الليلة التى حددناها لاحتفالنا بذكرى أمين الرافعى ولم نحصل يومها على اذن بالاحتفال ، لأن أمثال هذه الاحتفالات كانت ممنوعة . وبعد ساعة من بدء الاحتفال وصلت قوات البوليس فلم نفض الاجتماع وانما مضينا فى القاء الكلمات وعندما اخذت الى البوليس للتحقيق معى وكنت لم أبلغ بعد سن الرشد ، نصحنى مأمور القسم ــ ولا أذكر أسمه الآن ــ بأن أقول فى التحقيق ان الاحتفال كان قاصرا على قراءة القرآن الكريم ، وقلت ذلك فى التحقيق وافرج عنى فى الصباح بكفالة شخصية .

ومما هو جدير بالذكر أن خطابى الى استاذنا عبد الرحمن الرافعى ، بخصوص الاحتفال بذكرى شقيقه أمين الرافعى ورد الرافعى على ذلك الخطاب شاكرا ومعتذرا عن المجىء الى المنصورة كان فى مقدمة « المستندات » التى ووجهت بها فى قضية اغتيال المرحوم أحمد ماهر ، **حيث كان محمود العيسوى قاتل أحمد ماهر ، يعمل فى مكتب عبد الرحمن الرافعى وقد** قضيت بسبب هذين الخطابين ــ وقد وجد احدهما عندى والثانى فى مكتب استاذنا الرافعى ــ أكثر من عام فى السجن ثم الاعتقال ..

حتى عندما كنا نحتفل بذكرى مصطفى كامل فى ١١ فبراير من كل عام لم نكن نستطيع الاحتفال بهذه الذكرى الا فى منزل النائب المحترم محمد محمود جلال ــ يرحمه الله ــ وكان الاتفاق أن نذهب الى هذا الاحتفال فرادى وان نخرج من المنزل فرادى ، ورغم ذلك فقد كان البوليس يتتبعنا وخاصة فى عامى ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ويسبب لنا الضيق والعنت والارهاق وكان فى بعض الأحيان يأخذ علينا تعهدات بعدم العودة الى ارتكاب مثل هذه « الجرائم » وقد ادت تصرفات الحكومة هذه الى ازدياد ، موجة الضيق الشعبى خاصة عند الشباب الذين لم يكن يهمهم وقتئذ الغلاء أو الحصول على التموين اللازم ، بقدر ما كان يهمهم العمل الوطنى بأية صورة من الصور .

وكنا نلجأ الى سلاح المنشورات لنعبر عما يجول فى خواطرنا وكنا فى كثير من الحالات نصطدم بالشباب المؤيد للحكومة وكان هذا الشباب غير مقتنع فى الحقيقة بما كان يقوم به من تأييد ، ولم يكن ذلك التأييد للحكومة من قبل الشباب الحزبى يومئذ الا التزاما منه بتنفيذ التعليمات الحزبية .

علـى اية حال فقد كانت اعوام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ بالنسـبة الى الشباب الوطنى اعوام تأهب وانطلاق لليوم الموعود ، يوم التخلص من حكومة ٤ فبراير ١٩٤٢ وكان التخلص من تلك الحكومة بالنسبة لنا كشباب حقيقة حلما من الأحلام التى كنا نعيش عليها : لقد كنا ضـد حكومة ٤ فبراير ، لا لشيء الا لأنها جاءت بعد أزمة ٤ فبراير : لم نكن نعى وقتها ما قامت به تلك الحكومة من اصلاحات اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية وانما كان الذى وقر فى أذهاننا ، واستقر فى قلوبنا أن من يقف الى جانب الانجليز مهما كان تاريخه النضالى ومهما كان دوره فى الحركة الوطنية المصرية ينبغى أن يذهب الى الجحيم ..

وحتى تكون الصورة مكتملة بالنسبة لأحداث تلك الفترة من تاريخ نضالنا القومى تشير الى بعض الآراء ذات الأهمية الخاصة التى تساعدنا على اعطاء فكرة واضحة عن الفترة ، التى سبقت اقالة حكومة فى ٥ أكتوبر ١٩٤٤ والتى تلتهـا :

● **كانت وجهة نظر مارسيل كولومب فى كتابه تطور مصر (١٩٢٤ ـ ١٩٥٠) فى وزارة مصطفى النحـاس باشا** ؛ التى تألفت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ تتميز بالحيـدة الى حد ما : فهو يتحدث عن ايجابيـات تلك الوزارة وعن سلبياتها : عندما تحدث ـ مثلا ـ عن الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد فى بداية عام ١٩٤٣ وصفه بأنه عريضة اتهام الهدف منها ـ بسبب ما كشفت عنه من الوقائع المزعجة ـ بذر الشكوك فى نزاهـة رئيس الوزراء وفى اخلاص المحيطين به ؛ وأرسلت نسخ منه الى القصر الملكى والى سـفارات بريطانيـا العظمى والولايات المتحدة ، وغيرهما من الدول الأجنبية وكان دوى هـذه الكتاب كبيرا ووجهت على أثر نشره فى مجلس البرلمان أسئلة ماكرة ، وأصر بعض الخطباء ـ الذين يعنيهم أن تنفجر الفضائح ـ أن يقدم مكرم عبيد للمحاكمة ؛ لكن النحاس رفض ذلك مؤكدا أن الانتقادات التى يحتويها الكتاب الأسود ، ذات طابع سياسى فهى اذن من اختصاص البرلمان وليست من اختصاص المحاكم وفى ٢٣ يونية وضع طرح الثقة بالحكومة النهاية لمناقشـة بدأ رئيس الوزراء مدانا فى جزء منها ، **وفى ١٢ يوليو طرد مكرم عبيد باشا من البرلمان باغلبية ٢٠٨ صوتا ضد ١٧** ومع ذلك فان الاتهامات التى ساقها عن المحسوبية ، والاختلاس قد أثارت نحوه تعاطفا عميقـا ، لدى الأوسـاط الشعبية وهكذا اخذ مكرم عبيد ، من ذلك الوقت يبذر بذور الشـك فى النفوس وأخذ الرأى العام يولى ثقة أكبر بما يذاع من دعايات معادية للحكومة كما أن عنف الاجراءات ضـد مؤلف الكتاب الأسود ، قد شجعت المعارضـة وطمح زعماؤها الى أن يجعلوا من الرأى العام العالمى شاهدا على شكاياتهم

بنفس الوسيلة التى سبق أن لجأ اليها الوفد فانتهزوا فرصة الاجتماع الذى عقده قادة الحلفاء بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٤٣ وقدموا الى الرئيس روزفلت والى مستر تشرشـل وكذلك الى ممثل الصـين مذكرة بالآمال والمطالب المصرية .

وكان مقيضا لاتجاه المعارضـة هذا الى انتزاع قيـادة حركة المطالب الوطنية من حكومة تدعمها بريطانيا العظمى أن يتزايد فى الأشهر التالية ؟ وفى عام ١٩٤٤ ظهر ملحق جديد للكتاب الأسود كتبه أيضا مكرم عبيد لا يقل عن الكتاب الأسود عنفا وفيه اتهم النحاس بأنه فرط فى حقوق سيادة البلاد لصالح الانجليز وعندما يصدر مثل هذا الاتهام عن السكرتير العام السابق للوفد فلا بد أن تكون له قيمة خاصة كما أنه وبدرجة خاصة كذلك اتهام خطير بالنسبة لحكومة جاءت بها الى الحكم بريطانيا العظمى ، ولم يتوان زعماء المعارضة فى استغلال هذا الاتهام ، فتجمعوا فى شكل جبهة وطنية ووزعوا سرا فى فبراير ١٩٤٤ بيانا الى الأمة وجهوا فيـه انتقادات لاذعة وعنيفـة ضد الاستعمار البريطـانى « والذى لا يعرف حدودا لأطماعه » ويمضى البيـان مؤكدا أن استـقلال **مصر ينعرض للزراية وان الحريات مهـددة والصحافة مخنوقة والبرءاء مسجونون ، والأخلاق مهدرة والمواطنون يقاسون والمجاعة تنتشر** وفى البيان وجهت المعارضة أنظار المصريين الى أن سياسة بريطانيـا العظمى مصدر كل هذه الشرور ، وقد استطاع زعمـاء المعارضة بتقديمهم براهين أكثر وضوحا ــ أن ينموا ، الأحقاد والضغائن ضد بريطانيا العظمى ، أما ازاء النحاس باشا فقد اتخذوا مظهر أبطال الاستقلال المصرى وظلوا يطالبون بلا انقطاع فى كتاباتهم وفى الاستجوابات التى يقدمونها فى البرلمان ــ بالغاء ما جاء فى معاهدة ١٩٣٦ ماسا باستقلال مصر التام ، وأصبح من الممكن أن نسمع فى مجلس الشيوخ أثناء مناقشات دارت حول موضوع وباء الكوليرا فى ٢٨ ابريل ١٩٤٤ مثل هذه الكلمات التى يتمثل فى سخريتها المرة ، ذلك العداء الشديد للحكومة : أيها السادة ان مصر تعيش ساعات عصيبة : **لقد جاءتنا الملاريا كما جاءتنا الحكومة الحالية مع هذا الفارق الوحيد هو أن الملاريا قد جاءتنا على متن الطائرات البريطانيـة بينما جاءتنا الحكومة الحاليـة على ظهر دبابات بريطانيا العظمى .**

وقد وجهت الجبهة الوطنيـة فى أول مايو نداء جرى تداول نصـه سرا ولم يكن هذا النداء سوى سجل قاس ملىء بالمرارة ضد السياسة البريطانية منذ أزمة فبراير ١٩٤٢ ، لم يكن الأمر ، هذه المرة متعلقا برئيس الوزراء بقدر ما كان يهدف الى أن يبين للشعب كيف أمكن لانجلترا من خلاله أن تنتهك

اســـتقلال مصر ، وان ترغم الملك بأقسى التهـــديدات على أن يأتى به الى الحكم من غير طريق الانتخابات ثم يمضى النداء قائلا : انهم ليسوا بالحلفاء ولا بالأصدقاء ، لبلادكم وانهم مخادعون أقوياء بينما أنتم عبيد مستذلون ،لقد بلغ الخطر مداه وبرهنت الأزمة التى تعانى منها البـلاد منـذ عامين بوضوح على نوايا الانجليز تجاه مصر ، والشعوب العربية والشعوب الاسـلامية والشعوب الشرقية : ان المبادىء النبيلة التى اعلنتها مبادىء حرية وحقوق الشعوب لم تكن سوى قناع أسفرت الآن من خلاله عن حقيقتها السياسية »

« .. وعندما شعر مصطفى النحاس بأن شعبيته أخذت تضعف حاول جاهدا أن يستعيد الثقة التى افقدته اياها سياسة مهادنة الانجليز ومنذ مايو ١٩٤٤ ازداد الصراع حدة ، وكف الملك عن استقبال رئيس وزرائه ونشبت معارك عنيفة اعاقت سير العمل فى الادارات الحكومية وتكدست المراسيم فى انتظار تصديق الملك عليها وظل منصب شيخ الأزهر شاغرا بل وصل الأمر ، الى حد ايقاف مدير الأمن العام فى ١٥ سبتمبر من وظائفه لأنه أمر بازالة اسم رئيس الوزراء الذى كتب بجانب اسم الملك فى اللافتات المرفوعة حول جامع عمرو ، والذى كان الملك قد ادى صلاة الجمعة فيه ، وفى نفس الوقت بدأت العلاقات بين الوزارة والسفارة تمر بحالة من فقدان المودة وزيادة على هذا فان وجود حكومة الشعب لم يعد ضروريا لبريطانيا العظمى ، فالقوات الحليفة بدأت تستعد لأن تجلـو عن كريت والبلوبونيز آخر فلول الجيوش الايطاليـة ، الألمانية ؛ وفكر الملك فاروق فى اسناد رياسة الوزارة الى أحمد ماهر باشـا الذى لم يكف مطلقا عن تحبيـذ دخول مصر الحرب وكان هـذا بالنسبة الى لندن ضمانا كافيا وسحب سير مايلز لامبسون تأييـده لمصطفى النحاس وفى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ اقيلت الوزارة وللمرة الثانية منذ تولى الملك فاروق العرش كان على الوفد أن ينحنى أمام الارادة الملكية » ويضيف مارسـيل كولومب الى كل ذلك قائلا : ان الوفد لم يعد هو ذلك الوفد الذى استطاع فى الماضى ان يحوز اجماع مصر فى ساعات الثورة العصيبة ، فانشـقاق العديد من اعضائه بشكل متزايد أدى الى تغيير ملامحه الأصيلة ، وقد الحقت به آخر هذه الانشقاقات التى انتهت بخروج أحمد ماهر ، والنقراشى ، ثم مكرم عبيد ، ضررا حقيقيا ؛ ولكن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كان بمثابة الضربة القاتلة لنفوذه وباعتباره حتى ذلك الوقت بطل القضية المصرية » ، « وبرغم ذلك فان تقهقر الوفد لا يعنى النصر لخصومه، فهؤلاء لن يستطيعوا أن ينجحوا كلية فى أن يسلبوه دوره الا اذا استطاعوا تحقيق آمال مصر القومية غداة الحرب ، واشباع المطالب ، الاجتماعية التى هى الآن فى طور التكوين » ويقول مؤلف كتاب : تطور الحركة الوطنية المصرية ــ ١٨٨٢ ١٩٥٦ ــ الأستاذ شهدى

عطية الشافعي : لقد اثيرت الشكوك حول مجيء الوفد للحكم ، فى ١٩٤٢ ، فوصف بأنه لم يأت الا على أسنة الحراب البريطانية ، ورغم أن هـذه الحملة على الوفد ، قد شنتها أبواق السراى واحزاب الاقطاعيين ، والاحتكاريين الا انه كان فيها جانب من الصدق ، ولا شك : لقد جربه الشعب فى الحكم أكثر من مرة ، فوجده متخاذلا مع الاستعمار والاقطاع والاحتكار ، مترددا فى تحقيق المصالح الشعبية متخاذلا مع الاستعمار ، والاقطاع والاحتكار ، كما تسربت الى قيادته ، بعض العناصر الاقطاعية ، وخضع لنفوذ بعض كبار رجال المال ، وكان أن انفضت عنه جماهير كثيرة وخاصة فى المدن فلم يصبح الوفد قادرا على تنظيم الجماهير ، أو حشدها أو تحريكها انما أصبح عماده اساسا ، الاثارة الصحفية التى لا تنتهى عند حد .

وعن صور الكبت التى استخدمت ضد المعارضين لحكومة الوفد ننقل فقرات مما جاء فى ((**مذكرات فى السياسة المصرية**)) . . للدكتور محمد حسين هيكل اذ يقول تعليقا على بعض الزيارات الحزبية التى قاموا بها فى الأقاليم وعن استخدام الحكومة كل وسائل الضغط والارهاب للحيلولة بين المعارضين وبين الاتصال بالجماهير : « فى ضحى الغد ركبنا السيارات لنطوف أرجـاء مديرية المنوفية فاذا البوليس قد وضع فى طريقنا العقبات : بالقاء مواسير ، ضخمة تعترض سـيرنا أحيانا ؛ وبحفر الطريق حتى لا تتخطاه السـيارات أحيانا أخرى ؛ مع ذلك استطعنا بشيء من الجهد ، أن نبلغ غايتنـا وأن ننزل دار مضيفنا السيد (بك) الفقى ببلدة كمشيش وأن نخطب الذين لبوا الدعوة لمقابلتنا ، وتناولنا طعام العشاء ثم عادت بنا السيارات الى القاهرة فبلغناها قرابة منتصف الليل : كانت جولتنـا هذه بالمنوفية موفقة لكنا علمنـا بعـد قليل أن الادارة الحكومية بدأت تؤاخذ الذين استقبلونا والذين خفوا للقائنا وتنزل بهم ألوانا من العنت والمضايقة ، ونحن نعرف ما للعنت والمضايقة من اثر فى نفوس كثيرين يضيقون بهما ولا يطيقون احتمالهما ،أن وقفتهم للتظاهر ؟ بالصبر عليهما وعـدم الشكوى منهما ، فللناس مصالح تهيمن عليهـا الادارة وتستطيع التسامح أو التشدد معهم فى شأنها ولا تقتصر على العمد والمشايخ ومن اليهم ممن هم فى حكم الموظفين ومن يقعون كذلك تحت سلطانها بل تمتد هذه الهيمنة الى الأهالى أنفسهم فهذا مالك آلة رافعة يمكن تعطيلها بدعوى مخالفته اللوائح ؛ وذاك تاجر يمكن تعطيل تجارته بحجة أو بأخرى ، والناس يحرصون على هذه المصالح أشد الحرص .

كانت الادارة تنزل مثل هذه الألوان من العنت والمضايقة بالناس كلما صدرت لها الأوامر أو التوجيهات به وكان ذلك يسير عليها فى ظل الاحكام ،

العرفية وقد امتد سلطان الأحكام العرفية فى مصر ، فى العهود السابقة على نحو لم يقع فى بلد غيرها منذ سنة ١٩٣٩ الى الوقت ، الذى أكتب فيه هذا الفصل من المذكرات ـ سنة ١٩٥٢ ـ خضعت مصر للاحكام العرفية ثلاث مرات استغرقت أكثر من تسع سنوات فقد أعلنت فى سبتمبر ١٩٣٩ وبقيت الى ١٩٤٦ وذلك لسبب الحرب العالمية الثانية ثم أعلنت فى مايو ١٩٤٨ وبقيت الى مايو ١٩٥٠ وذلك بسبب حرب فلسطين ثم اعلنت فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، بسبب حريق القاهرة فى ذلك اليوم وفى هذه العهود وقع من ألوان التنكيل بالناس فى غير جرم ، ومن غير محاكمة ما ضج الرأى العام منه من غير أن يستطيع التنفيس عما فى نفسه مخافة البطش الصارم ، فى ظل تلك الأحكام العرفية القاسية للادارة ، ورجالها باع طائل فى أعنات من يراد اعناتهم وذلك أمر يؤسف له ولعل ذوى الضمائر الحية من رجال الادارة لا يرضونه أو يقدمون عليه كارهين اتقاء الغضب عليهم وتأخيرهم عن دورهم فى الترقية أو انزال الأذى بهم ولعل هذا الاعنات قد أصبح فى طبيعة بعضهم فلا تتحرك ضمائرهم لما يقومون به ، ولا للأذى الذى ينتج عنه : كيف كان يحدث هذا وكيف ترضى عنه الحكومة المركزية أو تشجع عليه أو تأمر به بسبب ذلك اننا لم يصبح احترام القانون فى طبعنا ولم يجر من أخلاقنا مجرى الدم فى العروق بل نحن على العكس . من ذلك كنا نرى التحايل على القانون للتخلص من أحكامه شطارة « نغتبط بها » .

ويقول د. هيكل تعقيبا على ذلك كله : لم نكن قد بلغنا بعد فى مصر هذه المرحلة الكريمة : مرحلة ادراك ان العدل هو حقا أساس الملك ، وان احترام القانون هو وحده الكفيل برقى الأمم وتقدمها ، وان الحرية الصحيحة هى المدرسة لا مدرسة مثلها تتعلم فيها الشعوب وتبلغ من طريقها مدارج العظمة والمجد . . لذلك أخذ رجال الادارة ، يرهقون من استقبلونا فى المنوفية ومن احتفوا بنا وبذلك عدلنا عن متابعة التنقل فى الأقاليم ضنا بحرية أصدقائنا ومصالحهم وأخذنا من جديد نفكر فيما يجب أن نقوم به لمعارضة الحكومة فى سياسة البطش واستغلال النفوذ ، واشاعة السوق السوداء وما الى ذلك كله »

على أنه اذا كانت الحكومة الوفدية قد استأسدت ضد معارضيها فى أكثر من موقعة ومن أزمة فانها كانت فيما يتعلق بالسلطات الاستعمارية تضعف وتلين ، بل تكاد كرامتها أن تذهب وتكاد سلطتها أن تتلاشى ويروى الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى كتابه : « نزاهة الحكم » واقعة من تلك الوقائع التى استنوقت فيها حكومة الأغلبية الشعبية . يقول الأستاذ جلال الحمامصى أحست الوزارة الوفدية أن أحمد حسنين وراء الكتاب الأسود وأنه

كان أحد العاملين على اصداره وتوزيعه فبدأت تهاجمه ، وتوعز الى بعض النواب أن يتقدموا بأسئلة ليلوثوا بها سمعة الرجل ، **وغضب الأستاذ فكرى أباظة من هذا الاتجاه وانذر النواب بأنهم يشعلون نارا لابد أن تصليهم ويصيبهم شيء من لظاها ورفض رئيس المجلس الأستاذ عبد السلام جمعة السماح للاستاذ فكرى أباظة ان يستمر فى هذا الكلام وانتهى الأمر باخراجه من المجلس بالقوة وسمع الانجليز بهذا الذى يثار فى مجلس النواب وعلموا ان الملك اوشك أن يحمى رئيس ديوانه باتخاذ قرار حاسم .** فذهب سير والتر سمارت السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية الى مجلس النواب وأرسل يستدعى الأستاذ عبد السلام جمعة ثم نبهه الى الخطر الذى يترتب على استمرار المجلس فى محاولة تلويث سمعة رئيس ديوان الملك وعاد الاستاذ عبد السلام جمعة الى قاعة المجلس ، وطلب من النواب أن يستمعوا اليه وصمت المجلس ، وساد السكون ، وانطلق الاستاذ عبد السلام جمعة بصوته الجهورى يقول : حضرات النواب المحترمين : عنت لى فكرة هى أن توافقوا حضراتكم على رفع ما دار من مناقشة حول رئيس ديوان الملك من محضر الجلسة وصمت المجلس مرة أخرى ولكن حضرات النواب **قالوا بعد لحظات : موافقون : موافقون** : ومرت الأزمة ولكن بعد أن جرحت الحياة النيابية فى الصميم ، اذ لم يسبق أن دخل أحد ممثلى الاستعمار الى دار النيابة — دار الشعب — ليشير على رئيس النواب اتخاذ اجراء معين .

ولقد خضع رئيس النواب

وخضع النواب لرغبات الانجليز

وكان فى استطاعة النواب أن يطلبوا تأليف **لجنة للتحقيق ولكنهم جبنوا ، ولم يفعلوا ..** » وقد لا يكون الانجليز يريدون من وراء ذلك التدخل السافر فى أمر من أخص أمور الشعب ، والتدخل لدى السلطة التى تحكم باسم الشعب : قد لا يكون تدخلهم هذا يراد به مصلحة أحمد حسنين رئيس ديوان الملك وانما يراد به انتهاز الفرصة « **لمرمطة** » مجلس النواب ، ورئيس مجلس النواب وأعضاء مجلس النواب ، ومرمطة الحكومة التى يؤيدها بقوة مجلس النواب » .

على أية حال بعد أن حققت الحكومة الوفدية ، الأغراض التى جيء بها لتحقيقها لم يعد هناك بعد حاجة اليها : أصبحت حكومة الأكثرية الشعبية بمثابة « ليمونة » ثم امتصاصها ، وبالتالى كان لا بد أن ترمى فى الشارع .

كان الحلفاء قد نجحوا فى النـزول الى الأراضى الفرنسـية وكانت انتصارات الروس ، قد ابتدأت تكثر وتتـوالى الى الدرجة التى جعلتهم يسيطرون سيطرة تامة على بروسيا الشرقية وكانت قوات المانيا قد أخذت فى التقهقر بدون انتظام فى فرنسا وبلجيكا و .. و .. وكان لورد كيلرن قد ذهب الى جنوب افريقية ليمضى أجازة الصيف ؛ وكان مصطفى النحـاس « باشا » بدوره يقضى الصيف بالاسكندرية فى فندق سيسيل ؛ واذا بمدير الادارة العربية فى الديوان الملكى يحمل اليه فى مساء ٦ اكتوبر ١٩٤٤ الخطاب التـــالى :

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لما كنت حريصا على ان تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطن وتطبق احكام الدستور نصا ، وروحا ، وتسوى بين المصريين جميعـا فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغذاء والكســاء لطبقات الشعب فقـد رأينا أن نقيلكم من منصبكم وأصـدرنا أمرنا هـذا لمقامكم الرفيع شـاكرين لكم ، ولحضرات الوزراء زملاءكم ما امكنكم اداؤه من الخدمات أثناء قيامكم بمهمتكم وفى الوقت الذى كان مصطفى النحاس يتسلم خطاب الاقالة كان دكتور احمد ماهر ــ رئيس الوزراء الجديد ــ يباشر مهام منصبه الجديد من مبنى رئاسة مجلس الوزراء بالقاهرة ..

من ميس الضباط إلى سجن الأجانب

ومن معتقل ماقوسة الى معتقل الزيتون
ومن معتقل الزيتون : الى الشارع

لى رأى سبق أن أبديته مرارا وتكرارا ويتلخص فى أننا ونحن نعيد كتابة تاريخنا على ضوء الظروف الجديدة التى أتيحت لنا وعلى ضوء ما ظهر لدينا من معلومات ووثائق لم تكن موجودة يجب ان ننظر الى قضايانا السياسية نظرة تختلف عن وجهة نظر المحامين فى تلك القضايا ذلك لأن هدف المحامين كان العمل على تبرئة المتهمين فى تلك القضايا ، أو على الأقل تخفيف ما يمكن أن يصدر ضدهم من أحكام ، والمثل الذى اضربه باستمرار تأكيدا لوجهة نظرى قضية دنشواى فقد كانت مرافعات المحامين الذين دافعوا عن المتهمين فى تلك القضية ، وكانت اتجاهات الصحف والرأى العام المصرى والعالمى ، تنظر الى تلك القضية نظرة انسانية بحتة لا هدف من ورائها الا فضح الاحتلال البريطانى بما اتبعه فى هذه القضية من وسائل همجية بربرية سواء فى مرحلة التحقيق ، أم فى مرحلة تنفيذ الأحكام . وكانت الاتجاهات كلها فيما عدا روايات بعض الشهود ومرافعة المدعى العام أن **ابناء دنشواى لم يتحركوا لمواجهة جنود جيش الاحتلال البريطانى الا بعد حرق جرن القمح .**
ولو اننا نظرنا نظرة جديدة الى الأسباب التى ادت الى ثورة أبناء دنشواى لوجدنا انها اسباب تتعدى حريق الجرن ، لقد جاء بعض جنود الاحتلال فى العام السابق لحادث دنشواى ليصطادوا الحمام ، فى دنشواى ، وتألم الأهالى لجرأة هؤلاء الجنود على الاعتداء على حرمات بلدهم ، وبيوتهم ، واتجهت نيتهم ــ كما ثبت فيما بعد ــ الى ضرورة مقاومة هؤلاء الجنود اذا جاءوا مرة أخرى ، لصيد الحمام ، فى موسم صيد الحمام ، وتؤكد بعض الأقوال والوثائق أن ثمة اجتماعا ، قد عقد قبل وقوع الحادث ببضعة أيام رأى فيه المجتمعون ــ وهم من أبناء دنشواى ــ انه لا سكوت على الاطلاق اذا ما جاء جنود الاحتلال البريطانى لصيد الحمام ، فقضية دنشواى اذن ليست قضية عدوان على جرن قمح وانما هى فى الحقيقة ثورة على الاحتلال البريطانى

وكما قال احد اهالى دنشواى المخضرمين عندما ذهبت منذ أكثر من ربع قرن لاجراء تحقيق صحفي عن حادث دنشواى فانها ليست «مسألة» «ملانة» وانما هي مسألة قلوب مليانة » كما يقول المثل الفلاحى **وما ينطبق على قضية دنشواى ينطبق على قضية مصرع بطرس غالى التى اتهم فيها ابراهيم ناصف الوردانى وادين فيها وحده** بينما الثابت ان « الجريمة » لم تكن أبدا فردية رغم اصرار الوردانى على انها فردية وانما كانت من عمل مجموعة محددة من الشباب الوطنى ؛ وكذلك قضية مؤامرة « شبرا » التى اتهم فيها امام واكد ، وزميليه محمود العربى ومحمد عبد السلام ، وكان يراد من ورائها حقيقة اغتيال لورد كتشنر ، ومحمد سعيد « باشا » ، ودلبر أوغلى القاضى الأجنبى الذى كان ينظر الى القضايا الوطنية من وجهة نظر استعمارية بحتة ، **وكذلك قضية محاولة اغتيال السلطان حسين التى قام بها محمد خليل تاجر الخردوات بالمنصورة واعدم فيها وحده** بينما تدل براهين كثيرة على أن « الجريمة » لم تكن فردية وانما كانت من عمل مجموعة فدائية من المنصورة كانت تمهد خلال الحرب العالمية الثانية لثورة ضد الاحتلال البريطانى ، وكذلك كل القضايا السياسية التى تم التحقيق فيها خلال ثورة ١٩١٩ وما بعد تلك الثورة : لقد آن الأوان لاعطاء تلك القضايا أهمية وطنية بحيث تؤرخ من جديد على ضوء ما حدث من واقع تاريخى وليس على ضوء محاولات التهرب من احكام الادانة ، اقول ذلك بمناسبة ما سأكتبه فى هذا الفصل عن القضية التى اتهم فيها اليوزباشى أنور السادات والتى اعتبرها من أهم القضايا الوطنية لجملة اعتبارات فى مقدمتها أن جيشنا المصرى بعد أن اصيب بضربة قاتلة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وبعد أن قامت سلطات الاحتلال البريطانى بتسريح كل ضباطه وجنوده ، وبعد أن استولى الاحتلال البريطانى على كل أمور الجيش المصرى الذى أراد له الاحتلال البريطانى أن يكون جيش احتفالات وزينات : **أقول ان محاكمة ضابط مصرى لأمور وطنية كانت من الأمور التى لم يعرفها جيشنا المصرى ، بعد الاحتلال البريطانى الا نادرا ..**

وقبل أن ادخل فى موضوع تلك القضية التى كانت جديدة فى كل شيء على الجيش المصرى أحب أن أؤكد على معنى وطنى هام وضرورى لابد من التركيز عليه ، ونحن نحاول اعادة كتابة تاريخنا : ذلك المعنى يتلخص فى أن شعب مصر ، كان خلال الحرب العالمية الثانية ـ كما كان خلال الحرب العالمية الأولى ـ متعاطفا مع الألمان : يعتبر أى انتصار لهم انتصارا له ، وأية هزيمة تلحق بهم هزيمة تلحق به ، ولم يكن منتظرا ولا معقولا ، الا يفعل شعب مصر غير ذلك ؛ فكيف يمكن لشعب أن يرجو الخير لمن احتله ، واذله ، أكثر من ستين عاما ولمن رفض تنفيذ عشرات الوعود ، التى قطعها على نفسه بالجلاء عن أرضه ؟ كيف يمكن أن يقف شعب مصر الى جانب بريطانيا فى

الحرب العالمية الثانية : وقد استولت بريطانيا على كل خيراته فى الحرب العالمية الأولى وأذاقته كل صنوف الهوان ثم لم يكن نصيبه بعد نهاية تلك الحرب الا دوام الاحتلال وزيادة قبضة السيطرة البريطانية . لقد كان موقف شعب مصر هو الموقف الطبيعى عندما عادى شعبنا بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية ووقف الى جانب المانيا ، التى كانت تحرص باستمرار على التأكيد بأنها تريد استقلال مصر ، ولذلك كان وجود أى ألمانى فى مصر ، وقت الحرب العالمية الثانية سواء أكان وجوده بصفة سرية أم علنية هو وجود صديق لا جاسوس ، وكان أى تعامل مع أى ألمانى خلال الحرب العالمية الثانية عملا مشروعا بل عملا تفرضه الوطنية السليمة والصادقة ولذلك كان فى مقدمة ما استهدفته الحركة الوطنيـة المصرية التى نمت مع بداية الحرب العالمية الثانية أن تلتقى مع الألمان ضد الانجليز لصالح الاستقلال الوطنى . وأية حركة وطنية ناضجة لا يمكن أبدا أن تفعل غير ذلك : ان كل حركة وطنية واعيـة لا يمكن ان تدع أية فرصة دون أن تستغلها وتستثمرها لتحقيق الاستقلال الوطنى ، والا عد ذلك تقصيرا منها فى عملها ، ان روسيا السوفيتية ــ مثلا ــ اتفقت مع المانيا النازية رغم ما بينهما من عداء مستحكم ، قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بشهور ذلك الاتفاق الذى أذهل العالم ، ثم عادت بعد قيام الحرب العالمية الثانية وبعد هجوم هتلر لتتحالف مع بريطانيا رغم ما بين الدولتين من اختلافات وخلافات جذرية فى الأيديولوجيات وفى السياسة الخارجية وكان ذلك التحالف من أجل القضاء على النازية : ان أحدا لم يتهم ستالين بالنازية عندما وجد أن مصلحة بلاده تقتضى التحالف مع المانيا النازية كما أن أحدا لم يتهم ستالين بأنه أصبح مثل تشرشل الاستعمارى العنيد ، عندما وضع يده فى يد تشرشل ــ عدوه اللدود ــ خلال الحرب العالميـة الثانية كما أن أحدا لم يتهم تشرشل بأنه أصبح ماركسيا لينينيا عندما وضع يده فى يد ستالين !!.

وقضية اليوزباشى انور السادات تبدأ عندما هاجم الألمان الحدود الغربية وقضى روميـل على الجيش البريطانى الثـامن ووصـل الى العلمين على مقـربة من الاسـكندرية وكان من المعروف أن مصر سـتكون من نصيب ايطـاليا وان الدوتشى ــ موسولينى ــ قـد أعـد حصـانا أبيض ليـدخل به القاهرة ؛ من أجل عدم وقوع مصر تحت سيطرة ايطاليا بذلت محاولات من أجل الاتصال بالمانيا من قبل الحركة الوطنية المصرية التى كان يقودها بعض ضباط الجيش المصرى الأحرار وقد فشلت المحاولة الأولى والتى تتلخص فى أن الضباط الأحرار وعلى رأسهم **أنور السادات** قرروا ارسال مندوب من قبلهم مزودا ببعض الرسوم والصور الدقيقة الخاصة بمعسكرات

احمد سعودى حسين أبو على
أول شهيد من شهداء الضباط الاحرار

الجيش البريطانى والتى قاموا بتصويرها على وجه السرعة للاسلحة البريطانية حتى يسهل لطائرات المحور ضربها من الجو ، ومزودا كذلك بصور الحزام الحديدى المرسوم على المناطق العسكرية من الجو حتى يمكن لطائرات المانيا اختراقه. **وقد اختير الطيار الأول أحمد سعودى حسين أبوعلى للقيام بهذه المهمة** وكان من المقرر أن تتم المهمة فى وقت يكون فيه **الطيار ثان حسن ابراهيم** المشرف على الدورية المطلوب منها خراسة القاهرة من الجو ضد الطائرات المغيرة ، وكان حسن ابراهيم من بين الضباط الأحرار وقد سهل قيام سعودى بطائرة مقاتلة ، وقد تظاهر حسن ابراهيم بمطاردة طائرة سعودى دون أن يسقطها بالطبع ، كما يحتم عليه واجبه الرسمى ، **وقدم حسن ابراهيم ــ بناء على الحاح من البريطانيين ــ الى المحاكمة أمام مجلس**

عسكرى ووضعت عليه حراسة شديدة ، ثم ادين بتهمة الاهمال فى الخدمة ، والتراخى فى تنفيذ الأوامر ، وحكم عليه (رأفة بحاله) « بتنزيله عن زملائه » فأصبح آخر دفعته ، وطار سعودى وطاردته خمس طائرات انجليزية وامريكية وعندما كانت طائرة سعودى تحلق فوق منخفض القطارة اشتبكت فى معركة جوية رهيبة حيث نجح سعودى فى الحاق ضرر كبير بالطائرات التى اشتبكت مع طائرته ولم يعد من تلك الطائرات الخمس الا طائرتان فقط ، وقد نجح سعودى من الافلات من الطائرتين الباقيتين واتجه الى الغرب ولكنه وان أفلت من الطائرات الأمريكية والبريطانية لم يفلت من الطائرات الالمانية وكان الألمان لا يعرفون شيئا عن مهمة سعودى فاسقطوا طائرته واذاعوا نبأ اسقاطها على أنها طائرة « قتال انجليزية اقتربت من مواقعنا فى مرسى مطروح وقد اسقطتها مدافعنا المضادة للطائرات » : **واختفى سعودى ومعه وثائقه ، وطائرته الى الابد وكان أول شهيد للضباط الأحرار** والجدير بالذكر أن الصول محمد رضوان وكان أحد متطرفى الأحرار من القوات المسلحة ، قد تلقى تعليمات بالطيران الى الصحراء الغربية ، واللحاق بسعودى عن طريق واحة سيوه وقد قام رضوان بتلك المهمة الخطيرة المحفوفة بالمصاعب ووصل — كما يقول قائد السرب حسن عزت — الى أقصى الغرب ثم ذهب الى المانيا ، عندما ارتدت قوات المحور الى أوروبا وقبض عليه بعد الحرب وحوكم أمام مجلس عسكرى وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وذهب البطل المتطرف الى سجن ابو زعبل ، ليقضى المدة المحكوم عليه بها وكلف الطيار المقاتل بتكسير الصخور حتى تغيرت ملامح وجهه ، ولم يعد يعرفه أحد » . .

يقول السادات : لقد رأينا الا يدخل روميل الاسكندرية ولا يجد حركة وطنية ، كما انه لا يجب أن يدخل القاهرة الا ويجد حركة مقاومة وطنية ، وقد وضعنا الخطة الملائمة لتلك الظروف وأول الخطوط الرئيسية لتلك الخطة الا يخرج أى جندى بريطانى من القاهرة بالذات وانه لابد من الاتصال بروميل كممثلين للحركة الوطنية المصرية لنؤكد له « اننا لا نريد الانجليز ، ولا نريد الايطاليين واننا على أتم استعداد أن ندخل بفرق من عندنا الحرب الى جانبكم على أساس حصولنا على الاستقلال التام » **وكان الألمان يتصلون بعزيز المصرى رغبة فى الاستفادة من خبرته باعتباره أحد الضباط الكبار السابقين فى الجيش التركى وباعتباره أحد الخبراء الممتازين فى شئون سوريا ولبنان ، والعراق ، وتركيا** ، وكان الألمان يريدون انضمام عزيز المصرى اليهم حتى يساعدهم هناك لأنه كان الهدف أن الجيش الألمانى ينزل من روسيا الى القوقاز بينما الجيش الألمانى الموجود فى الصحراء الغربية يكمل الاستيلاء على

المشرق العربى كله حتى تركيا ، وفى تركيا يلتقى الجيشان الألمانيان وبذلك يحكمون الحلقة على الحلفاء ويقطعون طريق الهند ، ويفتحون طريق الزحف الى الشرق ، وكان لابد ــ هكذا قال السادات ــ من أن نبلغ روميل خططنا التى نعتزم تنفيذها ، ولما لم يكن لدينا الا الطيارين فقد اعتمدنا عليهم وكان معنا فى التنظيم سعودى ، وبغدادى ، وحسن ابراهيم وحسن عزت وقد وقعت القرعة على سعودى وكانت طائرة سعودى من نوع الجلاديتور ذات الأجنحة الأربعة وكان جسمها من القماش ، وكان لها مدى وقد اتفقنا واعددنا معاهدة بيننا وبين المانيا يوقعها روميل ، وعربونا لهذه المعاهدة قمنا بتصوير جميع المواقع الانجليزية فى مصر ، واعطينا لسعودى ــ يرحمه الله ــ حقيبة فيها صور المواقع الانجليزية كعربون على حسن نيتنا تجاه الالمان وللتدليل على اننا حركة مقاومة لديها المقدرة على تصوير كل مواقع البريطانيين

وقد وضعنا فى المعاهدة اننا نأخذ استقلالنا التام فلا نكون تابعين لايطاليا ولا لألمانيا ، واننا على استعداد لأن نساهم معهم فى الحرب ببعض الفرق .. لم يصل سعودى لأن طائرته ضربت فى مطار العلمين لأن طائرته كانت من طراز انجليزى وقد ظنها الألمان طائرة انجليزية وقد نسفت الحقيبة التى كانت فى طائرة سعودى لأننا كنا قد احتطنا لمثل هذا الأمر فوضعنا جليجنايت ــ مادة ناسفة ــ الى جنب الصور والمعاهدة حتى يمكن لسعودى أن ينسفها وينسف نفسه فيما لو قبض عليه الانجليز وكان سعودى فدائيا ممتازا وقد « انضربت » طائرته ولذلك لم يتم الاتصال بالألمان .

وجاءت فرصة أخرى عندما جاءنا حسن عزت وروى لنا ان اثنين من الضباط الألمان ارسلهم روميل قد وصلوا الى القاهرة وانهما عند صديق له قد تزوج من سيدة المانية ، وقد تم الاتصال بين هذين الضابطين الألمانيين وكان أحدهما قد عاش فى مصر وكان قد وصل وزميله الى الواحات الخارجة ومن الخارجة اتجها الى أسيوط ومن اسيوط أخذا القطار الى القاهرة وقد دخلا القاهرة بملابس الضباط الانجليز وفى سيارة من سيارات الضباط الانجليز وقد روينا لهما قصة محاولتنا كحركة مقاومة داخل الجيش الاتصال بروميل ، وقد عرضا على اصلاح جهاز الارسال الذى كانا يملكانه ويذيعان منه وقد نقلت الجهاز الى منزلى وبعد دقائق اكتشفت ان الجهاز سليم جدا ، وصالح للاستعمال وان الألمانيين ادعيا ان الجهاز معطل حتى يبررا عدم قيامهما بواجبهما وعن قصة

القبض عليه قال أنور السادات : فوجئنا فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة من الليالى ،عقب ذهابى الى العوامة التى كان يقيم بها الضابطان الألمانيان ونقلى الجهاز الخاص بهما الى منزلى . **فوجئنا ببعض ضباط البوليس المصرى ، وبعض ضباط المخابرات المصرية ومئات من المخبرين يحاصرون المنزل ومعهم أمر بالتفتيش** ووضعت خطة لاخفاء الجهاز اشترك فيها أخى وبعض سيدات المنزل حيث قلت للضباط الذين يهاجمون البيت : انا راجل فلاح ولا أريد أن يقتحم احد على السيدات عندنا لأن ذلك ضد تقاليدنا » وكنت فى هذا صارما جدا وقد نجحت الخطة ، وقد وجدوا عندى نسخة من كتاب كفاحى لهتلر ، وبعض كتب أخرى استولوا عليها كما استولوا على مذكرات صغيرة كنت أكتبها فى أجندات صغيرة ... وقد نقلونى الى ميس الضباط وتم التحقيق معى فى ادارة الجيش ، فى تلك القاعة أو المكان الذى دخلته بعد ٣٣ سنة كرئيس للجمهورية ، وفيه تم عقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة .. لقد دخلت ذلك المكان لأول مرة بعد ٣٣ سنة وكان أول من استقبلنى اللواء صادق جوهر ، الذى توفى أخيرا والذى حرصت على السير فى جنازته لم أدخل هذا المكان منذ ٣٣ سنة عندما كنت متهما فى طابور العرض فى وسط ضباط لبزين وجىء بالضابطين الألمانيين من أجل التعرف على ، وقد تعرفا على فى الطابور ، ولم أنكر معرفتى بهما وان كنت بررته بأننى ظننتهما ضابطين بريطانيين من ضباط سلاح الاشارة البريطانى .

وعن مجلس التحقيق كتب **أنور السادات يقول :** صدر أمر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا ودعينا للمثول أمامه ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما أفقدنا الصواب : كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ، وانجليزيين أحدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكنز والثانى برتبة كابتن واسمه سيمون وضابط من البوليس المصرى اسمه كمال رياض وكان يبدو من تصرفاته وحركاته ، وأسئلته انجليزيا صميما ، لا يمت الى المصرية بشىء ، وكان أهم ما فى تلك المحاكمة ، اعتراضنا على أن نحاكم كضباط مصريين أمام ضباط انجليز ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ومن رئيس الحكومة نفسه مصطفى النحاس ، بل لقد كان هذا التصرف من رئيس الحكومة

المصرية هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك اليوم ولم يستطع المجلس العسكرى ان يحصل منا على شىء ، لا اعترافات ولا اجابات : لا شىء غير الاحتجاج العنيف ونظرات الاحتقار .. وحول محاولة السلطات المصرية التأثير على انور السادات ، **قال أنور السادات :** عندما كنت موقوفا فى الميس شن كبار ضباط الجيش حرب أعصاب على والدى : زار والدى اللواء على باشا موافى رئيس ادارة الجيش المصرى وكانت زيارة اللواء على باشا موافى لمحمد افندى السادات ، كبيرة قوى وقال موافى باشا لوالدى وكان الاثنان يعملان سويا بالسودان : انصحك تروح لابنك وتكلمه وهو دلوقتى فى الميس فلو يعترف حيكون الجزاء قليل قوى وحيكون الحكم مخفف عليه ، لأن القضية لابساه ، لابساه ، وانا كصديق واحنا اصحاب انصحك تروح له وجاء والدى وهو صائم ، الى الميس ، ومعه تصريح بزيارتى : كنت فى ميس المدفعية عندما جاءنى والدى . كان مسكينا ، متعبا جلس على الكرسى حوالى عشر دقائق حتى تكلم لأن ابنه مسجون ولأنهم **شنوا عليه حرب أعصاب وقالوا** له : دى فرقة الاعدام ، لأن عندنا فى الجيش الاعدام يكون بفرقة ضرب نار بالرصاص ، وليس الاعدام بالمشنقة، وكان ضرب النار يتم فى ميدان ودائما يتم فى الفجر . على باشا موافى قال لمحمد افندى السادات **ان فرقة الاعدام جاهزة** لابنه فجاء والدى يرحمه الله منهارا انهيارا كاملا ، وروى لى والدى كل ما حدث معه فطمأنته وقلت له : لو كان فى هذا الكلام مادة مكنوش راحوا لك : كانوا اعدمونى وخلصوا ، دى حرب أعصاب عليك ، وأنا موقفى عال مفيش حاجة ، وهدأت من روعه ، وطمأنته ، وقد تناول يومها افطاره فى الميس ، وعندما عاد الى منزله وذهب اليه على باشا موافى قال له : ابنى كبير ، وضابط وراجل يعرف حياته .

وعن الحكم فى تلك القضية الهامة والخطيرة **قال أنور السادات :** بعد شهرين من التحقيق ظهر لهم ان القضية مش قادرة تمسك نفسها بنفسها دخل فى ٢٦ رمضان اثنان من الضباط أحدهما البكباشى عارف وكان أركان حرب قسم القاهرة ، وفى طابور عسكرى استدعونى والضابط الذى يحرسنى ووقفت « تمام » فى الطابور وتقدم البكباشى عارف وأخرج ورقة وقرأها : قد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق واستغنى عن حضرتكم ابتداء من اليوم وانت حر » كان هذا الحدث فى يوم ٢٦ رمضان : فى ليلة القدر : كان المستقبل أمامى مجهولا : هل يقومون بمحاكمتى كمدنى بعدما أخرجونى من الجيش ، الذى توجد به بعض الحصانات ؟.. كان امامى عالم مجهول .

ويكمل السادات القصة فيقول ـ تقدم منى محمد ابراهيم امام وقال لى اتفضل بقى : شوية اجراءات فى المحافظة حنعملها وقلت له : طيب أنا عارف انت حتودينى السجن أو المعتقل فمن فضلك قل الحقيقة لاننى صائم ، ولم يبق على موعد الافطار أكثر من ساعة وأنا أريد أن يعرف أهلى الجهة التى سأذهب اليها حتى يرسلوا لى الافطار ! وقال لى محمد امام ابراهيم « سوف تذهب الى سجن الأجانب » وناديت على المراسلة وكلفته بآخر مهمة : قلت له اذهب الى البيت ، وقل لهم أنا فى سجن الأجانب حتى يبعثوا لى الافطار هناك ... وجاءنى الافطار وتناولته فى وقته ، وفرشت البطانية على الأرض وبعد أن صليت المغرب بدأت الصدمة التى أخذتها بعد الظهر تعود .. بدأت استوعبها واعيها .. كان الخاطر الجميل الذى خفف من هذه الصدمة ، ومن نقطة التحول فى حياتى هذه والآلام التى عانيتها لأننى وأنا فى رمضان .. رمضان له مكانة خاصة عندنا فى القرية بالذات ، كان الخاطر الجميل الذى كان كالبلسم بالنسبة لى اننى بدأت أفكر فى مستقبل حياتى وأقول ان حياتى المقبلة لا بد وان تبدأ مرة أخرى من القرية .. وخفف هذا الخاطر الصدمة الى أبعد الحدود » .

وفى سجن الأجانب أقام أنور السادات ومعه زميله حسن عزت فى الزنزانة رقم ٥ وكانت أضيق من القبر .. سريرين « ألواح خشب » بطانيتين وجردل لاستخدامه فى وقت الحاجة وكان مستر هيكمان الصول التابع لبولس مصر هو الحاكم المطلق فى سجن الأجانب ويروى حسن عزت ذكرياته عن اليوم الأول فى الزنزانة ٥ فيقول : كان أنور السادات قد حمل معه حقيبة صغيرة من الورق المضغوط كالتى يستعملها تلاميذ المدارس الابتدائية عرفت فيما بعد أنها حقيبة أخيه الصغير ولما فتحها رأيت بها بيجامة وفوطة وسجادة قديمة ، ومصحفا ممزق الغلاف وكانت حالتى النفسية سيئة فقد فقدت وظيفتى ؛ ومع هذا فانهم أبوا اطلاق سراحنا وكنت كطيار قد اعتدت على الفضاء الواسع ، والهواء الطلق فكيف أعيش فى زنزانة وقلت لأنور كأنما أشركه معى فى الهم : وحتعمل ايه يا أنور فى عيالك وبيتك » فانصرف الى الوضوء وأجاب قائلا : «لهم رب» . ثم قام للصلاة وبعد الصلاة سحب مصحفه القديم وأخذ يرتل القرآن بصوت خاشع رخيم فاشتد غيظى لهذا الهدوء بينما أنا فى حالة ثورة جنونية ويتصحنى **أنور السادات** بالصلاة فلما لم أستجب الى نصيحته لم يقل أكثر من « الله يهديك يا حسن باقولك قوم اتوضأ وتعالى نصلى » واستمر انور فى الصلاة وفى القراءة ، ولما لم أجد شيئا أعمله داخل الزنزانة اضطررت الى أن أنصت لما يقرأه أنور وتأثرت بسحر القرآن ووجدت نفسى بعد فترة قصيرة

مضطرا لتتبع ما يقرأ ، ومحاولا تفهم معانى الكلمات سرا دون أن أكلم أنور ، رويدا رويدا شعرت بلذة فى سماعه ثم برغبة فى الاستئناس بذلك المصحف الممزق الغلاف وبدأت أعصابى تهدأ .

وبدأت الحياة تطيب لى وشعرت بالطمأنينة تملأ قلبى وملأ ذلك المصحف الصغير ، علينا الحجرة وقلت لأنور « سوف أصلى معاك ركعتين » .. وفى تلك اللحظة فقط عرفت ضخامة المتاع الذى دخل به أنور السجن ، وضآلة المتاع الذى دخلت به أنا السجن .. » وكان فى سجن الأجانب وقتئذ « البكباشى » محمد كامل الرحمانى و « القائمقام » فؤاد صادق ، وكانا قد قاوما طغيان حمدى سيف النصر وزير الحربية وكتبا له كتابا أسود عددا فيه اتهاماتهما له ، فكان مصيرهما سجن الأجانب .. وتتحسن المعاملة بعض الشىء فى سجن الأجانب ، حيث يسمح للمسجونين بربع ساعة فسحة كل ثلاث ســـاعات فى الطرقة الداخلية وحيث سمح لهما بالمطالعة ويقول حسن عزت ان **أنور السادات** ابدى له خشية من عدم دوام تلك الحالة الهنيئة ولم يمض سوى يوم واحد حتى فتحت أبواب الزنازين واخرج المسجونون فى حراسة أكثر من مائتى جندى الى محطة مصر حيث اركبوا « ديزل » خاص أقلنا الى جهة مجهولة وحاولنا أن نعرف من الضباط الحراس الى أين نساق فلم يتكرموا علينا حتى بالرد ، وبعدما نقلونا فى اوتوبيس من اوتوبيســـات الصعيد ، شـــحنا جميعا الى قرية ماقوسة على بعد ٤ كيلو جنوب المنيا وهناك ادخلنا الى قصر منيف يملكه أحـــد النواب الوفديين ولكن القصر على جماله كان محاصرا بالاسلاك الشائكة والجنود المسلحين وحوله كثرت الأبراج التى يقف فيها الديدابانات وكان فى معتقل ماقوسة **الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ أحمد حسن الباقورى والأستاذ عبد الوهاب حسنى والبكباشى محمد كامل الرحمانى ، والصاغ رزق صليب وكان قد اتهم بترويج الكتاب الاسود الذى أصدره مكرم عبيد** وتوفيق الملط .

ومن معتقل ماقوسة ينتقـــل أنور الســـادات الى معتقل الزيتون وكان معتقل الزيتون عبارة عن منزل من ثلاث طوابق وبه حديقة مســاحتهـــا حوالى فدانين من الأرض كان المعتقلون يستغلونها فى زراعة البطاطا ، والفول السودانى وفى تربية الأرانب وكان يتناوب على حراســـة **المعتقلين عـــدد** من ضباط البوليس ، فتوثقت العلاقات بينهم وبين هؤلاء المعتقلين ، وتوطدت الصلات بينهم الى درجة ان بعض المعتقلين ، عندما كانوا يذهبون للعلاج فى بعض المستشفيات العامة أو الخاصة ، كانوا يذهبون وحدهم ، بينما

حراسهم يذهبون الى بيوتهم ويتواعد الجميع ، المعتقلون وحراسهم على أن يلتقوا فى ساعة معينة وفى مكان معين ، وفى بعض الأحيان كان المعتقلون يذهبون الى المكان المعين ، وينتظرون ساعات وساعات حتى يصل حراسهم ، وكان المعتقلون يستدعون حراسهم ــ فى بعض الأحيان ــ من منازلهم ، حتى لا يتأخرون عن مواعيدهم !! وحتى لا يتعرض اولئك الحراس الى المحاكمة ، ويفكر أنور السادات فى الهرب من المعتقل « والتواجد » فى قصر عابدين للفت الأنظار الى قضية المعتقلين السياسيين الذين امتلأت بهم المعتقلات دون توجيه أية اتهامات اليهم ، وتنجح المحاولة عن طريق احداث فجوة كبيرة فى سقف حجرة الأرانب وكانت من الخراسانة المسلحة والقفز الى حديقة الجيران !! وقد استغرقت العملية ، أكثر من ثمانى ساعات ومن ثم أصبح فى استطاعة بعض المعتقلين القفز الى الشارع حيث كانت بانتظارهم سيارة بها أحد أعوانهم ، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وقد اتجه **أنور السادات** ــ كما يقول حسن عزت ــ ومعه محسن فاضل الى قصر عابدين وتم استدعاء البوليس السياسى الذى تسلم الهاربين وعاد بهم الى معتقل الزيتون مرة ثانية وقد نجحت الخطة فى تحقيق الأغراض الهامة وفى مقدمتها اشعار الحكومة ان كل ما تستخدمه من وسائل الكبت والارهاب وما تلجأ اليه مضاعفة الحراسة على المعتقلات لا يقف ابدا أمام اصرار الشبان الوطنيين على تحدى الحكم الظالم ، كما ان خطة الهرب قد لفتت الأنظار الى قضية المعتقلين السياسيين حيث بدأ الرأى العام يعرف الكثير عن تلك القضية التى كانت الحكومة تبذل كل جهودها لاخفاء تفاصيلها عن الرأى العام ، وبذلك تحولت قضية المعتقلين الى قضية شعبية تثير اهتمام الجماهير وكانت الجماهير تولى حبها وعطفها لأولئك المعتقلين السياسيين الذين فقدوا حريتهم ووظائفهم ، وتحملوا الضيق والارهاب من أجل قضية الوطن الكبرى !

ومن ذكريات المعتقلات التى رواها حسن عزت ان احدى سيارات التاكسى وقف ذات يوم أمام باب المعتقل ، وكان أحد الضباط يجلس الى جانب السائق ، بينما يجلس فى الخلف اربعة جنود وقد اجلسوا تحت أرجلهم رجلا راحوا يضربونه بأيديهم ويلكمونه بأرجلهم وينزل الجميع ، ويظهر ان الضحية لم يكن الا الصاغ رزق صليب وكان بملابسه الرسمية وكان معتقلا وموجودا بالمستشفى ولكن وزير الداخلية أصدر أمره بنقله بالقوة الى المعتقل بالرغم من معارضته وقد نزل الصاغ رزق صليب وهو يستنجد

بزملائه المعتقلين وقد هجم **أنور السادات** على الجنود والضابط لتخليص زميلهم المعتقل والدفاع عن كرامته **وخرج قائد المعتقل وأمر باطلاق النار فى المليان وقد جرح أنور السادات فى تلك المعركة** ، وكان حسن عزت قد هرب من المعتقل مرة أخرى ورصدت مكافأة قدرها ألف جنيه لمن يقبض على المعتقل الفار حسن عزت ، وكان أنور قد مرض فى المعتقل واسيئت معاملته من ادارة المعتقل ، وان ضابطا اعتدى عليه ، فما كان من حسن عزت الى أن دبر مؤامرة للانتقام من ذلك الضابط حيث قام أحد رجال حسن عزت قبل محطة الجيزة بأمتار واعطاه علقة ساخنة ازعجت محافظة القاهرة . **وقد تمكن أنور السادات من الهرب من مستشفى قصر العينى وتنكر أنور السادات فى زى احد الشيالين ولبس أفرول ، وصندلا وأطلق على نفسه محمد نور الدين** وهكذا انطلقنا كما يقول حسن عزت للحياة وللحرية تحت اسمى المعلم ابراهيم — حسن عزت — ومحمد نور الدين — أنور السادات — وكان علينا أن نعمل لنحصل على قوتنا وافتتحنا مكتبا للمقاولات بشارع سكة المناخ يتألف من حجرتين : الخارجية لأنور والداخلية لى ، واحضرنا فراشا مفتول الساعدين على الباب الخارجى كان عليه الا يدخل أحد قبل اعطائنا اشارة وذات يوم حضر امام ابراهيم لزيارتنا وتحايل امام على الفراش وقال انه قريب أنور وانه حضر لزيارته ، وفوجئت بأنور يدخل غرفتى ومعه امام ابراهيم وقال لى أنور : يا أخى امام ابراهيم بيحلف بشرفه ان كلها يومين والمعتقلات سوف تلغى ، وانه يريد أن نرجع ، واندهشت نكلام أنور فقد كان طيب القلب ولهذا يصدق الناس بسرعة .. ولكنى قلت لنفسى لقد وقعنا فى أيدى البوليس وعلينا ان نفلت وكانت قد وقعت من شهرين حادثة اسمهان واحمد سالم مع امام ابراهيم وقد أطلق احمد سالم النار على صدر امام ابراهيم ونجا امام من الموت باعجوبة ، فمددت يدى للدرج بخفة وأخرجت مسدسى ووجهته بسرعة نحو صدر امام ابراهيم مستغلا حكاية احمد سالم ومستغلا فكرة امام ابراهيم عنى باعتبارى شرسا مجرما ، وقلت له : يا امام أصلك ما تربتش من حادثة أحمد سالم اللى ضربك دفاعا عن واحدة ارتيست انما أنا حاضربك دفاعا عن حريتى وحياتى ومن زمان وانا متغاظ منك والحمد لله اديك وقعت فى أيدى » وظهر الرعب على وجه امام واخذ يتراجع وانا اقترب منه حتى وصل الباب الخارجى وهناك دفعته للخارج واقفلت الباب من الداخل وكان فناء العمارة مليئا بأعوانه ، وأسرعنا الى الشباك فقفزنا منه الى مكتب ساعاتى كان جارا لنا ثم اخترقنا مكتب أحد المقاولين الى حارة الكونت زغيب وقفزنا الى العربة الصغيرة التى نملكها وأسرعنا بالهرب ، وبعد دقائق تمكن امام ابراهيم

من كسر الباب الخارجى ، فدخل الشقة فلم يجدنا وعرف اننا هربنا فجمع الأوراق التى كانت بالمكتب والمستندات وانصرف بها اما نحن فاستأنفنا الهرب مخترقين امبابة الى البراجيل ومنها الى عزبة احد اصدقائنا وهو حسين حمدى سالم المهندس الزراعى وكانت الامطار فى تلك الليلة شديدة ، واستمرت ثلاثة أيام فقطعنا الطريق من امبابة الى البراجيل الذى لا يزيد عن عشر كيلو مترات فى عشر ساعات ولم تسر العربة ذلك اليوم بقوة الموتور ، ولكن بقوة دفع أنور وذراعيه فقد كانت تغوص فى الارض طول الطريق وتوقف محركها فينزل أنور ويدفعها حتى تدور وأقمنا فى العزبة حوالى شهرين وتركنا المكتب لامام ابراهيم وبعد شهرين عدنا الى الخطوط الأمامية لنعمل بعربة النقل التى تمكنا من شرائها بمجهودنا واستماتتنا فى عملنا — كما يقول حسن عزت أيضا — على خط مصر بور سعيد فى نقل الطرود أنا كسواق على العربة ، وصاحبها باسم المعلم ابراهيم بهجت وأنور كشيال **وذات يوم فى بور سعيد انشغل أنور بتحميل السيارة بالطرود الثقيلة فكان يحمل الطرد على ظهره ، فى ذلك اليوم الحار وهو يلهث من الألم ، وكان البطل يحنى ظهره ، ليلقى عليه الشيالون الطرد فيعتدل قليلا صاعدا الى ظهر السيارة فوق احدى السقايل** ، وكنت أجلس فى الظل ، أشرب شايا وأنظر اليه اراقبه بابتسامة خبيثة وهو يصر على أسنانه فقد كان عليه تحميل الكاميون بخمسة طرود وامعانا فى اثارته قلت له : أجرى هات شيشة لأحسن الواحد دماغه فاضية فنظر الى نظرة عتاب وخشونة وقال : حاضر يا معلمى : لقد كان عليه أن يمثل دوره ببراعة ودقة ولما فرغ من تحميل السيارة اعطيته جنيهين وقلت له : يا محمد الجنيهين دول اجرى عبى العربة بنزين ، علشان نتوكل ، وانطلق أنور بالسيارة محملة وملأها بالبنزين الا انه عاد بعد قليل وكان يجره من قفاه كونستابل ولمحتهما ففكرت فى الهرب وخشيت أن يكون أنور قد وقع فى يد البوليس السياسى وانكشف أمره ولكنى لاحظت ان الكونستابل يرتدى زى كونستبلات المرور فقلت : لا بد وان أنور خالف اشارات المرور وان الكونستابل ضبطه بلا رخصة وكان ما توقعته هو الحقيقة وان انور كان يقود السيارة بدون رخصة ويروى حسن عزت كيف امسك بأنور من تلابيبه واعتدى عليه أو تظاهر بالاعتداء عليه حتى لا ينكشف أمرهما وكيف ان أنور كظم غيظه وفى المساء عدنا الى اللوكاندة ورد لى أنور العلقة بأحسن منها ويروى لنا حسن عزت كيف رسا عليه وأنور عطاء لانشاء طريق بين شركة بورتلاند ومدينة حلوان واقمنا معسكرا بكفر العلو من خيام واستحضرنا عربات وعمالا وبدانا العمل بهمة وكنا اذا جن الليل توجهنا الى حلوان لنصيب شيئا من الطعام

ولم نجد ارخص وأدسم من محل لبيع الكرشة ولحمة الرأس تملكه امرأة فى العقد الثالث اسمها المعلمة زكية فكنا نذهب مع عمالنا الى المسمط ، الذى كانت تديره ببراعة وكنت أجلس على ترابيزة وحدى وكان أنور يجلس على رأس العمال أو قريبا منى تأدبا ؛ وبعد شهرين انتهت مقاولتنا وسلمنا الطريق لشركة بورتلاند ورحلنا عن حلوان ، وبعدها رسى علينا طريق البدرشين ليعمل بالأسفلت وكنا نورد البودرة والدبش للمقاول الأصلى وكان مهندس المقاول شابا من عمرنا اسمه كمال يعقوب وقد اكتشفنا فيه مجاهدا عظيما ، وشابا ممتلئا وطنية وحماسة وخلقا وكان يريد الحصول على السلاح من الأرياف ومن العمال ليؤدب الانجليز ولم يمض شهران حتى **انضم الينا المهندس كمال يعقوب واشترك فى العمليات التى قمنا بها وأصبح ضيفا على سجون مصر المختلفة)) .**

ولقد حرصت على اعطاء ما كتبه حسن عزت أهمية كبيرة فى هذه الدراسة ذلك ؛ لأنه كتب ماكتبه فى الشهور الأولى لقيام الثورة وكان العهد قريبا من تلك الأحداث التى سجلها فى ذكرياته ولأنها تتسم بالصدق والصراحة الى حد كبير ، هذا بالاضافة الى أنها تعطى صورة واضحة وجلية وحقيقية لفترة من الفترات الصعبة فى التاريخ النضالى **لأنور السادات .**

وقبل أن انهى هذا الفصل أحب أن أشير الى كلمة كتبها السادات عن واقعة أو حادثة فى المعتقل أثرت فى نفسه الى أبعد حدود التأثير ذلك لأنها كانت أصدق تعبير عما يحس به المعتقلون السياسيون من مشاعر تجاه آبائهم وامهاتهم وزوجاتهم وأبنائهم : **كتب أنور السادات يقول :**

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى ، وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا مثيرا للنفس باعثا للكآبة والجنون فمثلى فقير لا يملك غير عمله ، وذو زوج وأولاد يعيش فى المعتقل لا يعرف لأهله معينا غير الذين خلقه وخلقهم وفى طريقى اليومى الى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد محمد وجيه خليل الذى استشهد فى حرب فلسطين وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرءوف ، وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى أذنى ان التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر ، وانه جاء يطمئنى بعد ان عزت على الجميع زيارتى ، وكانت هذه العاطفة الصادقة اسمى مايمكن أن يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال فلقد يعرف الذين زادلوا الكفاح من أجل فكره انهم لا يضعفون أمام الموت ولا يضعفون أمام السجون ولا يضعفون أمام التعذيب وقد يخيل اليهم فى لحظات الحماس والانفعال انهم لن يضعفوا أمام شىء فى الوجود ولكنهم فى هذا واهمون فهناك الشىء الذى يضعفون أمامه والذى

لا يملكون حياله الا شيئا واحدا الا وهو الفرار ، الفرار من الواقع ، والفرار من التفكير . الفرار من هذه المطـارق التى تطرق الرأس والقلب والضمير ، وتحيل الجبار وهما صعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث اولا كبرياء الكفاح ويقظة الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهـدف ؛ لعلك عرفت الآن ما هو الشيء الذى يضعف أمامه المجاهدون وانه الولد ؛ الطفل ... العيال

هؤلاء الصغار الودعاء ، الذين تدفعهم دفعا الى مرارة الكفاح وتأخذهم اخذا على الصبر والحرمان والتقشف ، ولما بريبرحوا بعد مهاد الطفولة ولما يعرفوا بعد مراح الصبا .. هؤلاء هم نقطة الضعف فينا ، وهى نقطة ضعف اعترف بها ولا تخجلنى ، لأننى انسان .. وقد كنت احتمل أن يحرم اطفالنا من رعاية أبيهم ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحيـــاة وكانت هذه الجنيهات العشرة هى العون الوحيد الذى أقبله لأطفالى لأنهـا لم تصدر عن عطف ولا اشفاق وانما صـــدرت عن فكرة مشتركة وتكافل بين مكافحين .

وبدات أنسى الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل ، وبدأت أفكر فى خطوط المستقبل وخطوات الجهاد ، وكان مجرد تفكير نظرى تنتقصه حكمة الواقع ، ودراسة الطبيعة ، وكان أهم ما يشغلنى هو ان أخرج من المعتقل ، ولكنى لم أكن قد حددت بعد لمـاذا أخرج ، أو ماذا استطيع أن أصنع وانا مطارد شريد ..

والذى أستطيع أن أقوله بضمير المؤرخ ، الوطنى ان قضية **اليوزباشى انور السادات** وما سبقها وما تلاها من تطورات انما هى من السمات البارزة فى تاريخ النضال الوطنى : لقد كان دخول الكلية الحربية فى تلك المرحلة حلما من أهم أحلام الشباب وأولياء أمور الشباب ، اذ كانت الكلية الحربيـة وقفا على أبناء الباشوات « وكبار البكوات » وكان دخول أحد من أبنـاء الطبقة المتوسطة أو الفقيرة من الأمور المستحيلة . وعندما كان الطالب يتخرج من الكلية الحربية كان يعتبر ان أقصى أحلامه قد تحققت ، وقد كان الجيش المصرى « مقفولا » أو شبه « مقفول » أمام العمل الوطنى حتى ١٩٣٨ عندما بدأت الطلائع الشعبية تتخرج من تلك الكلية !!! وكانت سلطات الاحتلال تبذل كل ما تستطيع من جهد لابعاد « الوطنية » عن الجيش المصرى ، **لأن الجيش يجب أن يكون فى نظر تلك السلطات جيش « احتفالات » و « زينات »** .. كانت سلطات الاحتلال لا تخشى أية ثورة شعبية ما دامت تهيمن على الجيش المصرى ، وما دامت « تضعه فى جيبها » وكانت تلك السلطات تعد الجيش المصرى باستمرار للقضاء على

أية حركة وطنية ، ولذلك فان قيام حركة وطنية فى الجيش بين ضباطه الشبان يعتبر من أخطر التحولات التى حدثت فى ميدان العمل الوطنى منذ نشوب الثورة العرابية فى ١٨٨٢ حتى قيام ثورة ١٩٥٢ وعندما يتعرض أحد هؤلاء الضباط للمحاكمة ، والسجن والاعتقال بتلك الصورة التى حدثت **لأنور السادات** يعتبر ذلك من أبرز معالم الحركة الوطنية : وعندما يفصل هذا الضابط من الجيش وهو لم يتجاوز بعد عامه الثالث والعشرين وعندما **يشرد** ـ كما شرد أنور السادات ، وعندما يتحمل هذا الضابط كل صنوف الضغط والكبت ، والحرمان كما تحمل **أنور السادات** فانما ذلك كله قمة التضحيات التى أقدم عليها شاب مصرى وطنى وهى تعتبر فى نظرى ـ ودون أية مبالغة من جانبى ـ شيئا فريدا وجديدا ، بالنسبة لضباط الجيش المصرى .. والذى أريد أن أركز عليه فى هذا المجال هو استمرارية النضال فقد يكون من الأمور العادية أن يفصل شاب من عمله وأن يعتقل أو يسجن ولكنه من الأمور غير العادية أن يفصل شاب من عمله، وأن يسجن ، ويعتقل ويشرد ويبقى فى ميدان الكفاح مستمرا ، لا يضعف ولا يلين ، ولا يتوقف أبدا عن بذل التضحيات وعن المشاركة فى كل ميادين العمل الوطنى : ان أية صدمة منى بها أنور السادات فى كفاحه الوطنى كانت كافية لاخراجه من ميدان الكفاح ، بل كانت كافية لتحطيم حياته ، ولكن أنور السادات ـ وتلك حقيقة يعتز بها كل المناضلين ـ كان نموذجا رائعا فى الصلابة والاصرار على تحقيق أهداف الشعب فى الحرية وفى الاستقلال مهما قدم من تضحيات عزيزة وغالية واعتقادى ان تلك الفترة التى بدأ **أنور السادات** يخوض فيها نضاله الوطنى والتى تحمل فيها ما لم يتحمله غيره ؛ تعتبر من أخصب الفترات فى حياة أنور السادات ذلك لأنها قد زودته بحصانة وطنية قوية متينة كما زودته بالكثير من التجارب التى تعتبر بالنسبة له ، وبالنسبة لغيره من المناضلين ثروة قومية رائعة كان لها آثارها البعيدة فى صنع تلك الشخصية التاريخية الفذة وقد أهلته للقيام بدور رائد فى تاريخ الكفاح الوطنى المصرى .

إنطلاقة جديدة لشباب مصر بعد الحرب العالمية الثانية

كتب أنور السادات يقول ، وهو يعلق على اقالة وزارة مصطفى النحاس : فى الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، انقطع صوت الاذاعة المصرية فجأة وكانت تذيع احدى الأغانى ، ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصريين طوال فترة الحرب هو صوت الأستاذ محمد سعيد لطفى الذى كان مستشارا للاذاعة فى ذلك الوقت ، كان يحمل أمر الاقالة التى وجهها فاروق الى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الانجليز .

وكان واضحا فى صوت مستشار الاذاعة وفى القائه لهذه الاقالة ؛ انه طروب بها مستبشر ((شمتان)) وكان سهلا على المدركين لحقائق الأمور أن يعرفوا الأسباب التى تدعو مستشار الاذاعة الى الفرح الشديد بهذه الاقالة ، فقد كانت هذه الاقالة ــ بشرى من السماء ــ هبطت على ذلك الرجل ، لتنقذه من عذاب طويل وضيق وحرج لا مثيل لهما عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام .

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر ، وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لاقالتها ، ولو كان الخلاف قائما على أساس دستورى لكان خلافا فى سبيل مصر .

ولكن النحاس كان يتحدى الملك ، باسم الانجليز لا باسم الشعب ، ولا باسم الدستور . . والملك كان يحنى رأسه لانه كان يعلم أنه لا يستطيع شيئا غير الانحناء حتى تحين الفرصة ، ليبطش بهذه الحكومة التى جاءت رغم أنفه لتذل كبرياءه وتهدد كرامته ، وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد فأرسل حسنين يفاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس فكان الرد الذى تلقاه على ذلك هو برقية من تشرشل يقول فيها : ((لا تغيير))

وسكت الملك وسكت حسنين وعلم الوفد بالأمر فازدادت حكومته صلفـــا ، وبطشا : **والمهم ان هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين الملك كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الاذاعة المسئول .**

كان الملك مثـــلا يأمر باذاعة القرآن الكريم من القصر ، فترسل الاذاعة رجالها وآلاتها لاعداد ما يلزم للملك ، وتسمع الحكومة بالأمر فترسل رجالها بسحب آلات الاذاعة . ويبدأ الحرج ، وتبـــدأ المتاعب ، للاذاعة ولرجال الاذاعة .

وكان الوفد ، يقرر القيام برحلات فى الأقاليم فيأمر الاذاعة باذاعتهـــا ويسمع الملك الهتافات والدعايات فيغضب ويبلغ غضبه بطريقتـــه المعروفة لرجل الاذاعة المسكين .

وهكذا كان على الاذاعة أن ترضى الانجليز ، وأن ترضى الحكومة وأن ترضى الملك وكان هذا أمرا لا سبيل اليه فاذا أقال الملك حكومة النحـاس فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الاذاعة ويستبشر ؛ وسمعنا هذه الاقالة من الأستاذ محمد سعيد لطفى وسمعنا بعدها مباشرة ، الأمر الملكى بتكليف أحمد ماهر بتشكيل الوزارة ، **وكنا فى المعتقل قد استطعنا أن نحصل على جهـاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضيت عنا ادارة المعتقل .. ولا أخفى على القارىء انى أنا طربت لهذه الاقالة . فقد كانت ــ عنـدى ــ الرد الأول على انذار ٤ فبراير المشـــئوم .** وفى غمرة هذا الطرد غفلت عن تحليلهـــا والتعمق فى مدلولها . فان الأمر لم يكن بعد هذا قد ترك للملك يتصرف فيه كيف يشاء ، **ولابد من مصدر لهذه القوة ، التى لبسته ، حتى أقال وزارة النحاس ولابد من اتفاق سابق ، وان التغيير آت من الانجليز لا من الارادة الحرة للملك .**

غفلت عن هذا التحليل فى غمار النشوة التى بعثتها فينا الاقالة وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها اذ ، أصدر الرئيس الجـديد أمره بالافراج عن المعتقلين وبدأت أعد نفسى للحرية ، وكل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الأمل فى الحرية ، وكيف تتزاحم مشروعاتهـا على الرأس ، وتتواثب صورها أمام الخيال ، **ولكنى أفقت بعد ذلك بقليـــل : أفقت من الآمال وأفقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت اقالة النحاس . فقد رأى أحمد ماهر ، أن يفرج عن جميع المعتقلين ولكنه رأى أن فينـا خطرا داهما يهدد النظـام العام** ، وبدأنا التحليل وتعمقنا فى سر الاقالة وتكفلت الأيام بعد ذلك بافشـاء الأسرار وبدأت أضيق ذرعا بالمعتقل وأصبح وجودى فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل ؛ فوضعت خطة هربى وهربت فعلا ، هربت فى الشهر التالى لاقامة

النحاس أى فى شهر نوفمبر ١٩٤٤ وبدأت أتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش وأتصل سرا بالمرحوم حسن البنا ، وأعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة ؛ انها فترة طويلة على بعدها لأنها كانت مغامرة كاملة ولا يذكر أنور السادات عن تلك المغامرة شيئا ولكنه يقول انه خرج من المعتقل ليكتشف عددا من الحقائق الجديدة وليعرف عددا من الأسرار .

« خرجت لأسمع حديث الملك عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية وكانت حديثا عجيبا فالرجل الذى ضربه الانجليز أو ضربوا مصر كلها فى شخصه ، لم يكن يخلق به ، ولا بكرامة عرشه ولا بكرامة البلد التى (يملكها) أن يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الانجليز الذى أصدر أمره بتحرك الدبابات الى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية ولكن متى كانت لفاروق كرامة ، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده .

لقد ظننا هذا يوما وكنا فى ظنوننا مخطئين فالضربة التى أصابت كبرياء مصر من أجل الملك لم تصب أبدا كبرياء الملك من أجل مصر لأنه لم تكن له كبرياء . وخرجت لأرى قصر رأس التين القصر الرسمى الثانى فى البلاد وقد أمر الملك بتحويله الى مستشفى عسكرى لا لجنود مصر وضباطها الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه يوم هوجم عرشه ولكن لجنود الانجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الأول فى قلب العاصمة .

وخرجت لأرى فاروق قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من معانى الشباب والوطن وارتمى بين أحضان جنود أمريكا ، وضباط أمريكا يلعب معهم ، ويسهر معهم ، ويقوم برحلاته معهم ، ويلهو فى لياليه معهم ، وكأنه رأى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد اليه أن تخلى عنه الانجليز وخرجت لأعرف السر فى كل هذا ، فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر ، وأصبح الملك يخاف على حياته ويخاف ضياع العرش منه ؛ (حتى لقد كان يتتبع) أنباء التحركات الداخلية لجنود الانجليز فلا يكاد يسمع عن أى تحرك من تحركاتهم حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به ، وانهم يعتزمون ازاحته عن العرش مثلما أزاحوا من قبل بعض أسلافه ، وكان تصرفه الواحد فى كل مرة من المرات هو أن يترك قصره ويهرب الى انشاص وكأن انشاص بعيدة عن الدبابات الانجليزية واذن فقد أصبح الملك العوبة فى أيدى الانجليز ولم يعد فى استطاعتنا أن نعول عليه فى شىء من خططنا ، بل لعل الأسلم أن نعتبره من الأعداء .

وحتى تكتمل صورة الموقف في مصر عامي ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ كما يراه أنور السادات والضباط الأحرار نشير الى أن أنور السادات قد ذكر فيما كتبه من صفحات مجهولة عن يوم ٨ مايو ١٩٤٥ - يوم انتهاء الحرب في أوروبا - هذا اليوم الذى انتظره العالم طويلا وخدع به العالم كثيرا فلقد سمى يوم السلام ، وقد سمى يوم النصر واعتقد الناس أو هكذا ضللهم سادة الغرب أن العالم قد بدأ حقبة حقيقية من السلام ، وان قوى الخير قد اقتصرت فعلا ، على سلطان الظلام ؛ وأن هذا الخير سيعم جميع الأمصار والشعوب وان المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب ستصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الانسانية .

ولم يقل أحد لهم أبدا أن سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحاربه وأن المواثيق والعهود قد أعدت لأحاديث الدعاية فى اذاعاتها ونشراتها وأفلامها وصحفها وأنها ستصبح تاريخا بمجرد انتهاء الحرب . ألم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى وألم نكن قد قرأنا عنه فى مئات من الصور المختلفة ، وألم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ ، أن هذا الميثاق يجب أن تتضمنه محفوظات تلاميذ المدارس ، لأنه دستور الحياة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الانسانية بعد أبشع مجزرة شهدتها الحياة ، كنا نسمع هذا كما كان العالم يسمعه وكنا تنتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب أوزارها لا ايمان منا بصدق هذه الدعايات ولكن لنبدأ خطى جديدة على أرض واضحة المعالم ، فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى أشياء كثيرة : يعنى تبلور الأوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات ولا الاحتمالات وانما تسمح بشيئين اثنين لا وجود لثالثهما : العمل لمصر والعمل ضد مصر ، ولكل من العملين طريق واضح وظاهر لا تخفى على أحد وليس بين الطرفين طريق وسط .. هذا هو أول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة الينا وكان يعنى شيئا آخر : يعنى قرب انتهاء الأحكام العرفية ، والكابوس اللعين الذى وضع مصائر الاحرار تحت رحمة مخابرات الانجليز وجواسيسهم ، والذى كان يتهدد كل من يحاول أن يخطو خطوة وطنية واحدة خلال اعلانها وان لم تكن هذه هى الفرصة المناسبة لبدء العمل المنظم فليست هناك فرصة أخرى وعن العقبات التى صادفت العمل الوطنى للضباط الأحرار يقول أنور السادات : كان الضباط الأحرار يشعرون بانعدام ثقة الشعب فى الجيش ، وانعزال الجيش انعزالا ظاهريا عن قضايا لشعب اذ كانت صورة الجيش - كما يقول أنور السادات - فى ذلك الوقت هى صورة الكرباج ، الذى يلهب به الطغاة ظهور الشعب .

هو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملك أن يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار أو سخط ، انها الصورة التى رسمها الانجليز وشاركهم فى اظهارها ووضع الاطار حولها حلفاؤهم ، القصر والأحزاب .

وأصبح الشعب لا يخشى الملك لا لأنه مقدس أو لأن القانون يحميه ولكن لأنه القائد الأعلى للجيش والمسيطر على تحركاته والآمر فيه والناهى والجيش مظلوم ، والشعب مظلوم ، فلم يكن جيش مصر أجنبيا عن أبنائها . لم يكن جيشا من المماليك أو المرتزقة ولكنه كان جيشا من الشعب ، مشاكله هى نفس مشاكل الشعب ، ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها بأساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة لعله يخشى جيشه وكأنه جيش احتلال ، **ويتحدث أنور السادات عن الحلف الكبير الذى كان يجمع بين الملك والأحزاب والرجعية بوحى الاستعمار ، كما يتحدث عن الملك ، الذى عرف تماما أن الهوة سحيقة بينه وبين الشعب وكان الذين حوله من الحاشية الفاسدة والرواد الخائنين قد أقنعوه تماما بأن كل تقرب من ناحيته الى الشعب سيزيد من نهم هذا الشعب** فى مطالبه وان هذا الشعب ان لم يضرب بالسياط « سيتغول » ويتحول الى خطر داهم عليه وعلى أسرته وعلى عرشه أيضا وعن أحزاب الأقلية المتحالفة مع الملك يقول أنور السادات : لم تكن تحلم يوما بالوصول الى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة من التزوير وكانت هذه الأحزاب منذ نشأت تعرف طريقها الى الحكم : هو الايقاع بين حزب الأغلبية وبين الملك ، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة الداخلة فى حكم البلاد وكانت لذلك تأتى الى الحكم بغيضة كريهة وتذهب عنه مشيعة بلعنات شعب مصر ، وعن حزب الأغلبية يقول أنور السادات « لقد أغرق فى الفساد » وداخلته شياطين الشهوة فضم اليه الاقطاعيين والسماسرة وربط بمصالحهم مصيره ، وبدأ هو الآخر ينعزل عن تمثيل الشعب تمثيلا صحيحا يقوده به الى أهدافه الحقيقية : لقد تمثلت ديكتاتورية الأغلبية فى أبشع صورها وأصبح من الصعب التفكير فى اصلاح هذا الحزب بعد أن قرض بنفسه الأساسى الشعبى الذى يقوم عليه ، ويضيف أنور السادات الى تحليله ، لكل جوانب الموقف السياسى جانبا آخر هو جانب الرجعية المتجرة بالقيم الروحية للشعب فالاتجار بالدين شر مستطير يخلق للدين أهدافا غير أهدافه يجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر ويفسد « الجماعات » وعن الأمراض التى كان يعانى منها الشعب يقول السادات : أنها أمراض وراثية بعيدة الغور متأصلة الجذور : أمراض أورثها ذله الطويل تحت سياط

الاقطاع والملوك والطغاة وجيوش الاحتلال : أمراض منها التردد ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع ومنها الخيانة ومنها .. ومنها .. ومنها : أمراض لا سبيل الى بعث هذا الشعب الا باستئصالها ولا سبيل الى استئصالها الا بازاحة أسبابها عن الطريق . وعن القوة التى يمكن أن تعمل لازاحة هذه الأسباب تعمل لازاحة ذلك كله قال السادات : لابد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية ؛ لتزيل بعد ذلك آثارها ؛ ولابد من قوة تقضى على الاقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد ذلك أن ترفع مستوى الشعب ومعنوياته وتزيل منها آثار الخضوع والخنوع والاستسلام ولابد من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا وقرونا حتى فقد الشعب الأمل فى الخلاص منه أو كاد يفقد هذا الأمل ؛ ولابد من قوة تستطيع أن تقف فى وجه الأحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الانجليز وتقف فى وجه الرجعية التى تضلل الشعب وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمة طوال القرون الماضية وتثبت أقدامه فى طريق التطور والنهوض . لابد من قوة تصنع كل هذا لتصل بالشعب الى الأمل الذى يراوده أن يحكم نفسه بأيدى أبنائه وأن تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تقوم بهذا العمل غير الجيش .. الجيش الذى لا يثق به الشعب والذى يعتبر يعتبره سوطا يلهب ظهره بأمر الطغاه والذى استطاع الاستعمار وأعوانه أن يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه ؛ هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونته ولكنه طالما وجد نفسه بمنأى ومعزل عنه » ولأن الكلام عن حركة الجيش وعن حركة الضباط الأحرار ليس هذا مكانه لأننا سنفرد له جزء خاصا فاننا نكتفى بهذا القدر من رؤية أنور السادات لكل جوانب الموقف السياسى فى مصر بعد اقالة وزارة الوفد وأبادر فأقول انى تعمدت الاطالة فيما نقلته عن أنور السادات حول هذا الموضوع وذلك لجملة اعتبارات فى مقدمتها أن هذا الرأى الذى كان يراه السادات وقتئذ كان يراه فى نفس الوقت أغلبية الشباب المصرى الذى كان قد كفر بالأحزاب الى حد كبير والذى كان قد كفر بالملك كفرانا ما بعده من كفران خاصة بعد حادث القصاصين الذى وقع له وبعد ارتمائه فى أحضان الأمريكيين بعد ذلك أيضا : حتى الشباب الذى كان ينتمى الى الأحزاب ؛ هؤلاء كانوا قلة اذا ما قورنوا بالشباب الذى لا ينتمى الى الأحزاب أو الذى لم يعد يرى فى الأحزاب القوى التى يمكن أن تحقق له أحلامه ـ كان هذا الشباب بعد الحرب العالمية الثانية قد بدأ يخطو خطواته الأولى نحو الاستقلالية وان كان على استحياء لأنه لم يكن يجد أمامه القادة والرواد الذين

يوجهونه الى ما فيه خير البلد : صحيح انه كان يجد بعض النوافذ الفكرية الطيبة التى تنير له بعض جوانب الطريق كما كان يجد بعض القنوات ذات الاتصال الوثيق بالشعب ؛ وصحيح انه كان في بعض الحالات يجد من الوطنين المخضرمين مثل عزيز المصرى وصالح حرب ومحمود لبيب وحسن نور الدين وغيرهم وغيرهم من كانت أهدافهم الوطنية غير مقيدة بالقيود الحزبية ضيقة الأفق ، صحيح كل ذلك ولكنه كان يحتاج الى الكثير الكثير ولذلك فان فترة الشك والريبة والتردد قد طالت أكثر مما ينبغى ؛ ولكنها سرعان ما انتهت ؛ وبدا الشباب الوطنى غير المنحاز لأى حزب أو أية جمعية أو تنظيم سياسى يشكل الأغلبية الساحقة من مجموع الشباب .

وقد كانت السرية التى صاحبت كل ما يتعلق بتنظيم الضباط الاحرار سببا فى تاخر اكتشاف الشباب المدنى لما يمكن أن يقوم به الجيش فى المستقبل من عمل وطنى مجيد هذا بالاضافة الى أن بعض الحركات التى كانت قد ظهرت فى الجيش وبدأت تعلن عن نفسها ببعض المنشورات والأعمال المظهرية الأخرى كانت الريبة تحيط بها الى أن كان يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم الجلاء حيث اكتشف شباب مصر غير العسكرى الجوهر الكريم العظيم لشباب الجيش ففى هذا اليوم بالذات ــ واقول هذا عن تجربة شخصية ــ نزلت بعض قوات الجيش الى ميدان الاسماعيلية ــ ميدان التحرير الآن ــ لكى تضرب المتظاهرين ولم تكد السيارات البريطانية المصفحة تقتحم جموع المتظاهرين فى غير مبالاة ولم يكد الرصاص ينطلق من فوهات المدافع البريطانية ضد صدور الشباب المصرى الأعزل حتى رأينا ــ وكان ذلك يحق مفاجأة لنا ــ أن الجيش المصرى قد انضم الى المتظاهرين . ولا يمكن ابدا أن ينسى شباب مصر ما أداه شباب الجيش المصرى وقتئذ تجاه أولئك المتظاهرين ــ لقد سقط فى هذا اليوم أكثر من ثلاثة وعشرين شهيدا وجرح أكثر من ١٢١ شابا وأقول لولا تدخل شباب الجيش المصرى الى جانب المتظاهرين لتحول يوم الجلاء الى مذبحة رهيبة لم تعرف لها مصر مثيلا من قبل .

ومن ذلك التاريخ حقيقة تلفتت انظار الشباب الوطنى الذى كان يقود الحركة الوطنية فى الجامعات والمدارس الثانوية الى شباب الضباط وحتى تتضح الصورة أكثر وأكثر تعود الى الوراء قليلا لنقول أن الابتهاج الذى استقبلت به وزارة احمد ماهر لم يستمر طويلا ، لقد بدأت بعض القوى تلعب لافشال مهمة أحمد ماهر وكان الغاء الرقابة على الصحف عاملا هاما من عوامل الانفجار الشعبى الذى تم بعد اقالة الوزارة الوفدية . لقد ظلت

البلاد في كبت منذ بداية الحرب العالمية الثانية وكان رفع الرقابة على الصحف اشبه برفع الغطاء عن قدر يغلي ويغلي والحقيقة وللتاريخ يقول ان أحمد ماهر — رغم اعتراضنا الشديد على سياسته الخارجية وخاصة الجانب الخاص بدخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء — كان يتميز بأسلوب الديمقراطية الحقة في الحوار : أذكر يوما تأزمت فيه الأمور في جامعة فؤاد الأول — جامعة القاهرة الآن — واتخذ الجنود وضع استعداد لاطلاق الرصاص على الطلاب مما كاد يهدد بحدوث مجزرة عنيفة وتم الاتصال بأحمد ماهر رئيس الوزراء في مكتبه واحاطته علما بما يتأهب البوليس للقيام به من اطلاق الرصاص على الطلاب — وبعد دقائق كان أحمد ماهر — رئيس الوزارة المصرية — يدخل باب الجامعة منفردا ولا يسمح لحرسه الخاص بأن يرافقه الى داخل الجامعة احتراما لمكانة الجامعة وقدسية حرمها .

واستقبلناه على باب كلية الحقوق وحاول الرجل أن يتحدث الى جماهير الشباب الغاضبة وكان سبب غضبها أن الحكومة رفضت قبول ترشيح الأستاذ على البرير لانتخابات مجلس النواب عن دائرة عابدين وكان على البرير قد أصر على أن يكتب في أوراق ترشيحه أنه سوداني وكان الشباب الجامعي يرى أنه ما دمنا نطالب بوحدة وادى النيل حكومة وشعبا وما دمنا نرى في السودان جزءا من دولة وادى النيل كما أن مصر جزءا آخر منه فلا يقبل رفض ترشيحه على هذا الأساس .

ولم يستطع دكتور أحمد ماهر أن يسكت الجموع الثائرة الغاضبة فنقلناه الى الشرفة التي تعلو مدخل كلية الحقوق في الطابق الثاني وظل الرجل أكثر من ثلاث ساعات يتحاور مع الشباب دون أن يفقد رباطة جأشه ودون أن يفقد في نفس الوقت صبره الى أن اقتنع من اقتنع ورفض الاقتناع من لم يقتنع .

ومرة أخرى دعا الرجل بعض الشباب الى الاجتماع به في منزله بعد أن اجتمع باللجنة السياسية التي كان قد شكلها من كافة زعماء الأحزاب وكبار الشخصيات — فيما عدا حزب الوفد — دعا أحمد ماهر بعض القيادات الطلابية ليعرض عليها ما استقر عليه رأيه من ضرورة دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء حتى تستطيع الاشتراك كعضو مؤسس في مؤتمر سان فرانسيسكو — وقال أحمد ماهر لهؤلاء القيادات أنه حريص على أن يناقشهم ويحاورهم في هذا الأمر ، كما ناقش وحاور أعضاء اللجنة السياسية ، كان أحمد ماهر — رغم الاختلاف الشديد واياه في بعض آرائه السياسية — هو أحمد ماهر ابن ثورة ١٩١٩ والذى شارك قدر استطاعته في هذه الثورة كأستاذ في مدرسة التجارة العليا وفدائي في نفس الوقت .

وكان موضوع دخول مصر الحرب من الموضوعات الرئيسية التى اثارت ثائرة الشباب .

وقد كنا ـ نحن الشباب الوطنى ـ نجتمع فى مكتب الأستاذ عبد المقصود متولى المحامى وكان يقع أمام قصر عابدين للمناقشة فى هذا الموضوع حتى ساعة متأخرة من الليل وكان أشدنا عنفا فى النقاش الأستاذ محمود العيسوى المحامى وكان وقتئذ ملتحقا بمكتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى وكان أشد الحاضرين عنفا أيضا فى النقاش دكتور حسن نور الدين من أقطاب الحركة الوطنية والرجل الذى كان يفتح بيته فى الحلمية ليدربنا نحن الشباب الوطنى على استعمال السلاح .

وكان محمود العيسوى يريد ، بأية طريقة ، أن يمنع أحمد ماهر ـ يرحمهما الله معا ـ **من اعلان الحرب وكان معجبا الى أبعد حدود الاعجاب بابراهيم الوردانى الذى قتل بطرس غالى باشا رئيس الوزراء المصرى عام ١٩١٠** وكان العيسوى معتقدا انه بمنعه احمد ماهر من دخول الحرب سوف يؤدى الى الشعب خدمة جليلة ، كان محمود العيسوى الذى حصل على ليسانس الحقوق وهو فى التاسعة عشرة من عمره والذى حصل على دبلومين فى القانون العام والقانون الخاص وكان يعد رسالة الدكتوراه فى القانون نموذجا لنوع من الشباب الفدائى الذى لا يتردد فى تنفيذ ما يراه لصالح بلده وقد أطلق محمود العيسوى النار على احمد ماهر وكان احمد ماهر قد أنهى خطابه فى مجلس النواب واتجه لى مجلس الشيوخ ليلقى نفس الخطاب ولم يتحرك محمود العيسوى بل ظل ثابتا فى مكانه الى أن قبض عليه وقدم للمحاكمة وعذب وبذلت محاولات من قبل الملك فاروق ومن قبل محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء الذى خلف أحمد ماهر وقدمت اليه تعهدات كتابية من الملك ورئيس الوزراء بالعفو عنه اذا ما اعترف على شركائه بل اذا اعترف على صاحب المسدس الذى استخدم فى الجريمة ، ولكن الشاب الوطنى الشجاع ظل باستمرار على رأيه من ان الجريمة فردية وانه لا يوجد آخر قد شاركه فيها وأذكر أنه عندما جىء بمحمود العيسوى الى مكتب عبد الرحمن الطوير « باشا » النائب العام وقتئذ وكانوا قد جاءوا بى وبالمرحوم الشيخ حسن البنا لاثبات العلاقة القائمة بيننا وكان العيسوى يبدو كالشيخ الهزيل من كثرة ما عذب وما أزال أذكر كلماته عندما سأله الطوير باشا ـ هل تعرف الشيخ حسن البنا ؟ قال نعم أعرفه فهو من الشخصيات العامة ، ولما قيل له هل تعرف « فلان » مشيرا الى ـ قال : لا : ولما قال له الطوير باشا : لقد وجدنا فى مكتبك كتابا اسمه « وحى الوطنية » كتبه صبرى أبو

المجد واهداه اليك بعبارات تشهد بأستاذيتك له وقد ارخت عبارة الاهداء فى ٢٢ فبراير ١٩٤٥ – اى قبل حادث اغتيال احمد ماهر باشا بثمان واربعين ساعة – قال ، محمود العيسوى ، وهل معنى ذلك أنه يعرفنى واننى أعرفه انى أتلقى كثيرا من الكتب التى يؤلفها بعض الشباب دون أن أعرفهم . ولما قال الأستاذ عبد الرحمن الطوير – وكان فيما قاله غير صادق ١٠٠٪ – ولكن فلانا – أى كاتب هذه السطور – يقول انه يعرفك ،اجاب العيسوى فى سخرية قائلة : لعله يريد أن يناله جزء من الفخر مما قمت به .

والحقيقة ان محمود العيسوى – رغم اختلافنا الشديد معه فيما اقدم عليه – قد قام بما قام به بوازع وطنى ، وكان الرجل – وهذا للتاريخ – لم يكن يخشى حبل المشنقة الذى يقترب ساعة بعد ساعة من عنقه وانما كان يخشى تلك الحملة الظالمة التى قامت بها بعض صحفنا ضده وخاصة الجانب الشخصى من حياته فأبوه – كما كانت تلك الصحف تقول عنه – خياط وأمه – كما تقول تلك الصحف أيضا – غسالة و ... و ... ولم يكن ذلك صحيحا حتى ولو كان ذلك صحيحا فليس فى ذلك ما يعيبه فالخياط الذى يربى ولده فى ذاك الوقت حتى يحصل على ليسانس الحقوق ، ودبلومين من كلية الحقوق والأم التى تشارك فى تربية ابنها فيحصل على ما حصل عليه من شهادات ويكون متفوقا بمثل هذه الدرجة من التفوق هما ابوين ممتازين يستحقان التقدير ولا يمكن أن يكونا الا شخصين نموذجيين على اية حال فقد كان اغتيال أحمد ماهر – وهو بلا جدال من المجاهدين الذين كافحوا وناضلوا من أجل تحرير مصر ، والذى اقتربت راسه من حبل المشنقة ذات يوم فى احدى القضايا السياسية الكبرى – كان اغتيال أحمد ماهر من الأحداث الهامة بالنسبة لقطاع كبير من الشباب الوطنى ، لقد حوكم العيسوى أمام محكمة عسكرية عليا وتنكر له فى هذه المحاكمة الكثيرين من أصدقائه ،وزملائه وبقى كاتب هذه السطور أكثر من أحد عشر شهرا فى السجن ولم يتم الافراج عنه الا بعد ستة أشهر من اعدام العيسوى لأنهم كانوا يعتقدون انى كنت شريكا له واننى كنت واحد من ثلاثة كانوا معه فى مبنى البرلمان ومهمتنا قطع التيار الكهربائى وتهريب الجانى .

يبقى بعد ذلك – كله – القول بأن محمود العيسوى من مواليد قرية غريانة مركز قويسنا – محافظة المنوفية – وقريته تلك على مقربة من قرية بجيرم مسقط رأس د. شفيق منصور الفدائى المعروف الذى كان شريكا فى كل القضايا السياسية الهامة ابتداء من قضية مصرع بطرس غالى باشا

١٩١٠ الى قضية مصرع السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى ، والحاكم العام للسودان فى عام ١٩٢٤ .

وقد كان محمود العيسوى من كبار المتشيعين للألمان المعادين للانجليز ومما يذكر عنه انه ارسل برقية تهنئة للسيد رشيد عالى الكيلانى أثناء قيامه بثورته عام ١٩٤١ خلال تلك الثورة التى زلزلت كيان الاحتلال البريطانى فى العراق **وكان العيسوى قد قبض عليه فى قضية ((كتابة وطبع وتوزيع منشورات)) معادية للحلفاء** وقد ظل فى السجن بضعة أشهر .

وكان محمود منصور باشا ، قد رأس محكمة عسكرية مخصوصة تولت محاكمة محمود العيسوى ، وقد تولى الدفاع عن العيسوى فى تلك القضية الأستاذ الدكتور على ((بك)) بدوى ــ العميد الأسبق لكلية الحقوق بجامعة القاهرة وأستاذ محمود العيسوى فى كلية الحقوق وكان العيسوى هو الذى اختاره لتلك المهمة القاسية . ومثل النيابة عبد الرحمن الطوير ((باشا)) النائب العام وكان د. على بدوى قد أنهى مرافعته فى القضية بالكلمة التالية : تقدمنا لحضراتكم بدفع ودفاع ــ أما الدفع فقد أيدته بالأدلة الكثيرة وأما الدفاع فقد عززته أيضا بالظروف التى تبرر تخفيف العقوبة وتنادى بابعاد المتهم عن حبل المشنقة فان لم تر المحكمة الأخذ بالدفع فسأبكى النصوص القانونية وان قضت فى الموضوع باعدام المتهم فسأظل أبكى أخلاقه النبيلة وأدبه الجم)) .

وفى ١٩٤٥/٧/٢٨ قضت المحكمة العسكرية العليا باعدام محمود العيسوى شنقا وصدق الحاكم العسكرى على الحكم فى ١٩٤٥/٨/٢٢ والتصديق على الحكم بمثل هذه الدرجة من السرعة لم يحدث أبدا من قبل .

وكان محمود العيسوى قد صلى وتلا سورة يس قبل تنفيذ الحكم وعندما جاء موعد التنفيذ وتلى عليه الحكم وسئل ان كان يريد شيئا **قال وهو رابط الجاش وفى اقصى درجات الشجاعة ((أنا لا يهمنى الا حكم التاريخ وأرجو الصحفيين أن لا يشوهوا سمعتى كما شوهوا القضية وكلمتى لهم لا تفتروا على ميت)) ولم يطلب محمود العيسوى أكثر من السماح له أخيرا بتلاوة سورة يس ، والصلاة ، فأجيب الى طلبه** حتى اذا ما انتهى من القراءة والصلاة طلب اليه أن يلبس الطاقية السوداء وسيق الى المشنقة وكان تنفيذ الحكم فى الصباح يوم ١٩٤٥/٩/٢٨ وقد بكاه كثيرون وكان الأستاذ عبد المقصود متولى رحمه الله يرسل كل عام من يقوم بأداء الحج نيابة عن العيسوى .

وقد قبض على الأستاذ عبد المقصود متولى أكثر من مرة وأعتقل بسبب وفائه لمحمود العيسوى وذلك رغم شيخوخته ورغم انه يعتبر أستاذا لكل المحامين المخضرمين فى مصر وكان بعض رؤساء الوزارات السابقين ــ من المحامين ــ قد تمرنوا فى مكتبه .

لقد ذهب احمد ماهر وجاء النقراشي وكانت الرصاصات التى أطلقت على أحمد ماهر قد ساهمت الى حد كبير فى عملية التضييق على الحريات وفى عملية القاء القبض بالمئات على الكثيرين وأذكر ان أحد الشباب الوطنى كان يكتب مذكرات يومية عن كل ما يحدث له وما يواجهه وقد دعى لشهود حفل زفاف فى الزقازيق فكتب أسماء كل المدعوين الذين التقى بهم فى الحفل فلما قبض عليه فى قضية مقتل أحمد ماهر جىء بهؤلاء المدعوين جميعا وفى قطار خاص من الزقازيق الى القاهرة وكان رئيس النيابة الذى يتولى التحقيق يضحك فى سخرية وهو يقول « أمال فين العروسة والعريس » ــ وكانت الصحف قد نشرت كلها غداة القبض على هذا الشاب ان البوليس قد عثر على وثيقة هامة جدا سوف تقلب التحقيق رأسا على عقب .

ولم تكن الوثيقة الهامة جدا الا كشفا بأسماء المدعوين الى حفلة الزفاف .

وتنتهى الحرب فى أوروبا كما تنتهى الحرب فى آسيا وتستسلم ألمانيا واليابان واحدة فى أثر الأخرى وتنفس الشعب الصعداء ويبدأ التفكير فى حل القضية المصرية على ضوء ما وقع فى الحرب العالمية الثانية من أحداث غيرت موازين القوى الدولية ، وتقوم المظاهرات تلو المظاهرات لتحريض النقراشى على أن يتحرك خطوة فى هذا السبيل فلا يقول الا كلمة « فى الوقت المناسب » حتى يسخرون منه ويطلقون عليه « رجل الوقت المناسب » ثم يتحرك فيرسل مذكرة باسم الحكومة المصرية الى الحكومة البريطانية ويتلقى الرد بعد شهر تقريبا وكانت المذكرة والرد من أهم عوامل غليان الشباب المصرى .

فى ٢ ديسمبر ١٩٤٥ أرسلت الحكومة المصرية بالحاح من الشباب المصرى وفى مقدمته طلاب الجامعات والمدارس الثانوية الى الحكومة البريطانية مذكرة عبرت فيها عن شعور الأمة قاطبة فى أن تقوم الحكومتان باعادة النظر فى الأحكام التى تنظم علاقاتهما فى الوقت الحاضر على ضوء الحوادث الأخيرة والتجارب المكتسبة واذا كانت مصر قد قبلت المعاهدة بكل ما انطوت عليه من قيود تحد من استقلالها فلأنها كانت تعرف انها قيود أملتها ظروف وأحداث وقتية تزول بزوال هذه الظروف والأحداث التى قضت بقبولها والواقع أن الحرب قد استنفدت أهم أغراض المعاهدة : ان الحكومة البريطانية ــ ابان

الشدائد ـ قد جنت من اتفاقها مع مصر من الفوائد أكثر مما فرضته نصوص المعاهدة وجاوزت الى حدود بعيـدة ما كان يأملهـا حقـا أكثر المفاوضين البريطانيين تفاؤلا : « لذلك كان لزاما أن يعاد النظر فى معاهدة سنة ١٩٣٦ بعد أن تغيرت الظروف التى فرضت عليها طابعا خاصـا لكى تكون متمشية مع الحالة الدولية الجديدة فان أحكامها التى تمس استقلال مصر ، وكرامتها لم تعد تساير الوضع الحالى » وتنتهى المذكرة بالفقرة التالية : لهذه الأسباب وأمام هبة الشعب المصرى عن بكرة أبيه ورغبته الحـارة فى أن يرى علاقاته ببريطانيا العظمى مستقرة على أساس من التحالف ومن الصداقة الخالصـة من شوائب ريب الماضى والطليقة من أسر مبادىء قد انقضى زمنهـا تعرب الحكومة المصرية عن ثقتها بأن حليفتها ستشاركها فى هذا الرأى وان الحكومة البريطانية ستعنى بتحديد موعد قريب لكى يشخص وفد مصرى الى لنـدن للمفاوضة معها فى اعادة النظر فى معاهدة سنة ١٩٣٦ وغنى عن البيان أن هذه المفاوضات ستتناول مسألة السودان مستوحية فى ذلك مصالح السودانيين وأمانيهـم .

وكان رد الحكومة البريطانيـة فى ٢٦ يناير ١٩٤٦ الذى سـلمه وزير الخارجية البريطانية الى سفير مصر بلندن قد أشار الى بعض الأسباب التى جعلتها لم تستجب رسميا حتى الآن لما أعربت عنه حليفتها وفى مقدمتها :

ـ ضغط الحوادث المتصل الناشىء من وقف الحرب .

ـ ضرورة بحث احكام المعاهدة المصرية الانجليزية على ضوء ميثاق الأمم المتحدة ومع الافادة من الدروس التى تعلمناها من هـذه الحـرب وتلاحظ المذكرة البريطانية أن المبادىء الأساسية التى قامت عليها المعاهدة سليمة فى جوهرها .

وتنتهى المذكرة البريطانية بأن الحكومة البريطانيـة تصرح بأنهـا على استعداد لأن تعيد النظر مع الحكومة المصرية فى أحكام المعـاهدة القائمـة بينهما على ضوء تجاربهما المشتركة ومع المراعاة الواجبة لأحكام ميثاق الأمم المتحدة التى تهدف الى ضمان السـلم والأمن الدولى وسترسل الى سـفير جلالة الملك فى القاهرة قريبا تعليمات لاجراء محادثات تمهيدية مع الحكومـة المصرية لهذا الغرض .

وتتحرك جامعة فؤاد ـ جامعة القاهرة الآن ـ وتتظـاهر أكثر من مرة ضد المذكرة المصرية وضد رد الحكومة البريطانية . ويبلغ الغليان فى الجامعة أشده فى يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ .

كان يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ من الأيام التاريخية لم يكن هناك استعداد لذلك اليوم من قبل اللهم الا بعض الاتصـــالات الشخصية التى جرت بين بعض القيادات الطلابية التى تواعدت على الالتقاء فى الحرم الجامعى فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم وقد تم الاتفاق على أن يبدأ التجمع فى الحرم الجامعى فاذا ما دقت ساعة الجامعة التاسعة تماما بدأنا فى القاء الكلمات الحماسـية وكان الاتفاق قد تم على أن أقوم أنا بافتتاح المهرجان الخطابى لأننى لم أكن أمثل لونا حزبيا وكنا قد تعودنا فى الجامعة على أن أى حركة يبدأها خطباء من الوفد تكون حركة وفدية وهكذا ، أما الأيام الوطنيـة ذات الصبغة الوطنيـة القوية العامة والتى لا يكون فيها التحرك حزبيا فقد كانت الخطابة فيها تبدأ بالشبان الوطنيين ، وقد بدأ الحـديث يومئذ ــ ٩ فبـراير ــ بالهجوم على سياسة المهادنة مع الحكومة البريطانيـة تلك السياسـة التى كانت عنوانا للوزارة النقراشية وتوالى الهجوم على السياسة البريطانية اذ قد تبين للرأى العام على أثر اذاعة مذكرة الحكومة الى بريطانيا ورد الحكومة البريطانية مبلغ سوء نية الانجليـز نحو مصر واصرارهم على عـدم التخلى عن سـياستهم الاستعمارية وبدأت أمواج الطلبة تتحرك من فناء الجامعة الى قصر عابدين عن طريق كوبرى الجيزة وكان يسمى وقتئذ كوبرى عباس وبعد أن بدأ الطلبـة يجتازون الكوبرى من ناحية الجيزة صدرت التعليمات بفتح الكوبرى وكانت ساعات عصيبة للغاية .. شباب الجامعة والمدرسـة السعيدية وكل طلاب الجيزة امام كوبرى عباس وآلاف منهم قد اجتـازت الكوبرى ووقف المئات منهم على حافة الكوبـرى المفتـوح ورجال البوليس يسـتخدمون العصى والهراوات الغليظة فى الاعتداء على الطلبة ودفعهم الى الكوبرى المفتوح حتى يقعوا فى مياه النيل وكانت عربات الكارو وقتئذ تملأ بعض جوانب الكوبرى وكانت الأحصنة تدوس أجساد الطلبة بحوافرها لما اعتراها من خوف ....

ويطول بنا المقام لو أننا استعرضنا ما حدث فى هذا اليوم الذى لم يشهد الشباب له مثيلا من قبل ويكفى للتدليل على بشاعة ما كان يحدث وقتئذ ان الأعداد التى حوصرت فوق الكوبرى كانت تهرب من قسوة البوليس بالقـاء نفسـها فى نهر النيل وان اعدادا وفيرة من الشـباب سقطت تحت سنابك الخيل ــ خيل عربات الكارو ــ وقد كنت على وشك الموت وقد أديت الشهادة انتظارا للموت غير أن فكرة هبطت على فجأة فحملت أحـد الجرحى والدماء تنزف من جسده بغزارة واجتزت الكوبرى ولم أسلم وأنا أحمل احد الطلبة بين الموت والحياة من هراوات البوليس الذين كانوا وكأنهم فى حرب عنيفـة

وقد أسفت لأن أستاذنا الرافعي كتب يقول . « سميت هذه الحادثة حادثة كوبري عباس وبالغ الرواة في تصويرها اذ جعلوا منها فيما بعد دعاية سياسية ضد النقراشي وزعموا أن بعض الطلبة قتلوا فيها وبعضهم غرقوا في النيل من اعلى الكوبري وقد تحققنا انه لم يقتل أحد وليس من شك في أن الاعتداء بالضرب على المتظاهرين عمل منكر في ذاته لأنه كان واجبا تركهم يذهبون الى قصر عابدين اذ لم تكن هتافاتهم عدائية للحكومة ولكن ليس من الانصاف في رواية الوقائع المبالغة فيها واخراجها عن حقيقتها ارضاء للمآرب والشهوات» .

ويقرب من كلام أستاذنا عبد الرحمن الرافعي ما ذكره د. محمد حسين هيكل حول هذا الموضوع أيضا اذ قال : بدأ طلبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة يضربون ويتظاهرون وبدا لهم يوما من أيام شهر يناير ١٩٤٨ ـ الصحيح أنه يوم السبت ٩ فبراير ١٩٤٦ ـ أن ينحدروا من كلياتهم الى القاهرة يريدون قصر عابدين للتظاهر أمامه واتخذوا طريقهم الى كوبري عباس المؤدي الى منيل الروضة فلما اكتمل جمعهم فوقه فتحه البوليس فحصرهم في نطاقه فلم يعودوا يستطيعون حراكا وفي هذا المضيق وقع بينهم وبين البوليس التحام عنيف استغلته المعارضة من بعد حتى لقد زعمت أن أحد الطلبة بلغ من تأثره باصابته أن ألقى بنفسه في الماء فغرق ولم يكن هذا صحيحا .. مع هذا استقر في أذهان الجمهور وجعله أشد مقتا للوزارة فأما طلبة الجامعة فأثار هذا الصدام بينهم وبين البوليس والحقد في نفوسهم وما دفع بعض العناصر للتفكير في التخلص من الوزارة بأية طريقة مشروعة أو غير مشروعة ، ويضيف د . هيكل الى ذلك قوله ـ كان الملك سيضع في ١١ فبراير حجر الأساس للمدينة الجامعية لجامعة فؤاد وكان الطبيعي أن يغتبط الطلبة بهذه المدينة وبهذا البيت الذي يأوي منهم كثيرين يتعذر عليهم أن يجدوا مأوى صالحا على مقربة من الجامعة لكن الصبح تنفس عن شائعات ترد أن طلاب الجامعة سيقاطعون الحفلة التي يحضرها الملك لوضع الأساس فلما تقدم النهار بلغني أن الأمر لن يقف عند حد المقاطعة وأن الملك قد لا يحضر الاجتماع وسمعت ظهرا محاولات اجرامية تدبر فاتصلت برئيس الديوان وسألته عن الموقف وتطوراته وعما اذا كانت الحفلة تجري وفق برنامجها الأول وهل يرى واجبا أن أذهب اليها بوصفي رئيس مجلس الشيوخ فذكر لي اني يجب أن أعد عدتي للذهاب اليها ما لم يتصل بي قبيل موعدها ولم يتصل بي وذهبت الى مكان الاجتماع فاذا الطرق كلها محروسة أشد الحراسة وجاء الملك متأخرا عن الموعد المعين ثم علمت أن البوليس ضبط في

احدى العمارات أشخاصا بتهمة أنهم كانوا يعتزمون القـــاء متفجرات على الموكب الملكى ولم يحضر الحفل من الطلبـــة الا من وثق رجال الأمن بهم .
والذى أستطيع أن أقوله ردا على الأستاذين الرافعى وهيكل أن ما حـــدث فعلا كان من النوع المأساوى الذى لا مثيل له وانه كان يبدو لنـــا أن رسل باشا وسليم زكى باشا وغيرهما من المشرفين على الأمن كانوا يريدون التخلص من النقراشى (باشا) شخصيا ولذلك فقد كانت تعليماتهم تقضى باستخدام العنف الى درجة لا مثيل لها الأمر الذى يؤدى الى احداث مذابح بشعة حتى يمكن التخلص من النقراشى أما استغلال الوفد لذلك الحادث فلا يمكن أبدا أن ينفى عن الحادث بشاعته وفظاعته ولم يكن فى الحادث أية مبالغة على الاطلاق فما وقع فيه من قسوة وعنف كان ليس بحاجة الى مبالغة لأن رواية الحقائق فى حد ذاتها أقوى دليل على أن رجال البوليس قد فقدوا فى معركة مواجهتهم للطلبة العزل كل رحمة وانسانية .

أما قول الدكتور هيكل انه لم يشترك فى الحفل الا من وثق بهم من الطلبة فاؤكد ان أولئك الذين تصورهم الملك ورئيس وزرائه ورئيس نوابه ورئيس وزرائه ورئيس شيوخه ووزرائه طلبة لم يكونوا طلبة لا من الموثوق بهم ولا من غير الموثوق . فقد كان الاتفاق كاملا شاملا بين قيادات الطلبة على مقاطعة الحفل مقاطعة كاملة وقد كانت أكبر المشاكل بالنسبة لرجال الجامعة ورجال السراى هى العثور على طالب واحد يقبل أن يجلس فى العربة الملكية الى جانب الملك من قصر عابدين الى مكان الاحتفال بالجيزة ، ويلقى كلمة طلبة الجامعة شاكرا للملك تأسيسه المدينة الجامعية ولم يعثر المسئولون فى الجامعة ولا فى السراى على طالب واحد من بين عشرات الألوف من الطلبة يقبل مثل هذا « الشرف الملكى » فاتفق فى آخر لحظة على أن يرافق الملك فى عربته الملكية من عابدين الى المدن الجامعية ويلقى كلمة الطلبة أحد موظفى الجامعة وكان يعمل فى مكتبة كلية الآداب وكانت فتوى سريعة قد صدرت بأنه مادام هذا الموظف منتسبا الى قسم الدراسات العليا بالكلية فانه يجوز له تمثيل الطلبة .

ولم يجرؤ هذا الموظف على الظهور بعد ذلك فى مبنى الجامعة حتى آخر العام خوفا من انتقام الطلبة .

لقد كانت الحركة الطلابية وقتئذ فى عنفوان قوتها .

كان الشباب يومئذ فى أعلى درجات الوطنية والتضحية .

وفى اعتقادى أن هذا اليوم وكان له ما بعده يشكل منعطفا خطيرا فى تاريخ الكفاح الوطنى المصرى لأنه حدد تماما وبوضوح الكثير من عناصر العمل الوطنى فى صفوف الشباب .

وربما كان ذلك هو السر وراء اهتمامي بهذا اليوم ومحاولة ازاحة الستار عن الظروف التي حاطت به .

أرسلت لجنة الطلبة التنفيذية العليا الى رئيس الوزراء يومئذ برقيـة تكذب فيها الادعاءات التي وردت في بلاغ حكمدارية بوليس القاهرة مؤكدة أن الطلبة لم يبدأوا على الاطلاق رمي رجال البوليس بالحجارة وان الكوبري فتح في الساعة الحادية عشرة رغم انه قد أغلق بعد موعد فتحه ثم حوصر الطلبة من الجهتين واعتدت عليهم قوات حكمدارية البوليس بوحشية وقسوة فلم يسلم أحد ولم نكن نصدق أننا في عهد النقراشي ابن الثورة ستسفك دماء الطلبة . وكان مصطفى النحاس قد عقب على حادث كوبري عبـاس بتصريح هام قال فيه « ان نفسه لتمتلىء أسى وأسفا على الحال التي وصلت اليها البلاد والتي لم يسبق لمصر أن شاهدتها في عهد من عهود الانقلابات الماضية لقد فاضت أرواح بريئة وأصيب كثير بمختلف الاصـابات حتى نقـل الى المستشفيات عدد من الجرحى والمصابين وامتلأت أقسام البوليس بالمعتقلين وحتى وصل الاعتداء الى حد من القسوة بلغ أن اضطر معه بعض المعتدى عليهم الى الالقـاء بأنفسـهم من فوق الكوبري الى النيل فرارا من قسـوة المطاردين » ويختم مصطفى النحاس تصريحه بقوله : اذا كانت حـكومة النقراشي باشا تعتقد أنها بهذا العـدوان تخمـد الشعور وتصرف الأمة عن المطالبة بحقوقها والاستمساك بأهدافهـا فقد أخطأت خطأ مبينا فان الأمم لا يثنيها الاضطهاد بل يشعل جذوتها الايذاء . رحم الله القتلى وشفى الجرحى وانزل بالمعتدين عدل السماء .

وقد قبض يومئذ على المئات من الشباب وعندما توجه الى مختلف أقسام القاهرة بعض المحامين من أعضاء لجنة الدفاع عن الحريات لحضور التحقيق مع المتهمين قبض البوليس عليهم بتهمة التحريض على الثورة وقد امرت النيابة بالقبض عليهم أربعة أيام وكان مما كتبه د. محمد منـدور في صحيفة الوفد المصري (١٠/٢/٤٦) ، لقد طفت ببنـدر الجيـزة وبمنزل مراد بك وقسم مصر القديمة فرأيت ما يحزن ويخزي على السواء .

في بنـدر الجيزة رأيت عربيتين محملتين بآثار المعركة وهي لسوء الحظ كتب وكراسات الطلبة التي غرقت وسـارع البوليس الى جمعها بعد أن تم النصر وفي صالة السجن رأيت عشرات وعشرات من الشباب طلبة وغير طلبة مبللين بدمائهم منهم من يئن ومنهم من عجز حتى عن الأنين و .. و .. ويختم د. مندور مقاله الذي حمل عنوان (همجية) : لتقبل الحكومة المصرية

اذا أرادت حلفا عسكريا مع انجلترا ولتنتظر النجدات من انجلترا ولتقبل ما تريد من التزامات وقيود فهذه الحكومة لا تربط الا نفسها وهى لا تملك أن تسلم بشىء من حقوق الوطن الذى ليس ملكا لها : الوطن ملك للأمة ، هذه الأمة التى تدافع عن وطنها مهما كلفها ذلك من تضحيات .

وكتب د. عزيز فهمى فى نفس التاريخ وفى نفس الصحيفة وتحت عنوان « الى الكفاح » كتب يقول : ليس هذا الوطن ملكا لحفنة من الوزراء يتصرفون فيه بالبيع والشراء وليس هذا الوطن وقفا محبوسا عليهم ولا ضيعة آلت اليهم بل هو وطننا وهذه الأرض أرضنا فلنزد عنها بآخر قطرة من دمائنا ولئن فتن أعوان الاحتلال فقد فتن الذين من قبلهم ولا تحسبن الذين كفروا بمعجزين فى الأرض بل سيعضون على أيديهم وليعلم الوطن الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبير ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا .

والجدير بالذكر أيضا أن وزارة النقراشى قد انفجرت من الداخل فلقد استقال وزراء الكتلة : مكرم عبيد ، طه السباعى ، السيد سليم فى ٤٦/٢/١٤ وكان خطاب استقالتهم اتهاما للوزارة التى كانوا مشتركين فيها وكان بعض ما جاء فى خطاب استقالتهم من أخطر الأمور لقد قالوا فى ذلك الخطاب « لاحظنا أن الخطة التى اعترضنا عليها من البداية ما لبثت مستمرة وقد تجلى ذلك فى عدم دعوة مجلس الوزراء والهيئة السياسية لبحث الرد البريطانى بالرغم من مطالبتنا بذلك من انقضاء حوالى ثلاثة أسابيع على وصوله ثم وقع بعد ذلك ما وقع من حوادث اليمة حاولنا أن نثير البحث فيها بالجلسة الأخيرة لمجلس الوزراء فهونتم دولتكم من شأنها والقيتم التبعة كلها على الطلبة ولما كنا لا نستطيع تحمل المسئولية عن تصرفات لم يؤخذ رأينا فيها بل أبدينا اعتراضنا عليها وحاولنا عبثا ان تحمل الحكومة على انتهاج خطة تحقن الدماء البريئة وتحفظ على البلاد أمنها وطمأنينتها » وكان رد النقراشى على وزراء الكتلة مكذبا لكل ما قاله وزراء الكتلة فالرد البريطانى نوقش طويلا فى مجلس الوزراء بمجرد وصوله قبل نشره وبعد النشر ولعلكم تذكرون دفاعكم فى مجلس الشيوخ « يوم ٥ فبراير عن موقف الحكومة منه » .

وقد رد وزراء الكتلة على النقراشى فكذبوه بدورهم فيما قاله وقالوا فى ختام الرد على الرد « لتبيان الحقيقة يحسن أن نذكركم بما حدث تفصيلا فقد قال مكرم باشا أمام مجلس الوزراء بأنك انت وهو من أبناء الثورة وان البوليس كثيرا ماقسا عليكما وعلى غيركما حتى انه شخصيا

ضرب من البوليس وأجريت له عملية جراحية وقد زاد على ذلك قوله : « ان الطلبة هم أبناؤنا وانه اذا صدرت منهم أية مخالفات فان الوالد لا يقسو على ولده الى حد القتل ـ أو الجرح البليغ ، فكيف يكون الأمر وقد سمح للطلبة متظاهرين حتى حوصروا فى وسط الكوبرى وفى أثناء هـذا الحديث جاءكم تليفون من المنصورة بأن الشباب هاجموا وخربوا البنـك الأهلى ومحل بيل وان البوليس أطلق عليهم الرصاص فقال مكرم باشا : ان هذا ما توقعنا وما كان يجب أن نتوقعه لقسوة البوليس وان الواجب تداول الأمر ولم يكن هذا التداول بطبيعة الحال معناه الامعان فى التنكيل بهم » .

واستقالت وزارة محمود فهمى النقراشى وجيء بوزارة اسماعيل صدقى باشا فى ١٧ فبراير ولم يشترك فيها الوزراء السعديون وأن كانوا قد عادوا الى الاشتراك فى الوزارة فى أواخر يونيو ـ أى بعد ما يقرب من أربعة أشهر فقط وقد أطلق اسماعيل صدقى المظاهرات وكاد أن يكسب بهذا العمـل جانبـا من الرأى العام .

ويلتقى الشعب كله فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ فى مظاهرة من أروع المظاهرات التى شهدتها القاهرة وعندما بلغت ميدان التحرير (الاسماعيلية) تصدت لها أربع سيارات بريطانية واقتحمت الجماهير وانهمر الرصاص الاستعمارى على صدور الشباب وقامت معركة عنيفة بين القوات البريطانية وبين المتظاهرين وسقط أحمد سيد أحمد سالم وحسن حامد حسن ومحمد فهمى ومحمد أبو النصر وآخرون ولأول مرة يجد المتظاهرون كما سـبق أن ذكرنا عونا من ضباط وجنود الجيش المصرى الذين التحموا بالجماهير وأبدوا شعورا رائعا قل أن يكون له مثيل من قبل وامتدت المظاهرات الى كثير من أرجاء البـلاد وقررت اللجنة التنفيذية للطلبة اعلان الحداد العام والمطالبة باصدار ميثاق وطنى يوقع عليه جميع الزعماء يلزمهم عدم قبول الحكم الا على أساس تصريح بريطانى يعترف بالجلاء التام عن وادى النيل كأساس للمفاوضـة وسـحب الموظفين الانجليز من البوليس المصرى واستنكار بيان رئيس الحكومة للتفرقة بين طبقـات الشعب ووصف المواطنين الأحرار بالدهماء . وكان اسـماعيل صدقى رئيس الوزراء قد وصف مظاهرات ٢١ فبراير « بأن الدهماء قـد حولوها الى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر » . اللجنة الوطنية للطلبة والعمال قد قررت مطالبة الحكومة بالعمل على تنفيذ الجلاء فورا عن المدن والقـرى واصدار تصريح واضح بأن يكون أساس المفاوضة هو تحديد يوم الجلاء العام عن وادى النيل وقد استنكرت اللجنـة الحظر الذى فرضـته الحكومة على الصحافة بعدم نشر أنباء الحركة الوطنية وقد جاء فى ميثاق اللجنة الوطنية :

« ولما كان الجلاء مطلبا أساسيا اذ بدونه لا تتحقق سيادة الأمم ولا يتصور أن توجد أمة حرة وهى ترزح باحتلال الجنود الاجانب ولما كان الجلاء مطلبا لا يحتمل المساومة ولا التجزئة بل لابد أن يكون جلاء تاما ـ لذا فاللجنة الوطنية تطلب من المسئولين المصريين أن يعلنوا انهم لن يقبلوا الحكم او المفاوضة الا على أساس تصريح من بريطانيا بالموافقة على الجلاء عن وادى النيل فاذا رفضت هذا المطلب العادل فيجب عرض القضية المصرية على مجلس الأمن الدولى فورا كما تطلب من الحكومة اعلان هذا المطلب رسميا لدى الانجليز من الآن » .

وكان يوم ٤ مارس ١٩٤٦ يوم الشهداء أو يوم الحداد الوطنى وقد مر بهدوء فى كل انحاء البلاد غير أنه فى الاسكندرية تحول الى كارثة وطنية حيث وقع صدام بين البوليس وبين المتظاهرين الذين حاولوا انزال العلم البريطانى من فوق مبنى مخصص لرجال البحرية البريطانية فاطلق البوليس عليهم أعيرة نارية وكذلك عندما حاول الشباب الوطنى انتزاع لافتة خشبية موضوعة على كشك البوليس الحربى اطلق الجنود البريطانيون النار على المتظاهرين فسقط شهداء كثيرون وكان جملة شهداء ذلك اليوم فى الاسكندرية ٢٨ قتيلا والجرحى ٣٤٢ ولم يقتل من الجنود البريطانيون أكثر من اثنين ولم يجرح أكثر من أربعة وكان معظم القتلى قد سقطوا فى شارع افيروف الذى اطلق عليه اسم شارع الشهداء .

والجدير بالذكر أن بعض الهيئات الدينية قد وقفت من اسماعيل صدقى أو وقفت بعض قياداتها موقف التأييد المطلق لاسماعيل صدقى لدرجة أن بعض خطبائهم كان يردد فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة قول الله تعالى « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » مشيرا الى اسماعيل صدقى .

ويسقط اسماعيل فى ٨ ديسمبر ١٩٤٦ وكان له أن يبقى فى الحكم ويجىء النقراشى مرة أخرى فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ ويعرض القضية المصرية على مجلس الأمن فى اغسطس ١٩٤٧ ولا يكون العرض موفقا بأية حال ولا تستطيع الوزارة أن تستغل الظروف الدولية لانجاح عرض القضية كما أن الوزارة لم تنجح فى تكتيل الشعب وهى تعرض قضية البلاد واذا كانت الوزارة ملومة لتقصيرها فى مثل هذه الأمور فان الاحزاب التى عارضتها وهى تعرض قضية البلاد أمام مجلس الأمن ملومة هى الأخرى لقد لعبت الحزازات الشخصية والحزبية دورا هاما وخطيرا فى افشال عرض القضية أمام مجلس الامن وكانت برقية رئيس الوفد الى مجلس الأمن والى

السكرتير العام للأمم المتحدة قبل نظر القضية تلك التى اكد فيها ان الحكومة المصرية ألتى رفعت دعوى مصر امام مجلس الأمن لا تمثل على أى حال وجه شعب وادى النيل الذى تؤيد اغلبيته الساحقة الوفد المصرى وانها على اكثر تقدير تمثل الاشخاص الذين تتألف هى منهم وانها تدعى لنفسها حق التصرف فى سياسة مصر الدولية رغم انفها ووفقا لما تمليه مصالح سياسة رجعية واقطاعية رفضها الشعب المحكوم حكما دكتاتوريا ، وان شكوى تلك **الحكومة الى مجلس الأمن لا يمكن ان تكون لها قيمة الوثيقة القومية المعبرة** عن مطالب الشعب » ـ أقول أن تلك البرقية كانت بمثابة طعنة موجهة الى قلب مصر وليس الى قلب رئيس وزرائها وانها كانت دليلا على مدى الاخطاء التى تلحق بالبلاد من جراء الأعمال ذات الأهداف الحزبية غير الوطنية .

على أية حال فان الاحزاب قد راحت تطحن نفسها بنفسها كما راحت فى الوقت ذاته تخوض فيما بينهـا حربا داخلية عنيفة أثرت على جماهير الشعب ، وقد قام الشباب بمحاولات مضنية من أجـل أن تأتلف الأحزاب وتتحـد الصفوف ولم تنجح محاولاته ـ بكل أسـف ـ وكان كرسى الحكم هو العقبة الكأداء التى كانت تقف دائما وابدا ، أمام وحدة الصف : فالذين يسيطرون على الحكم يبدون استعدادهم للاتفاق على كل شيء فيما عدا ان يتركوا الحكم ، والذين هم خارج الحكم على استعداد للاتفاق على كل شيء فيما اشراك غيرهم فى الحكم .

وقد أثر ذلك فى تحركات الشباب ـ كما سبق ان ذكرنا ـ حيث ازداد اتجاه الشباب الى العمل السرى ، باعتباره اسرع الوسائل لتحقيق اهداف البلاد فانتشرت خلايا العمل السرى فى كثير من صفوت الشباب وكان هدف معظم هذه الخلايا الانتقام من الاحتلال البريطانى ومن كل من يتعاون معهم وعندما كانت هذه الخلايا تكتشف وتقدم الى المحاكمـة ، كان الـرأى العام يرى فى هؤلاء الشباب خير الجنود المعبرين عن أهدافه الوطنية وكان الشعب كله ينظر اليهم نظرة تقدير ، واعجاب ، بل ان المحامين الذين كانوا يتطوعون فى أغلب الأحيان للدفاع عن هؤلاء الشباب وهم فى قفص الاتهام كانوا يشيدون فى مرافعاتهم بما يقـوم به هؤلاء المحامين بل كانوا يحسـدون المتهمين الذين يدافعون عنهم لأنهم حققوا ما لم يستطيعوا هم تحقيقه .

كان الرأى العام كله يقف الى جانب كل عمل وطنى ، يؤيده ويسـانده ، ويشد من أزر صاحبه .

ولم تنجح محاولات الاستعمار ، ورجال البوليس المصرى الذين كانوا وقتئذ ينفذون تعليمات رسل باشا ــ الاستعمارى الداهية ــ فى القضاء على تلك الحركة الوطنية التى امتدت جذورها فى كل أماكن تجمعات الشباب .

والذى أريد أن أقوله فى تلك النقطة من منطلق الامانة التاريخية ان هؤلاء الشباب كانوا يجدون تعاطفا من جميع طبقات الشعب ومن جميع فئاته على الاطلاق : كانوا يمدونهم بالمال والاسلحة ، وكانوا فى الغالب يتسترون عليهم ويخفون كل ما يعرفونه عن نشاطاتهم ، بالرغم من المكافآت المغرية . التى كانت تعلن عنها الحكومة للقبض على من يتهم منهم فى بعض الحوادث . وللأمانة التاريخية أيضا نقول ان بعض الوزراء ، حتى فى أثناء توليهم الوزارة ، وبعض الوزراء ، السابقين وبعض الشخصيات التى لم تكن غارقة فى حزبيتها كانت لا تتردد أبدا فى تقديم المساعدة لأى عمل وطنى . بل كان البعض منهم يجازف بمنصبه ومركزه الحزبى عندما كان يعمل مثلا على تهريب بعض المتهمين الى خارج البلاد ، أو عندما كان يقدم عونا ماليا ضخما لبعض الشباب وهو يعرف انه يباشر نشاطا وطنيا سريا يؤذى الاحتلال ويضايق الملك ويحرج الحكومة .

ولو اننا أزحنا الستار عن تلك الشخصيات التى كانت تجازف بكل شىء فى سبيل دعمها للعمل الفدائى الحقيقى لرأى الناس نماذج مشرفة لشخصيات مصرية لم يعرف أحد عنها هذا الجانب الهام والخطير من دعم للعمل الفدائى ومن حرص على الأسرار الخاصة به ولعله قد آن الأوان للافصاح بالتفصيل عن تلك الأسرار الوطنية التى تؤكد ــ وان كان الأمر لا يحتاج الى تأكيد ــ ان الوطنية المصرية هى من الأمور التى يتميز بها المصريون مهما اختلفت فئاتهم وطبقاتهم وليس معنى ذلك ابدا أن صفوفنا الوطنية لم تخل من الانتهازيين والوصوليين والذين يبيعون اخوتهم ، وأبنائهم وآبائهم من أجل الحصول على مغنم مادى رخيص . غير ان كل ما فى الأمر . أن أولئك الانتهازيين الوصوليين هم قلة نادرة لا يمكن أن تقاس الى جانب القاعدة العريضة من ملايين شعبنا المؤمن الصادق ، الأصيل .

من القضايا التى أثرت فى شبابنا قضية الاسكندرية التى اتهم فيها عدد كبير من الشبان لأنهم اعتدوا على قوات الحليفة فى الانفوشي والشلالات والنادى البريطانى . وكان لهذه الاعتداءات اثرها على سير المفاوضات حتى أن لورد ستانجيت رئيس وفد المفاوضات البريطانى رفض الذهاب الى حفلة سباق حزنا على اصابة بعض الجنود البريطانيين فى أحد هذه الحوادث فى يوليو ١٩٤٦ .

وقد قدمت النيابة المتهمين فى تلك الحوادث ووصفتهم بأنهم فئة ضالة شبان لم يكتمل نموهم الثقافى والعقلى بعد .

« لا يزال معظمهم فى مرحلة التعليم الثانوى ، هؤلاء قد ضلوا السبل ووسوس اليهم شيطانهم ان فى مقدورهم حل القضية المصرية بوسائلهم الخاصة اى عن طريق الجريمة ، فكونوا عصاباتهم وراحوا يعتدون على الانجليز مجتمعين : اما فى سياراتهم أو أماكن لهوهم مستخدمين فى ذلك أشد الأسلحة فتكا من قنابل ومسدسات وبنادق وظلوا يرتكبون جرائمهم الواحدة بعد الأخرى .

وقد بلغت حوادثهم فى أسبوع واحد أربعة أصيب فيها ١٢٨ شخصا كانت اصابة بعضهم خطيرة ، حدث كل هذا فى وقت كان فيه زعماء البلاد وذو الراى فيها يعالجون القضية المصرية بالصبر والحكمة والاناة عن طريق المفاوضات ، وهو طريق طالما سلكته مصر باعتباره احدى الطرق المشروعة التى عاهدت نفسها من فجر الحركة الوطنيـة على اتباعها فعرقل المتهمون بعملهم هذا جهودهم وكادوا يفسدون الجو الذى كان ينبغى أن يسود البلاد فى ذلك الوقت .

وأعطوا الخصم سلاحا ليشهره ضد الوطن وكان الاولى بهم أن يتريثوا ويترقبوا نتيجة سعيهم بشأن ما اجتمعت عليه الأمة وقتئذ تاركين لهؤلاء الزعماء معالجة الأمر بما اوتوا من مقدرة وخبرة وكياسة وبعد نظر بل كان الاجدى بهم بدل التمادى فى الاجرام أن يكتفوا بواجبهم الأول بالانصراف الى الدرس والتحصيل والتسلح بالعلم وذلك حتى يجىء دورهم فى خدمة الوطن ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل فعلوا ما زينته لهم اهواؤهم وسلكوا الطريق الاهوج ولو فكروا وتبصروا قليلا ، واستمعوا لنداء العقلاء لادركوا ان ما اقدموا عليه لا خير فيه للبلاد وان السهام التى وجهوها انما هى فى نفس الوقت قد صوبت الى نحرها . ولا سيما وقد دلت عبر الماضى على أن أعمال العنف المماثلة التى ارتكبت فيما مضى والتى لا تزال ذكراها عالقة بالأذهان قد أضرت بمصر ضررا بليغا ، واصابت قضيتها بنكسة فى الصميم لا تزال تعانى بعض أثارها للآن . فليتحمل المتهمون وزر أعمالهم وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » .

ومما قاله فتحى رضوان احد محامى الدفاع فى هذه القضية : ان موقف بريطانيا ومصر فى حالة خصومة لا يجوز معها أن نعتبر هؤلاء المتهمين على فرض صحة ما نسب اليهم جناة يطبق عليهم القانون العادى وانما يجب

ان يظفروا بتكريم الجندى أن يعاملوا من المحكمة على وضع يرفع عنا عار محاكمة الذين يدافعون عن وطنهم .

وقال ابراهيم طلعت أحد محامى الدفاع مخاطبا هيئة المحكمة : ان ضمائركم الشريفة التى ستختلى لتقرير مصير هؤلاء الشبان يجب أن يداخلها الشك فى أقوال المرشد محسن كامل – وكان هذا المرشد الشاهد قد شهد ضد أخيه – الذى أتى اليكم بالأمس مصرا على اعترافاته السابقة وأكثر منها ويؤكدها والذى داس كل عوامل الانسانية فى اعترافه للبوليس والنيابة والمحكمة ..

ومما قاله الأستاذ مصطفى الشوربجى محامى الدفاع أيضا :

انه يؤلمنى وقد درجت على احترام رجال العدالة سواء من القضاء أو النيابة ان اسمع فى هذه القضية والقضايا المماثلة ان المتهمين يقولون عندما يقفون أمام حضراتكم اننا لم نقر بالحقيقة وانما احرجنا أو خوفنا أو اهنا :

يؤلمنى ان يقال هذا القول فى قضية تهم الرأى العام بل وبعض الدول الأخرى وهذا يتعدى دائرة البلاد الى دوائر البلاد الأخرى فى وقت نحن فيه بحاجة الى ثقة الناس بنا والى سمعة طيبة للقضاء المصرى فمن العجب أن فى هذه القضية ١١ متهما نسب الى ٩ منهم اعترافات يقررون أمامكم انهم اكرهوا عليها .

وفى قضية امين عثمان باشا نسب الى ٢٣ متهما اعترافات يقررون الآن انها اخذت منهم كرها .

وقال مصطفى الشوربجى وهو يلوم النيابة لأنها وصفت المتهمين بالطيش « ان عبر التاريخ الماضى تدل على انه ليس هناك استقلالا أخذ بالمفاوضات وانه لا خير فى علم ولا تعلم اذا منع الشباب من أن يشتغل بشئون الوطن . واذا اردتم أن تقارنوا فقارنوا بين حوادث الجنود الانجليز فى مصر وغيرها واخذهم بل حصدهم الناس بالمدافع الرشاشة وهذه الحوادث التى القيت فيها قنابل لا أثر لها الا التهديد .

اننا ندع ابناءنا وفلذات اكبادنا هؤلاء الصغار الضعاف بين ايديكم وان ضمائركم الشريفة لن ترضى بالقسوة عليهم .

ومما قاله الأستاذ أمين مرعى : ان هذه القضية تمتاز بظاهرة من أسوأ الظواهر اذ ان الاتهام فيها يقوم على ساقين من الانحلال الخلقى ، والقضاء على المثل العليا .

الساق الاولى يمثلها محسن عبد القادر والثانية تمثلها اجراءات البوليس الملتوية التى شكا منها المصريون فى كل قضية لها طابع سياسى أو وطنى .

وذكر أمين مرعى أن احد المتهمين أرسل له خطابا قبل المعارضة الاولى يروى فيه بعض ما استخدم معه من وسائل التهذيب كالحرمان من الماء حتى انه كان يشرب ماء ممزوجا ببول الخيل ويحرم من الطعام .

واختتم الاستاذ مرعى مرافعته بقوله :

الانجليز أخرجونا من ديارنا من السودان .

الانجليز نكثوا بالعهود والمواثيق وبالمعاهدات ، اماتوا الشعب ، اشاعوا الفتنة أفسدوا التعليم .

وتسأل المحكمة المحامى : هل المجنى عليهم بالذات هم الذين ارتكبوا كل هـذا ؟ .

ويرد على تساؤله قائلا : ان مجرد وجود القوات الأجنبية فى أرضنا هو الاعتداء بعينه ، نحن فى وضع معتدى علينا وعلى كرامتنا .

وتصدر محكمة جنايات الاسكندرية برياسة أحمد الخازندار وعضوية عبد العزيز كامل وأحمد فؤاد – فى ١٠/٦/١٩٤٧ حكمها فى تلك القضية بمعاقبة عبد القادر عامر وعبد الرحمن مرسى عبد الرحمن بالسجن عشر سنوات ، ويقابل المتهمون الحكم الصادر ضدهم بالهتاف الحار لمصر ، ويدفع رئيس المحكمة الأستاذ أحمد الخازندار حياته ثمنا لذلك الحكم اذ يغتاله البعض ، وتكون تلك القضية أول قضية سياسية تثير اهتمام الشعب بعد قضية مقتل أحمد ماهر وقبل قضية مقتل أمين عثمان تلك التى حظيت من اهتمام الجماهير – والمسئولين أيضا – بما لم تحظ به أية قضية سياسية أخرى .

أخطــر القضايــا

لا أعتقد أبدا أن قضية سياسية شغلت الرأى العام كما شغلته قضية مصرع أمين عثمان (باشا) أو قضية الاغتيالات السياسية كما أطلقوا عليها وقتئذ ، لأن القضية وان بدأت بحادث اطلاق الرصاص على أمين عثمان باشا الا أن التحقيق قد اتسع ليشمل العديد من حوادث الاغتيالات التى قام بها أو شرع فى القيام بها مجموعة من شباب مصر ، الذين حملوا أرواحهم على أكفهم وانطلقوا فى كافة الميادين يعملون من أجل تحرير مصر ، واستقلالها .

وقد كان الرأى العام يتابع تلك القضية تحقيقا ومحاكمة باهتمام بالغ تجلى فى اقبال الجماهير على الصحف التى كانت تنشر انباء التحقيق وملخص المرافعات كما تجلى فى العطف الذى أسبغته الجماهير ، على المتهمين فى تلك القضية اذ كانت النظرة الى هؤلاء المتهمين تختلف عن أية نظرة أخــرى تجاه أية مجموعة من المتهمين فى أية قضية سياسية أخرى . ولست أبالغ اذا ماقلت أن الشعب بجميع طوائفه وهيئاته وأحزابه ــ فيما عدا قلة ضئيلة ــ كان يعتبر أولئك المتهمين أبطالا ، لا تجب عقوبتهم وانما يجب تكريمهم ، ذلك لأن أمين عثمان (باشا) كان مكروها الى ابعد حدود الكراهية من جماهير الشعب التى كانت لا تراه مصريا ، بقدر ما كانت تراه انجليزيا فى سياسته وأهدافه واتجاهاته .

فأمين عثمان يعتبر من خــريجى مدرســـة الســـياسة الاستعمارية البريطانية : لقد درس القانون فى أكسفورد ، وتعرف وهو طالب بالليــدى كاثلين جريجورى ثم تزوجها وبعد تخرجه وحصوله على أعلى درجة فى القانون عام ١٩٢٣ : أنشأ أمين باشا رابطة النهضة التى كانت ــ بلا جدال ــ بؤرة استعمارية ، وكانت سياسة أمين باشا منذ ان بدأ يعمل فى الســياسة ، سياسة التشيع الدائم للانجليز وعندما استفحل نشاطه الاستعمارى رأى بعض الوطنيين التخلص منه ففى الســاعة السادسة والنصف من مســاء

الخامس من شهر يناير ١٩٤٦ ، وقفت سيارة أجرة امام العمارة رقم ١٤ بشارع عدلي بالقاهرة ونزل منها امين عثمان ودخل العمارة فى طريقه الى نادى الرابطة التى كان يرأسها وما كاد يصعد الدرج حتى انهالت عليه طلقات نارية جعلته يتضرج فى دمه ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة فى مستشفى مورو فى اليوم التالى ، ولم يكن قد شاهد الحادث وتعرف على الجانى ، الا **المهندس عبد العزيز الشافعى** الذى ساعد البوليس السياسى فى القبض على **حسين توفيق وشقيقه سعيد** وكان المحققون قد عثروا على ورقة يانصيب فى جيب رداء حسين توفيق وقد كتب على ظهرها ، الكلمة التالية :

« أريد أن أراك لانى سأذهب الى مهمة خطيرة » وكتب تحتهـا باللغة الانجليزية عبارة ترجمتها « خلف الخطوط الأمامية » كما عثر فى جيبه عن مفكرة كتب فى الورقة المخصصة ليوم ٥ يناير ما يلى :

« ٥ يناير م٠م٠م٠ع وفى ورقة يوم ٦ يناير الساعة ٤ ريو فى الجيزة » ورغم ذلك فقد أصر حسين توفيق وشقيقه سعيد على الانكار طوال المرحلة الأولى من التحقيق . وفى أثناء التحقيق تلقى **الأستاذ يحيى مسعود بك** الأفوكاتو العمومى خطابا موقعا بامضاء ص.أ وفيما يلى بعض ما ورد فى ذلك الخطاب كما هو بلغته الركيكة ! !

- ليست الجريمة عابرة بل مدبرة ، تبعا لخطة مرسومة فيما يبدو ، ولها ماض تاريخى ويصعب معرفة الحقيقة بدون الالمام به .
- كان حزب مصر الفتاة نشطا قبل الحرب ، وكان لفرق القمصان الخضراء مهمة الاعتداء والقمع كما كان لمثيلاتها فى المانيا وغيرها .
- كان الحزب يمرن أعضاء مختارين على استعمال المسدسات وغيرها فى الصحراء .
- كان يشرف على التمرين شخص اسمه مرزوق لا اعرف بقية اسمه لكنه هو الذى آوى **عزيز المصرى باشا** بعد محـاولة طـيرانه : انه المدرس والمشرف .
- كان الحزب يمجد على ماهر (باشا) وعزيز المصرى (باشا) .
- انقسم الحزب بعد الحرب تقريبا الى قسمين احدهما لأحمد حسين والآخر لفتحى رضوان .
- يضم قسم **فتحى رضوان** ، عصبة تلوذ بعزيز المصرى ومرزوق وسـائر الجماعة ، هذه القضية ترى ان سبب نكبة البلد زعماء الأحزاب .

تفكيرهم ، فردى ارهابى بحت ولذلك قررت اغتيال الزعماء ، وأعلم أن قنبلة النحاس كانت منهم هم الثلاثة ، ثم اشتبه فيها وسبب نجاة النحاس باشا هو أن سيارته مرت قبل الترام ولم تقف كما توقع الجناة ، ولذلك أسرعوا بالقاء القنبلة والقصد أن تصيب الزجاج من الخلف ولكن الله سلم .

- وفى القائمة اغتيال النحاس « تعاد الكرة عليه » **وأمين عثمان وعطا الله باشا** رئيس الجيش وبقية ضباط كثيرين وغيرهم ممن لا أستطيع معرفتهم ولكن الثلاثة السابقين على التوالى وبهذا الترتيب وربما شملت السفير البريطانى .
- البعض هدد العضو ، المعهود له بالتنفيذ بالقتل ، أو بقتل العضو اذا لم تنفذ المهمة أو اذا أفشى السر .
- الجريمة سياسة فالتحقيق يجب أن يتناول المبادىء وهى ارجاع حالة الفساد للزعماء .
- مما يقال فى بيئة الاجرام هذه ، أن فتحى رضوان بعيـــد عن حادث أمين عثمان .
- حادث المغفور له أحمد ماهر لا أعلم اذا كان « مرتبط » بهذه الحوادث من عدمه وكذلك حادث اغتيال أفراد الحلفاء من الجنود .

ومن الملاحظات التى جاءت فى تلك الرسالة المجهولة : ان للعصابة (شىء) فى المعادى أو حلوان . القنابل من الجيش المصرى ، عزيز المصرى أو أتباعه هم موردوها .

وقد ختم صاحب الرسالة رسالته بقوله : « لا أستطيع أن أذكر اسمى ، لعدم الاطمئنان من ناحية ولأن هذا يحول بينى وبين مواصلة تحرياتى ومتابعة أخبار الجناة من ناحية أخرى ، وسأوافيكم بكل ما أحصل عليه » .

وقد نشر الاستاذ كامل القاويش فى الأهرام اعلانا هذا نصه « الى ص.أ » خطابك وصل اتصل بتليفون ٧٤٢٧٣ من الساعة الخامسة الى السابعة مساء ولم يتصل أحد ، وظل صاحب الرسالة مجهولا حتى اليوم .

وقد اتهم فى هذه القضية حسين توفيق أحمد ، وقد اتهم بقتل أمين عثمان والشروع فى قتل مصطفى النحاس ، والشروع فى قتل الاومباشى البريطانى ميللر ، وكذلك الشروع فى قتل الاومباش يونج ، واشعال النار عمدا فى مدرسة القنصلية البريطانية بالمعادى و . و . و .

وكذلك **محمود يحيى مراد** وكان والده قد اتهم فى قضية مقتل بطرس غالى (باشا) وقرر قاضى الاحالة يومئذ الاستاذ متولى غنيم الا وجه لاقامة الدعوى بالنسبة اليه ، وقد اتهم بما اتهم به حسين توفيق ، وكذلك كان من المتهمين : محمد أحمد الجوهرى ، عمر حسين أبو على ، السيد عبد العزيز خميس ومحجوب على محجوب ، وكان أنور السادات من بين المتهمين وقد جاء فى صحيفة الاتهام عنه ما يلى :

عمره ٢٧ سنة كان فى مدرسة الجامعة الابتدائية بالزيتون ، ثم فؤاد الأول الثانوية ثم الكلية الحربية ، تخرج والتحق بالجيش ثم فصل من عمله فى ١٩٤٢ ثم اعتقل فى معتقل الزيتون وتمكن من الهرب وقد اتهمته النيابة بالاشتراك فى قتل النحاس (باشا) والاتفاق الجنائى على قتل أمين عثمان (باشا) والجنود البريطانيين .

وكان من المتهمين أيضا فى القضية محمد ابراهيم كامل ، محمد محمود ، نجيب حسن فخرى ، مدحت حسين فخرى ، سعيد توفيق أحمد ، مجدى عبد العزيز أبو سعدة ، أحمد وسيم خالد ، مصطفى كمال حبيشة ، محمد عبد الفتاح الشافعى ، عباس مرشدى ، على عزيز دياب ، أحمد خيرى عباس ، أحمد محمد خليل الحلوانى ، كامل محمد ابراهيم الواحى ، عبد الهادى مسعود — جول أسود نعيم ، أنور فائق جرجس .

وتعتبر جلسة أول ديسمبر ١٩٤٧ هى البداية الحقيقية للمحاكمة أى بعد عام تقريبا من مصرع أمين عثمان . وفى جلسة أول ديسمبر ١٩٤٧ صرح رئيس الجلسة بما يلى :

قبل نظر الدعوى أحب أن الفت النظر الى انه سبق أن أعلنت المحكمة اعتراضها ، واستنكارها لتناول الصحف موضوع القضايا المطروحة بما قد يحمل على محاولة التأثير على القضاء ، ومع أن المحكمة لا ينالها أى مؤثر ولا تصغى بأذنها الا الى ما يثار فى الجلسة وعلى لسان الدفاع والمتهمين ، فانها تنوه عن ذلك وتحيط رجال الصحافة ، علما بذلك وان القانون نفسه يحظره وتوجه المحكمة نظر النيابة أن تتخذ اللازم كيلا يتكرر ذلك والى أن من يخالف ذلك يعرض نفسه للقانون طبقا للمادة — ١٨٧ عقوبات .

والجدير بالذكر أنه فى خلال المحاكمة قال أنور السادات : أن كل ما ورد فى التحقيقات باطل ومن تلفيق البوليس وأما عن النيابة فلا أدرى ان كانت على علم بهذا التلفيق أم لا .

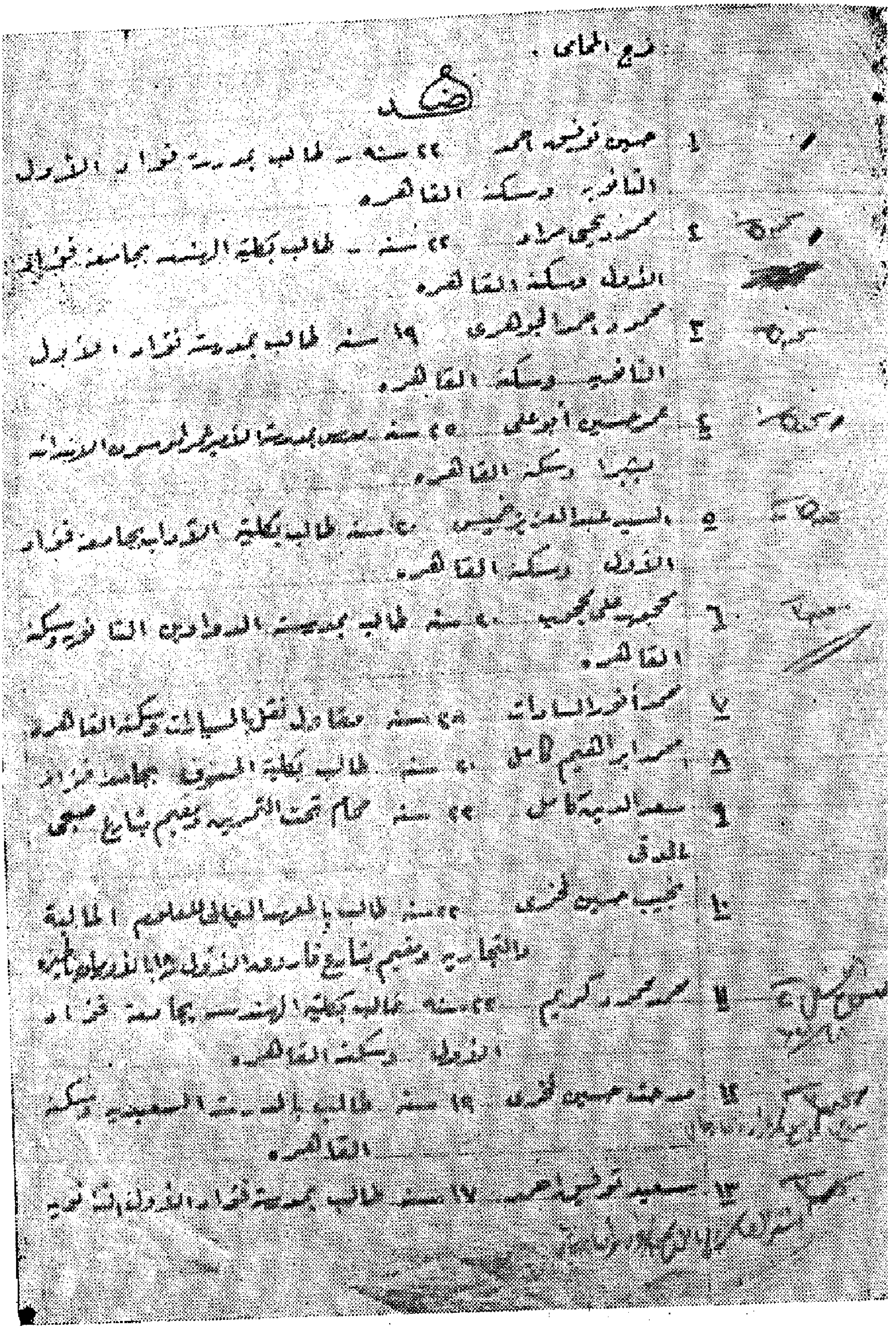
فرع المحامى .

ضد

1 حسين توفيق أحمد 22 سنة طالب بمدرسة فؤاد الأول الثانوية ويسكن القاهرة

2 محمد يحيى مراد 22 سنة طالب بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول ويسكن القاهرة

3 محمد إبراهيم الجوهرى 19 سنة طالب بمدرسة فؤاد الأول الثانوية ويسكن القاهرة

4 [illegible] حسين أبو على 25 سنة [illegible] ويسكن القاهرة

5 السيد عبد العزيز خميس 20 سنة طالب بكلية التجارة بجامعة فؤاد الأول ويسكن القاهرة

6 محمود [illegible] 20 سنة طالب بمدرسة السعيدية الثانوية ويسكن القاهرة

7 محمد أنور السادات 29 سنة ضابط [illegible] ويسكن القاهرة

8 عبد [illegible] 20 سنة طالب بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

9 [illegible] 22 سنة [illegible] صبحى [illegible]

10 [illegible] 22 سنة طالب [illegible]

11 محمد [illegible] كريم 22 سنة طالب بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول ويسكن القاهرة

12 [illegible] 19 سنة طالب [illegible] ويسكن القاهرة

13 سعيد توفيق أحمد 17 سنة طالب بمدرسة فؤاد الأول الثانوية [illegible]

من ملف قضية الاغتيالات السياسية ، الصفحة الأولى من الكشف الخاص بأسماء المتهمين فى القضية ومن بينهم محمد أنور السادات (رقم ٧)

وقد كان الشاهد الأول فى تلك القضية كما سبق أن ذكرنا المهندس عبد العزيز الشافعى ، وكان من بين ما قاله الشاهد : أن رابطة النهضة تضم كثيرين من أعضاء الأحزاب المصرية وعلق أحد المتهمين قائلا : وانجليز ، وأمن الشاهد على كلامه ولما اثار الدفاع هذه النقطة قال الشاهد أنه انما كان يجارى المتهم فى تهكمه عندما قال ان الرابطة تضم أعضاء انجليز !!!

وكان من بين ما قاله الشاهد : ان أنور السادات كلفه ذات مرة باصلاح سيارة له فى أثناء اعتقاله حيث حضر اليه فى جراجه ، برفقة حارس وطلب اليه اصلاح سيارات نقل يملكها .

وكانت جلسة ٢ ديسمبر مظاهرة قومية لتأييد الحق الفلسطينى وشجب العدوان الاسرائيلى : فى بداية الجلسة وقف المحامى الموسوى المصرى زكى عريبى فقال : للمحاماة اليوم كلمة يجب أن نقولها قبل البدء فى نظر القضية لقد شرفنى زملائى ووكلوا الى أن ألقى كلمة عن فلسطين : تشغل الرأى العام الآن يا حضرات المستشارين مسألة تخص العدالة فى الصميم فلا عجب ان يأتى ذكرها فى مجلس العدل ، فالرجل العادل عادل فى قوله ، وعادل فى فعله وعادل فى سياسته ، وفلسطين التى قضى فيها قضاء مجحف متحيز ظالم بخلاف ما يقضى به العدل ، والانصاف لها . كلمة نقولها فى مجلس العدل ، وليس عجيبا أن أكون أنا البادىء بهذه الكلمة : وفى اعتقادى أن اليهود فى فلسطين وفى خارج فلسطين هم أول من أحس بالسهم فى الصميم فلأول مرة، تقوم دولة على أساس من الدين وحده ويجب أن يزول مثل هذا الشذوذ ، وعما قريب ستبرز مسألة لها أهمية خاصة لا تزول الا بزوال هذا الشذوذ وهذه المشكلة أن فى فلسطين أقل من نصف مليون من اليهود وهو عشر معشار اليهود خارجها فهل يكون اليهود خارج فلسطين ، منتمين لهذه الدولة اليهودية أم يكونون تابعين للدول التى أقاموا فيها وأقام فيها آباؤهم واجدادهم من قبل ولا خلاف فى أن كل يهودى مهما كان مقامه هو فرد من أفراد الأمة التى ينعم فيها ، له ما لهم عليه ، وعلى هذا تستقيم الأمور .

لقد بلغت الأمور خطرا عظيما وأصبحنا فى يوم لا يعلم غيره وان اليهود المصريين لهم كلمة ممثلة فى شخصى فى ساحة العدل وهى انهم مع هذه الأمة المصرية بل مع العروبة جميعا صفا واحدا ، ولست أدرى فرقا بين اليهودى المصرى والقبطى المصرى والمسلم المصرى كلهم فى هذا الوطن سواء وكلهم يشعر بشعور واحد ويتحرك حركة واحدة .

فاذا كانت هذه الحركة تتطلب جهادا ، فاليهودى المصرى أول المجاهدين لا وطن لليهودى الا مصر وهـذا عهد مبـذول لا يمكن أن يتحول عنه الا كل خائن » .

وأعقبه الأستاذ وهيب دوس قائلا : ان ما قاله الأستاذ عريبى ليغتبط به كل من فى هذا المكان ولا أكون مغاليا اذا طلبت منكم أن تؤيدوا هذه الفكرة فأرجو أن تعطلوا العمل فى هذه القضية يوما أو بعض يوم ولعل من الحكمة أن يصادف وقوع هذا الحادث حادث فلسطين ــ فى هذا الوقت ليكون أمامكم فعلا مجسما للعدالة .. العدالة التى وعدت العرب بامبراطورية والتى وعدت الهند فى الحرب بالتحرير ، والعدالة التى وعدت المصريين بمختلف الوعود بالحرية . هذه العدالة تزول بزوال الحرب .

وهى التى وقفت بنا وبهؤلاء الشبان المتهمين فى القضية الى دفع ثمن الواجب أن يكون لكم ولنا نصيب فيه ونرجو أن يكون فى تصرف المحكمة ما يؤيد هذا الشعور ، سواء أكان بتعطيل الدعوى يوما كاملا ، أم بعض يوم .

وعقب على ذلك الأستاذ محمد لطفى جمعة قائلا : « باسم المسلمين أؤيد كل ما قاله زميلى عريبى وتوفيق دوس : أننا فى هذه اللحظة يجب أن نظهر بمظهر الاتحاد والتضامن فى محنة فلسطين : ان لكلام الأسـتاذين عريبى وتوفيق دوس أجمل المعنى وأوقع الأثر فى النفس فالدين لله والوطن للجميع » .

وكان فى كلمة النيابة ما يثير الشك اذ قال كامل القاويش اننا نشـارك الدفاع هذا الشعور النبيل نحو مسألة فلسطين لا على أنها مسألة سياسية فنحن نؤمن بأن هيئة المحكمة وكذلك حضرات المحامين يؤمنون كل الايمان بأن السياسة لا يمكن أن تدخل من باب هذا المحراب ، بل على أنها قضية عادلة لم تصادف عدلا من قضاتها وما ننتظر عدلا من قضـاتها وهم سياسـيون فالسياسة لا قلب لها ولا دين والعدالة كالجبال الرواسى لا تتزعزع فى أى زمن ولا فى أى حين » . ولعل الأستاذ كامل القاويش ، ممثل النيابة قد حرص على أن يؤكد فى كلمته القصيرة للمحامين ، وللقضاة ، أنه اذا أثير اليوم فى تلك الجلسة موضوع فلسطين فانما يثار لا على أساس أنه موضوع سياسى لأن المحكمة لا يجوز لها أن تتدخل فى السياسة ، وبالتالى فهى يجب الا تنظر الى قضية أمين عثمان على انها قضية سياسية واننا اذ نثير اليوم قضية فلسطين على انها قضية عادلة وليست قضية سياسية لأن المحكمـة لا يجب أن تتدخل فى السياسة : ذلك ما كان يعنيه القاويش بكلمته القصيرة ، وكانت كلمة رئيس المحكمة « أن المحكمة تعلن من جهتها أن القضـاء الواقف جميعا ، المحاماة والنيابة قد قاما بالاعلان عن بالغ الحزن وعميق الأثر الذى مسنا جميعا ونال

من الشرق عامة والأمة المصرية خاصة ولا يرى القضاء الجالس الا الاكتفاء به عن عواطفه تفسيرا وعن حواسه تدليلا وان هيئة الأمم بدلا من أن تكون رسول سلام كانت على السلام حربا وضده سهما . فمشاركة لهذا الشعور والحزن الذى عم النفوس لا يسع المحكمة الا تقرير وقف الجلسة فترة من الزمن تسجيلا لذلك » . والجدير بالذكر انه عند أداء القائمقام محمد ابراهيم امام الضابط الأول للقسم السياسى شهادته قال له حسين توفيق : « ألم تكن فى أثناء مقابلتك لبعض المتهمين ، ولى أنا على الأخص تملى علينا الاعترافات المكتوبة » . وقال امام ابراهيم : هذه الاعترافات كنت تكتبها بكامل حريتك ولما سأله حسين توفيق : « ألم تذكر لى أسماء معظم المتهمين وطلبت منى أن ألفق لهم اتهامات ؟ » قال امام ابراهيم : لم يحصل اطلاقا . وقال حسين توفيق : سأذكر لك على سبيل المثال .. فان **أنور السادات** وقد اعترفت عليه لم أكن أعرفه حتى انه لما عرض على لم أتعرف على شخص لا أعرفه . وقال امام ابراهيم فيما يختص بأنور السادات لم تكن تعرف عنه الا عندما ذكر نجيب فخرى ؛ انه يعرف من المتهمين ضابطين مفصولين من الجيش أحدهما مشهور باسم الحاج والآخر باسم حسن ، ولما كان **أنور وحسن عزت كانا من بين المعتقلين السياسيين ومن بين الأسماء المشتبه فيهم والذين لهم ملفات خاصة بالقلم السياسى فقد اتجهت شبهتى الى أنور السادات وقدمت للنيابة تقريرا بذلك،** وأنا لم أدخل شخصيا بيت أنور السادات ولم أقم بتفتيشه : وهنا وقف أنور السادات وقال : فى سنة ١٩٤٢ حضر الى منزلى مخبر من القلم السياسى منتحلا شخصية مهندس مخابىء وعاين الغرفة الخارجية من منزلنا لعملها مخبأ وهى الغرفة التى وصفها حسين توفيق .

وكان من بين شهود النفى الذى أدلوا بشهادتهم فى القضية الأستاذ جلال الدين الحمامصى رئيس تحرير جريدة الزمان وقتئذ وكانت شهادة الأستاذ الحمامصى ، تدور حول علاقته بأنور السادات ومما قاله الأستاذ جلال **الحمامصى** انه كان معتقلا مع انور السادات فى معتقل الزيتون ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ وانه بعد خروجه من المعتقل اتصل به أنور السادات خلال سنة ١٩٤٥ طالبا استئجار بعض سيارات النقل ، لاستعماله الشخصى وأن السادات كان يزوره فى جريدة الكتلة فى أحد الأيام وفى أثناء وجوده معه دخل سكرتير تحرير الجريدة وأنبأه ــ اى الحمامصى ــ بحادث محاولة اغتيال رفعة النحاس باشا ولم يستطع الحمامصى تحديد وقت حضور أنور السادات وانصرافه فى ذلك اليوم وانما يذكر أن حضوره كان قبل الغروب بمدة طويلة وانه بعد دخوله بنحو ثلث ساعة تلقى نبأ محاولة اغتيال النحاس باشا من سكرتير التحرير واعتقادى

الشخصى البحت أن زيارة السادات لجلال الحمامصى فى ذلك الوقت كانت ذات مغزى خاص .

وقد استدعى للشهادة أيضا **محسن فاضل** الذى كان معتقلا مع **أنور السادات** وهرب معه ، وقد قال محسن فاضل أن حسن رفعت (باشا) وكيل وزارة الداخلية كانت له سلطة على المعتقلات وخصوصا على المعتقلين على ذمة السلطات البريطانية وان حسن رفعت (باشا) نصح والده أن يقنع ابنه بالعودة الى المعتقل بعد هربه ، لأن الافراج عن المعتقلين جميعا أصبح وشيكا وان محسن فاضل استجاب الى رغبة والده فى العودة ، بينما رفض أنور السادات العودة الى المعتقل .

ولأول مرة تتم اثارة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وعلى نطاق واسع عندما دعى الى الشهادة مصطفى النحاس (باشا) وكان من بين ما قاله مصطفى النحاس (باشا) أنه طالما نصح الملك بالاصلاح ، وتغيير الأعوان الموجودين وأنه عندما كان ينصح بالاصلاح كان يرى أن لا يكون الاصلاح طفرة فهذا يضر ويحدث ارتباكا فى الحكم ، وأكد مصطفى النحاس أنه فوجىء بورود اسمه فى الانذار البريطانى ، وأنه أصر على عدم الاشتراك مع بعض الأحزاب فى الحكم وأنه وقع على كتابة الاحتجاج الذى تعهد فيه الزعماء بعدم قبولهم الحكم ولكنه انذرهم بأن الاحتجاج يمكن أن يؤدى الى نكبة البلد ، والعرش ، وأنه عندما عاد الى منزل أحمد حسين — وكان قريبا لزوجته — سمع بأن الدبابات قد حاصرت عابدين وأن الحالة خطيرة جدا وأنه أى مصطفى النحاس اتصل بالقصر والزعماء موجودون جميعا وأن الملك طلب منه تأليف الوزارة **وان الملك قال له ان وطنيتك يا نحاس باشا تقتضى أن تستعمل الحكمة فيها** وأنه عارض تأليف الوزارة وأن الملك هو الذى أمره بتأليف الوزارة ، بل أن الملك عندما أمره بتأليف الوزارة طلب منه أن يذهب فى نفس الليلة الى السفير البريطانى وأن أحمد ماهر عندما قال له أن تأليف الوزارة يكون على أسنة رماح الانجليز وانه — أى النحاس — قال له « اخرس أنتم الذين جئتم على أسنة رماح الانجليز ووصلتم بالبلد الى هذه الحالة وأن النحاس أشرف منكم كلكم » وانه عندما قبل الذهاب الى السفير البريطانى فان ذلك كان بأمر الملك وأنه لم يذهب اليه ليطمئنه وانما عندما دخل أراد السفير البريطانى أن يقابله بالسلام فقال له : « لا أسلم عليك لأنك أسأت الى ، فى غيابى » .

وأن السفير حاول استرضاءه وأنه — أى النحاس — قال له : ان ذلك لن يكون الا بسحب الانذار البريطانى ولن أقبل الوزارة الا اذا سحبتم الانذار وأن السفير وافق على سحب الانذار بعد أن عرف منه أن الوزارة عرضت عليه .

ويقول **مصطفى النحاس** فى شهادته أمام المحكمة أن السفير البريطانى ذكر له انه لم يقع الاختيار عليه ليتولى الوزارة بصفته الشخصية وانما بصفته زعيم الأغلبية فالموقف خطير وهم ــ أى الانجليز ــ يخشون أن يطعنوا من الخلف ، ويقول النحاس أن حكومته فى الفترة من سنة ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ كانت فى خلاف مع الانجليز ولكنه ــ أى النحاس ــ رأى أن يبقى ويدافع عن البلد حتى يموت . وقد كثرت الخلافات بين النحاس باشا وبين هيئة الدفاع وكانت المحكمة تتولى تصفية تلك الخلافات ، وعندما سئل النحاس باشا « هل تذكر أن أحد الانجليز الذين قابلوك فى محطة قنا قال لك بالانجليزية ما معناه : « انى سعيد بمصافحة الرجل الذى سيتولى الحكم قريبا » أجاب النحاس باشا : « أنا شخصيا لا أعرف الانجليزية » .

وقد جاء فى شهادة الاستاذ **زكى على** (باشا) عن حادث ٤ فبراير أنه عندما علم بحصار عابدين اتصل بالنحاس (باشا) وأنه روى له ما سمعه عن ذلك الحصار ــ وأنه ــ أى زكى على (باشا) طلب من النحاس (باشا) التدخل واكد له أنه ــ أى النحاس ــ لا يستطيع أن يفعل شيئا وأنه ــ أى النحاس (باشا) سبق ان نبه الزعماء الى خطورة التهديد البريطانى وما يمكن أن يترتب عليه من اجراءات شديدة لا تحتملها البلاد وأن الزعماء جميعا لم يوافقوه على رأيه فيما عدا زيور (باشا) حيث وقف هو وزيور باشا فى صف، والباقون فى صف آخر ! ! وقد ذكر على ماهر (باشا) أثناء شهادته فى قضية الاغتيالات السياسية أن الانجليز فى أثناء التمهيد لمفاوضات ١٩٣٦ قد اعترضوا على اشتراك أخيه د. أحمد ماهر فى وفد المفاوضات المصرى ، وكذلك اعترضوا على النقراشى وان الانجليز قدموا ما يشبه الانذار بأنهم فى حالة اخفاق المفاوضة يستردون كامل حريتهم وانه نجح فى عدم اعتراض الانجليز على عضوية أحد من المصريين فى وفد المفاوضة ، وأن الانذار البريطانى قد سحب .

وعن الخلافات التى وقعت بين وزارته وبين الانجليز قال على ماهر : « بدأ الخلاف بمجرد اعلان ألمانيا الحرب « كانوا يتوقعون أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ثم حصل أن رأيت لمصلحة مصر ونحن مصريون ، ألا تدخل مصر الحرب واكتفيت بقطع العلاقات السياسية والمسألة مسألة ظروف وكان تقدير ذلك متعلقا بما يقضى به الصالح العام ولأن الدخول وعدم الدخول يتعلق بالاستعداد وكنت أقول ان شعبا له حضارتنا لا يمكن أن نسوقه الى الموت فى غير مصلحة بلده خصوصا وأن السفير سئل عما هو موقف مصر فى نهاية الحرب وهل تستكمل كل استقلالها فأجاب بأنهم لا يمكنهم أن يعدوا بشىء وكفاهم وعد بلفور أثناء الحرب الأولى فى قضية فلسطين . وفى بداية العمل

اتجهت لتنفيذ المعاهدة لأن واجبنا أن نعمل لمصر بصفتنا مصريين وبعد ذلك نعمل لحليفة مصر بما توجبه المعاهدة ، وقد عملت ما توجبه المعاهدة للحليفة وما يزيد ما دام لا يتعارض مع مصالح مصر ، وبعد اعلان الاحكام العرفية قالوا ان هناك اتفاقا سابقا وهو أن الحكام العسكريون يكونون من الانجليز فرفضت وقد سألت السفير البريطانى عن الأوراق التى تثبت موافقة الحكومة السابقة على هذا الموضوع فقال انه كان طلبا شفويا وقد قبل شفويا ! » .

وحول طلب الانجليز الا يتركوا سلامة الجيش البريطاني فى الصحراء الى أيد غير أيدى القواد البريطانيين قال على ماهر : « قلت للانجليز أن الصحراء الغربية أرض مصرية ولا يمكن أن يتولى فيها الأمر الا مصرى ومصر مسئولة عن سلامة الجيوش فى أراضيها ومسئوليتها من جهـة مواطنيها ولا محل التخوف مقدما » وقال على ماهر أن الانجليز حاولوا تعطيل زيارتى للسودان بكل طريقة وان السفير البريطانى قال له : اذا سافرت تكون كسائح ، وأن على ماهر قال له : زى تشرشل ما يروح اسكتلندا وهو رئيس وزارة فأنا سأزور السودان وأنا رئيس وزارة ولن ينوب عنى أحد لأنى أعتبر نفسى فى رض مصرية ، وبالفعل لم أنب عنى أحدا وكان معى وزير الدفاع ووزير الأشغال ، ولم ينيبا عنهما أحدا وكانت الأعمال ترد الينـا بالطائرة فنتولى تصريفها كلها . ومن المسائل البارزة التى ذكرها على ماهر فى شـهادته : قبل دخول ايطاليا الحرب بستة أسابيع استحضرت السـفير البريطانى والجنرال ولسون وأخبرتهما أن لدينـا معلومات دقيقة بأن ايطاليا داخلة الحـرب حتما ، فقالوا لى أن المعـلومات التى لديهم من سير برسى لورين سفيرهم فى روما تنفى ذلك وأن الايطاليين يريدون كسب المال والمنـافع الاقتصادية ، فقلت لهم بلغوا ذلك لوزارة الخارجيـة البريطـانية وأردت الاستعداد وكان يوجد ٧٠٫٠٠٠ ايطالى بمصر منهم ١٢٫٠٠٠ فى سن الخدمة العسكرية ومدربين تدريبا كاملا حسنا وفى حالة وقوع حرب لايمكن للبوليس العادى أن يعتقلهم وأنا لا أريد أن أستعين بالجيش البريطانى ولا بالجيش المصرى ولذلك قلت للسفير انه سيصدر منى أمر بنزع السلاح الموجود من يد جميـع السكـان ويجب أن يشمل هذا الأمر البريطانيين والفرنسيين واليونانيين . كما يشمل الايطاليين ، وقلت له أيضا أنه من الواجب أن أعلن أنه سيحصل تفتيش والا كان الأمر بلا نتيجة ولا بد أن افتش بيوت انجليز وفرنسـيين ويونانيين حتى لا أفرق ، فى المعـاملة بين رعايا الدول وكانوا مغتبطين بهذا الحل وما توصلنا اليه من ضبط أسلحة عند الايطاليين دعانا الى تفتيش كل بيت او ناد ايطالى حتى القنصليات ورأيت أن أعرض على

(جلالة) الملك أن يغادر فيروتشي بك القطر المصرى ويأخذ أجازة لرعويته الايطالية ، لأنه ليس من المناسب أن يعتقل وهو فى السراى فحضر فيروتشي وقابلنى وقلت له ان جلالة الملك فؤاد أكرمك (وجلالة) الملك فاروق يعطف عليك، ويجب الا تكون مصدرا للمتاعب فأرجو أن تأخذ أجازة فقال : لا مفيش حرب ، فقلت له : روح اسأل ماتسولينى وزير ايطاليا المفوض ، وأنا أعطيك الباسبور فى نصف ساعة وفى اليوم التالى حضر وطلب الباسبور فأعطيته له فورا ، واستدعيت السفير البريطانى والجنرال ولسون وأخبرتهم بما حصل، وكان عملى معهم بغاية الصراحة ، طالما أن مصلحة مصر ، مصونة فكانت كلمة السفير ، كيف تعطيه باسبور وربما يعود (كبراتشوتيست) فقلت للسفير ان فيروتشي عمره ٧٠ سنة وأنت عمرك خمسين سنة فهل من كان فى سنك يمكنه أن يكون براتشوتيست ويلقى بنفسه من حالق فأجاب الجنرال ولسون مستحيل لأنه يجب أن يبدأ التدريب على ذلك فى سن العشرين فقلت له حادث السفير .

وعندما سئل على ماهر : هل طلب من رفعتكم دخول مصر الحرب فعلا ؟ وقد أجاب على ماهر على ذلك السؤال بقوله : « طلبوا منى ذلك ثلاث مرات عند اعلان المانيا الحرب وعند دخول ايطاليا الحرب وبعد خروجى من الوزارة » .

وعن سؤال لعلى ماهر : لحساب أى جهة كان أسركم ؟ قال على ماهر : الاعتقال كان لحساب الحكومة البريطانية وكانوا يعدوننى أسير حرب وذكر على ماهر أن المطالبة باعتقاله بدأت فى عهد حسن صبرى (باشا) الا أنه رفض الطلب وكرروا الطلب فى عهد حسين سرى باشا وكان يحاول أن يلبى الطلب الا إنه وجد من البرلمان المصرى استنكارا وقد تم الاعتقال فى عهد النحاس (باشا) وقال على ماهر أيضا أنه اعتقل فى الصحراء الغربية وفى السرو وفى العياط، وكل هذا بناء على موافقة السفير البريطانى ، لدرجة انى كنت مريضا بالمستشفى العسكرى وجاء الأمر أن أسافر الى السرو وكانت حرارتى ٣٨٫٥ وجابوا واحد باشا عسكرى ليخرجنى من المستشفى فلم يجرؤ فقالوا انه سيحاكمونه ، ثم جاء خمسة لواءات وأجبرونى على السفر ووجدت المكان غير مستعد وملىء بالناموس ! !

وقال على ماهر عن حادث ٤ فبراير ان الانذار البريطانى يعتبر اعتداء على الشرف الوطنى كما أنه يعتبر ايذاء للكرامة الوطنية .

والاعتداء على الاستقلال يمكن ملافاته وانما الاعتداء على الشرف الوطنى والكرامة الوطنية فليس له من رد ، وقال على ماهر ان العملية قصد بها الارهاب واذلال وأنها مدبرة كلها داخل القطر المصرى وأن السفير لم يأت بها

وحده بل لا بد انه قد اشترك معه فى تدبير العملية بعض المصريين ، وطبعا النحاس باشا لا يمكن أن يشترك فى هذه المسألة بأكملها وجزئياتها وانما الذى دبر ذلك من الجانب المصرى هو المرحوم أمين عثمان (باشا) وكانت شهادات حافظ رمضان (باشا) ومحمد حسين هيكل (باشا) وبهى الدين بركات (باشا) وحسين سرى (باشا) لا تخرج عن شهادة على ماهر (باشا) .

وفى جلسة ١٠ ابريل ١٩٤٧ وقف الأستاذ **حسن أنور حبيب** واستهل مرافعته بقوله :

ان يوم ٤ فبراير سيظل وصمة فى جبين الامبراطورية البريطانية وسيظل دليلا صارخا على البربرية التى هوى اليها الانجليز فى ذلك اليوم الأغبر الكالح ، لقد قابلوا الوفاء بالنكران ، والاحسان بالاساءة والصنيع بالجحود .

سنظل نلعن الانجليز أبد الدهر ، ما داموا محتلين بلادنا ، ولو كانوا فى أجدب بقعة منها ، ويخيل الى أن كل باب يغلق كأنما ينصفق فى وجوههم وأن كل حجر بأرض الوادى ود لو طار فحصبهم فى جباههم وان كل كلب ينبح انما يصرخ فى وجوههم : « اخرجوا من هذا البلد : الجلاء ووحدة وادى النيل شعورنا وشعارنا ، بل هو ترديد لوجيب قلوبنا ونبضات دمنا وهمسات أرواحنا ، شيبا وشبابا وكيف السبيل الى بلوغ ما نصبوا اليه جميعا .. الى بلوغ ما يتوق اليه كل مصرى أنراه بالتفاخر ، والتنابذ فيما بيننا ؟ أنراه أن يهاجم بعضنا بعضا فننقسم شيعا وفرقا ثم يقوم منا نفر من الشباب أعماه الغضب فساء حكمه على الأمور بقتل القادة والرجال فيسود وادينا جو من الفزع والتوتر والقلق والخوف كل يتوجس الشر أينما راح ، وكل يخشى القدر أينما حل فتتبلبل الخواطر ، ويفلت الزمام ؟ فيذهلنا ما ألم بنا وما ألم بوطننا ، وننشغل بتطبيب جراحنا الداخلية عن مكافحة الأفعوان الأجنبى وعن مداواة جراح الوطن البالغ من نكرانه بل تزيد الأمور وبالا فنثخن أنفسنا بجراح تصيب الصميم فى وطننا . اللهم ان هذا منكر لا يرضيك فرفقا بكنانتك ورفقا بعبادك المصريين .

وعن القضية قال **الأستاذ أنور حبيب** : أعرض على عدالتكم اليوم قضية عصبة من الأشرار المفتونين ، ساءت أفكارهم وعميت بصائرهم ، ركبهم الشيطان بغوايته وأعماهم الغى بضلالته وران على قلوبهم ظلام الغرور بحلكته وملك عقولهم ابليس الشرير بفتنته فأهوى بهم الى الدركات السفلى من الاجرام وشناعته : اتخذوا القتل هواية وسفك الدم غواية ، واهدار أرواح المفكرين والقادة لأسباب يقدرونها بغير حكمة ولا روية وسيلة الى ارضاء نزعاتهم الفاجرة الى القتل وازهاق نفوس الأبرياء .

وقال وكيل النائب العام : ان القضية بدات اعمالها الاجرامية بمحاولات آثمة لاغتيال بعض الأفراد من البريطانيين ثم بمحاولات آثمة لاغتيال رفعة النحاس (باشا) . وانتهت الى حادث مقتل امين عثمان (باشا) واخيرا الشروع فى قتل شاب مصرى وادع آمن لا ذنب له ولا جريرة ، الا أن القدر ساقه الى ملاقاة هؤلاء الأشرار بمحض الصدفة وهو سائر فى طريقه لا يبغى بأحد شرا ولا ينشد الا النزهة والراحة .

وكان مما قاله ايضا : « ما كان لأحد فى مصر أن يستغفر لهؤلاء ولا أن يطلب لهم الرحمة فهم مشركون فى حق الوطن ، مثلهم كمثل المشركين فى حق الله » .

وفى جلسة الأحد ١١ ابريل جاء « سعادة » محمود منصور بك النائب العام وجلس فى كرسى النيابة الى جانب الأستاذ أنور حبيب ممثل الاتهام وقد وقف النائب العام ليقول : « فى الكلمة التى قدم بها أمس زميلى الاستاذ أنور حبيب مرافعته فى هذه القضية عدة تعبيرات وتشبيهات ومجازات لم أشك حين اطلعت عليها فى الصحف أنها جاءت وراء مراده ووقعت بعيدا عن مقصوده ، نتيجة للتعرض لخاطر الارتجال واثرا عرضيا لجو القضية فى نفسه على أن تلك العبارات بما مست من شئون السياسة الخارجية يصعب فى الواقع تبرير ازجائها على هذا النحو كما يصعب ربطها بهذه الدعوى ، ولذلك فقد استأذنت زميلى أنور بك فأذن لى فى أن أصرح بأن تلك العبارات لا تعبر بحال عن رأى النيابة العامة فأرجو أن يثبت ذلك فى محضر الجلسة ». وهاج المتهمون ، وماجوا وقال أنور السادات موجها كلامه الى النائب العام : ايه ده يا سعادة النائب .. ازاى تقول الكلام ده ، أنور بك لم يرتجل ده كان بيقرا فى ورقة . ده مش كلام ، ازاى النائب العام المصرى الوطنى عايز يسحب الكلام ده يا سعادة النائب العام : انك مصرى والجميع ، وعلى راسهم رئيس الحكومة يرددون أمانى المصريين وهى وحدة وادى النيل ، والجلاء التام والنقراشى باشا قال فى مجلس الامن ان الانجليز لصوص وقراصنة فتأتى أنت لتسحب هذا الكلام : يجب عليك أن تستقيل وتنزل عن الكرسى .

وقال أنور السادات : أنا أفضل ان أشنق الف مرة على ان ارى النائب العام يتراجع ويقف هذا الموقف غير الشريف .

وقال وهيب دوس بك : ان أنور بك لم يرتجل كلمته كما قال النائب العام وان أنور بك يمثل النيابة فيجب الا يثبت كلام النائب العام .

واعترض الأستاذ احمد رشدى على عدم اثبات كلام النائب العام فى المحضر وقال انه يهمنا جميعا أن يثبت كل ما قيل فى المحضر وأن يسجل الى

جانبه ان سعادة النائب العام أراد أن يبرر بتلك الكلمة بأن أنور بك كان يرتجل امس على حين أن الواقع ، الذى لاحظناه جميعا انه كان يتلو مرافعته ويرجع الى أوراق مكتوبة فلابد اذن أن يكون ما قاله بعلم النائب العام ولابد ان تكون هناك بواعث وان ما قاله النائب العام لا يرجع الى الارتجال لأننا كلنا نعلم أن من اولويات قواعد القانون ، أن وكيل النيابة المترافع حر فيما يقول فى مرافعته ولا يمكن أن يجبر على سحب كلام قاله علنا فى الجلسة فهنالك اذن سبب آخر ، وقد ترامى الينا ونرجو الا يكون ما ترامى صحيحا ـ أن هناك تدخلا فى الأمر ، وتلك هى العلة المباشرة لكلمة النائب العام .

ووقف النائب العام .

غير صحيح فان النيابة مستقلة تمام الاستقلال ولا تسمح لأية سلطة أن تتدخل فى عملها كما يقول حضرة الزميل رشدى بك . وانما هذا حق للنائب العام وهو صاحب الدعوى العمومية وان عضو النيابة المترافع وكيله وله أن يطلب من المحكمة تصحيح ما ليس له اتصال بالقضية وما اقحم عليها والمحكمة لها الشأن فى ذلك .

أما ما جاء فى مرافعة زميلى أنور حبيب فيما يختص بالجلاء ووحدة وادى النيل فان ما نطق به أحد المتهمين انما هو دليل على الحماسة المؤقتة وليس المجال مجال الكلام عن الوطنية وان الجلاء ووحدة وادى النيل لم يأت ذكرهما فى القضية مطلقا لا فى التحقيق ولا على لسان أى شاهد من الشهود وانما جاء ذكر الجلاء فقط على لسان حضرة وكيل النيابة المترافع فهذه الشئون تتعلق بالسياسة ولا شأن للنيابة بها وليس لها أن تتعرض للأمور السياسية الا بالقدر الذى يتصل بالقضية المطروحة وان للمرافعة آدابا يجب أن تراعى ، وأن ما قاله من أنه هذه تعبيرات لا تعبر عن رأى النيابةالعامة انما قصد بها التعبيرات والتشبيهات والمجازات التى لا يصح أن تذكر ، على لسان النيابة العامة فى جلسة علنية وكان يمكن التعبير عنها بلغة اخرى اذا كانت دواعى القضية تستلزمها . وعاد المتهمون الى صياحهم وثورتهم وصاح بعض المتهمين موجهين كلامهم الى النائب العام : يجب أن تستقيل كيف تسحب كلاما وطنيا كهذا الكلام .

وقال **حمادة الناحل** موجها كلامه الى هيئة المحكمة : انكم اليوم تحسون وتتأثرون وغدا تحكمون وسيكون حكمكم نتيجة لاحساساتكم وتأثركم ولذلك كان من واجبنا أن نقف على كل حركة تصدر أمامكم لأن لهذه الحركة أثرا فى نفوسكم وهذه الحركة التى ابداها سعادة النائب العام تركت فى نفوسنا أسوأ الأثر ذلك لأننا رأينا سعادته وهو ممثل الدعوى العمومية بدأ كلامه على هذا

النحو وكلنا يفهم ما يعنيه ويعترض عليه فانه يعترض على مجازات وتشبيهات ولو أن الأمر مسألة لغة عربية ، يصححها لهان الأمر ، وانما هى وقائع عناها وفهمناها ولذلك كان من حقنا أن نحزن وأن نأسف .

ولم تقل المحكمة أكثر من ((ان المسألة انتهت ونرجوكم أن تهدأوا)) .

وكان من بين ما جاء فى مرافعة الأستاذ **أنور حبيب** عن المتهم السابع أنور السادات انه اشترك بطريق الاتفاق فقط فى قتل أمين عثمان باشا وبعد أن سرد ماضى المتهم بعد أن تخرج فى الكلية الحربية والتحق ضابطا بالجيش المصرى بسلاح الاشارة قال انه كون جمعية اجرامية وتوصل بواسطة صديقه عمر حسين الى التعرف بحسين توفيق ووجد فيه ضالته المنشودة استهتارا وجنوحا للجريمة ، فاستغل الفرصة ووجه **حسين توفيق** وجماعته وجهة جديدة لم يكونوا طرقوها بعد وهى قتل المصريين . وعرض عليهم فى لباقة فكرة قتل النحاس (باشا) وكان فى أثناء ارتكاب الحادث ينتظر زملاءه فى سيارة قريبا من متحف الشمع وقال ان المتهم كان حريصا فلم يساهم فى هذه الجرائم مساهمة فعالة وكفاه بأنه دفع بأغرار الى جريمة ولا يهمه بعد ذلك أن يصيبهم مكروه طالما هو سليم أمين فهو شخص من بين صفاته المكر ، والحذق والاغواء ومظهره يوحى بالثقة وهو قوى الشخصية حتى ليحمل المرء على الوثوق به وقد جاء اسمه فى التحقيق على لسان **محمد ابراهيم كامل** اذ ذكر أن **حسين توفيق** تصادق مع شخص جديد اسمه الحاج وآخر اسمه حسن وكان ان انصرف ذهن رجال القسم السياسى الى أنور وصديقه حسن عزت وقال انه قد اشترك معه فى حادث الشروع فى قتل النحاس (باشا) يوم ٦ ديسمبر ودلل على ذلك بأن حسين توفيق ذكر وصفا دقيقا لغرفة أنور والأثاث التى بها وتأيد ذلك بمعاينة منزل أنور وكذلك اعترف عليه عمر حسين أبو على ومحمد على خليفة والجوهرى ويحيى مراد ، وخميس وقد قال الأخير ــ خميس ــ انه عرف عنوان أنور السادات من محمود مراد .

وأكد ممثل الاتهام اشتراك أنور فى الجمعية .

كما أشار الى بعض المتهمين الذين اعترفوا على أنور السادات عادوا فأنكروا اعترافاتهم ثم عاد حسين توفيق مرة أخرى الى اعترافه ضد أنور السادات بعد أن أنكر هذا الاعتراف ، وكان بعض هؤلاء المتهمين الذين اتهموا أنور السادات ، ثم عدلوا عن ذلك الاعتراف وعللوا عدولهم بأنهم فعلوا ذلك لأن أنور السادات رب أسرة .

وقال ممثل الاتهام : أن مسألة العطف على أنور السادات وانه رب عائلة ليست هى السبب الحقيقى فهم ما زالوا شبانا لم يبلغوا سن الزواج حتى

يعرفوا قيمة العائلة ، وهموم رب العـائلة ، خصوصا وهم ليسوا أصحاب وجدان ولا عاطفة وان الواقع انهم حينما عدلوا عن اتهامه كانوا يرجون أنه يستطيع أن يسهل لهم سبل الفرار من الجمعية ، وأشـار ممثل النيابة الى الورقة التى وجدت فى جيب بيجامة أنور السادات والى العبارات التى كتبت بها بالانجليزية ... التقرير رقم ١ فى ٢/١٣ التشكيل رقم ٢ جميعه بلا عمل التشكيل رقم ٢ يتصل بى ابتعدوا وأنا أتولى القيادة من هنا ، التشكيل رقم ٢ ينتظر الأوامر ، أتعشم أن أصل الى الضربة الكبرى قريبا . يعتبروننى شخصا خطيرا ولكن الدليل ضعيف جدا فى انتظار الأوامر الحمد لله وليحيى رجلنـا » ، وقد ذكر وكيل النيـابة أن وجود مثل تلك الورقة بخط أنور السادات وفى جيبه دليل قاطع على اشتراكه فى أعمال تلك الجمعية وقد ترافع محامون كثيرون من خيرة المحامين وفيما يلى مقتطفات من دفاعهم :

زكى عريبى : هذه القضية سياسية يتردد فيها ذكر الانجليز وكراهية هذا البلد بل مقته لهم وحقده عليهم واستحلاله لدمائهم ونحن لا نكره الانجليز كراهية جنس لجنس ولا دين لدين ولا نظام سياسى لنظام سياسى بل انا لنعجب بهم ونشيد بفضائل كامنة فى الشعب الانجليزى منها حبه للاستقلال والحرية ولاننا لا نكره الانجليز ولا نمقتهم وانما نحن نكره صلفهم وكبرياءهم أو ما كان لهم من صلف وكبرياء . انما نكره سياستهم الغادرة الماكرة نكره ذكرى تربصهم الدوائر باستقلال هذه البلاد قرنا ونصف قرن من الزمان ثم « دوسهم » لهذا الاستقلال باحتلال بلادنا بجميع مرافقها ، حقبة من الدهر غبراء ، ذقنا فيها ما أذل الكرامة وأفقد العزة وعلم النفاق . ان الحيـاة مصونه فى مصر باذن الله وستبقى كذلك فى بلاد سطعت فيها شمس المدنية والدنيا بأسرها فى ظلام دامس وحرية الرأى مكفولة بما هو أفعل من الدستور بانطواء قلوب حرة على حب الحرية واعزازها وتمجيدها .

لقد حملت النيابة على المتهمين حملة عنيفة لحمتها الشتم وسـداها التجنى فجعلتهم أشرارا وسفاكى دماء لا يعرفون غير الغدر سـلاحا وأنهم جرثومة فساد يجب استئصالها حتى لا تشيع عدواها فى المجتمـع كلا يا سيدى : لا تقل أن الشباب الذى حبسته فى هذا القفص أصبح من القردة أو الوحوش الكاسرة . أستودعكم الله أيها الشباب لقد آن لى ن أترككم وأنا حان عليكم . فلقد كان لى ولد واحد فأصبح لى ستة وعشرون قرأت عنكم فأحببتكم ولقد سعدت بكم فليس يتفق كثيرا أن ألقى أمثالكم .

لا تنسوا يا حضرات المستشارين بعد هذه النظرة ولا تعنفوا بل اغفروا لهؤلاء الصغار اخفضوا لهم جناح العدل فالعدل من الرحمة ! !

وهيب دوس : ان هؤلاء الشـباب قد تفتحت عيونهم على مشـاعر واحساسات جديدة ورأوا تناحر الأحزاب ذلك التناحر القذر وعرفوا أن الانجليز هم أساس كل بلاء فى مصر .. ان هؤلاء الشباب حرموا أنفسهم من السينما ومتع الحياة وكانوا يدخرون القروش لينفقوها فى سبيل الدفاع عن الوطن .. الا تتألمون فى أعماقكم عندما تقرءون هذا فى أوراق القضية : هؤلاء الشباب لو انهم نجحوا فى عملهم ، لكنا نحن الكبار أول من انتفع : اننى شخصيا استحق المحاكمة مع هؤلاء ، بل حضرة النائب ايضـا لأنى أفكر كتفكيرهم ولكن تنقصنى الجرأة والشجاعة .

على كمال حبيشة : اعذرونى اذا أنا قصرت فى أداء واجبى كمحام فلولا ثقتى فى عدالة المحكمة لما ترافعت عن ابنى مصطفى كمال حبيشة .

مكرم عبيد : الكلمة الختامية هى أن أترك المرافعة الخاتمة والحاسمة لضمائركم وما الضمير فى الانسان الا صوت الله ، الذى يخفق فى جنانه قبل أن ينطق به لسانه .

اذا كان من دواعى الشرف للمحامى أن يجمع فى مرافعته بين منطق الحق ومنطق القول فان للقاضى اذ يخلو الى قلبه والى ربه أن يسترشد بمنطق واحد هو منطق العدل فيحكم بين منطق الاتهام ومنطق الدفاع بميـزان ، واذا ما رجحت فيه كفة على كفة كان العدل بطبيعة الحال الى جانب الكفة التى يراها القاضى راجحة أما اذا تأرجحت الكفتـان فمن الواجب شرعا ووضعا أن تكون كفة الدفاع هى الراجحة ولو كانت مثار حجة لا لسبب الا لأن كفة الاتهام هى أيضا مثار حجة ذلكم هو منطق الشك الذى نص القانون على انه يفسر دائما لمصلحة المتهم فالشك هنا هو الشك المقدس اذ هو الشك فى الجريمة وفى الشر ، وليس هو الشك فى الخير فيجب أن يعتبر لمصلحة المتهم أو بالأحرى لمصلحة الانسانية فى الانسان لأن فيه تغليبا للعنصر الكريم فينا وهو العنصر الانسانى على العنصر الأثيم فينا وهو العنصر الحيوانى .

كلنا نعلم كم عانيتم وستعانون فى سيل احقاق الحق ، ولكنا واثقون كل الثقة أن عدلكم سيكون نموذجا للحقيقة بين الناس ولو اننا ندرك أن الحقائق البشرية ليست من الوضوح ، والبساطة بحيث يمكن الوصول الى حل حاسم لها كما تحل المسائل الحسابية .

ولعل مهمة القاضى أدق وأشق من مهمة الباحث النظرى اذ هو لا يفرق بين الخير والشر فحسب ، بل يفرق بين الأخيار والأشرار من الناس فلا يلجأ

فى كلمة الى مجرد النظر ، بل الى القياس والتطبيق على مختلف الأنواع والاجناس ، بل يجب أن يصل الى الحقيقة المجردة فى البشر .

ان القتل واحد ، ولكنه مختلف الألوان فهناك من يقتل لضيعة أو لغنيمة ليغترف الشر ، للشر وآخر يقتل دفاعا عن نفسه أو عرضه وهو ما يسمى الدفاع الشرعى ومن الناحية العامة نرى كثيرا أن الدافع الذى يدفع الفرد الى القتل هى الوطنية المقدسة وكم هى مقدسة وطنيتنا نحن المصريين .

قال د. زهير جرانه فى دفاعه عن المتهم أنور السادات – نقلا عن محاضر جلسات المحاكمة :

هذا اليوم كان ينتظره أنور السادات من زمن وآن له الآن أن يتكلم بلسان محاميه ولطالما رجا وتمنى أن تتاح له مثل هذه الفرصة أثناء التحقيق ليسمح له بالكلام – رجا أن تتاح له الفرصة للافضاء بما يجيش فى صدره فى حضور محاميه فأبى عليه المحقق وآثر أنور السادات ازاء هذا التصرف الذى أدرك بفطرته السليمة لا بما سنه القانون لأنه ليس رجل قانون رأى أو أدرك أنه تصرف جائر آثر أن يطوى صدره على ما يعرف وآثر ان يتقدم بأدلة براءته فى ساحة القضاء لا أمام المحقق الذى لمس منه الخصومة ظاهرة سافرة آثر ان يكون ظهور براءته على الملأ وفى وضح النهار لا فى جنح الظلام الذى أسدلته النيابة على التحقيق الطويل .

ومن الخير فى مثل هذه القضية التى تشعبت فيها المسالك وتضخم ملفها من غير مقتض ان نفصل الطريق الذى ساد فيه التحقيق والجو الذى احاطه والتيارات التى تدافعت فيه حتى نكون بذلك فكرة سليمة صحيحة والقضية عندما تنظر اليها يبدو وكأنها مسرح يبرز فيه ثلاثة اشخاص أو ثلاث شخصيات : الشخصية الأولى هى شخصية حسين توفيق شخصية ذهنية جمعت بين الشذوذ والعبقرية ما هى الا شذوذ عما تعارف عليه الناس وقد دمغت هذا التحقيق وتركت فيها آثارا واضحة من بعض اشعاعاتها والشخصية الثانية هى شخصية أنور السادات شخصية جندى ميدان لا يعرف اللف ولا الدوران ، رجل يجادل بالحقيقة ويكاشف الكل بما يثلج به

صدره وهى بعد شخصية معتدة بنفسها لاتقبل أن يلعب بها فاذا ما استشعرت الظلم أو احست بحيف صرخت وطلبت فى أن يحقق الأمر بشـــدة وفى غير مجاملة ، وقد قاسى انور السادات من جراء هذه الشخصية ما قاسى وقـد تلون التحقيق بألوان من آثار هذه الشخصية .

اما الشخصية الثالثة فهى شخصية المحقق ولقد طغت هى الأخرى على التحقيق فلم يعد الأمر أمر محقق يحاول الوصول الى الحقيقة ويجلوها من طريقها الصحيح وأن يدخل البيوت من أبوابها ولكنه وجد فى هذا التحقيق الذى يتلفت اليه الناس سلما رغب أن يصل منه الى الشهرة وظن أن الشهرة هى أن يسوق أمامكم عددا من الشبان وفاته أن هذه المسائل العامة اذا دخلتها المصالح الخاصة الفردية لا تستقيم الامور فلم يعد المحقق الذى يعمل بروح القانون ويعمل على تطبيقه فى حدوده ولكن تملكته روح شرهة للاتهام .

ويقول د. جرانه :

الواقع ان المحقق لم يقتنع بأن يسوق حوالى الثلاثين من الشبان ويلقى بهم فى السجون عامين كاملين وليت هذا كان بوجه الحق وحـده أقول انه لم يقتنع بهذا بل كان يريد أن يصل الى اتهام من هم أكبر من هؤلاء مقاما .

تجدون فى ص ٧١٨ يوجه المحقق هذا السؤال الغريب الى خميس : هل تعرف شخصية كبيرة ترعى الجمعية » وفى ص ٧٤٩ يوجه نفس هـــذا السؤال الى سعيد توفيق : هل مصلحة البلاد تخدم بهذا وهل مصلحة القضية تخدم بهذا ؟

لقد ظن المحقق أن هذا هو أدلة القوة فى القضية وما هى الا أدلة الضعف .

وعن شخصية أنور السادات يقول د. جرانة :

ان شخصية أنور السادات هى شخصية الجندى الذى يعرف السلاح فى الميدان وحده وأما فى الداخل قد يعرف الدفاع ولكنه لا يعرف السلاح فالجندى لا يكون غدارا فالمؤامرات تتنافى بطبيعتها مع ما يفطر عليه الجندى من ناحية ما تحتاج اليه من السرية والتكتم والغدر وأما الجندى فلا يخرج للعدو الا سافرا .

ولقد رأيتم مثلا بسيطا تدركون به ما وراءه فقد لمستم فى القضية يوم اشتبه على أنور السادات مدلول اقوال النائب العام وهى أقوال لا أظن الا انه كان يقصد المبنى لا المعنى — **ورأيتم كيف تندفع الكلمات على لسان أنور السادات فيقول :**

منه صراحته وشيمته وفطرته لا يمكن اطلاقا أن يقال بأنه كان يعمل فى الظلام فى مؤامرة ..

ويشير د . جرانة الى تلغراف أرسله أنور السادات يقول فيه « ان الاستاذ القاويش يحقق فى القضية التى أنا على ذمتها وانه يتبع اساليب نازية فى التحقيق وواجهنى مع عمر مواجهة غير قانونية ومنعنى من القاء اسئلة على عمر » .

ويقول د. جرانه :

أنا بصدد التعريف بالشخصية الثانية شخصية أنور السادات : لم يكن هناك مفر من أن يصطدم أنور السادات بالمحقق وبأن يعتبر حضرة المحقق الذى كان يجرى التحقيق على السنة التى تشرفت ببيانها لحضراتكم والروح المؤلمة التى تهدف الى النفع الذاتى وبئس الثمن لم يكن هناك مفر من أن يصطدم بشخصية المحقق وأن يعتبره المحقق عثرة وأن ينزل عليه من نقمته ما يشاء .. فلما تفضلتم ووضعتم هذا التقليد السامى الذى يفخر به القضاء المصرى واجبتم طلب الدفاع ودعوتم الأستاذ القاويش للشهادة وسألتموه فى ظل اليمين التى أقسمها أمام حضراتكم ونؤكد لحضراتكم أنه لولا أن حلف اليمين مسألة نظامية لالتمست من حضراتكم أن تعفوه من اليمين اكتفاء بيمينه الأولى .

ويشير د. جرانه ــ الى ما ذكره عزيز المصرى من أنه يعرف أنور السادات وانه ليس من الناس الذين يميلون الى الارهاب والى شهادة أمام ابراهيم ــ مسئول القسم السياسى ــ التى جاء فيها أن أنور السادات صدره يتأجج ببغض الانجليز واعلاء شأن الوطن وهذه اعتبارات قومية تولد مع كل مواطن صحيح .

وعندما يتحدث زهير جرانه مرة أخرى عن التحقيق يقول ..

وأخيرا لا أكون مجافيا ومجاوزا حدود الحق اذا وصفت هذا اللون من التحقيق بأنه عبث كان يجب على النيابة أن تتنزه عنه والواقع أن عزاءنا الوحيد هو وجودنا بين يديكم وأملنا هو أن العدالة التى أخطأتنا فى الأصل ستنزل علينا بكلمة عادلة وأن أمين عثمان باشا ان شاء الله أن يضيع مصالح البلاد فى حياته فلا تدعوه يفوت على البلاد فرص الاستفادة من شبابها بعد مماته ــ فردوا الى أنور السادات حريته حتى يستطيع أن يخدم وطنه كجندى يدافع عن بلاده .

ومن مرافعة الأستاذ محمود عبد المجيد المحامى عن أنور السادات ننقل من محضر الجلسة تلك الكلمات « لقد وفى أستاذنا الدكتور جرانه الدفاع عن نور السادات واريد أن اقول أن ما جاء بأنور السادات الى هذه القضية ألا البوليس السياسى : لقد اعتقل انور السادات على ذمة لجنة تحت سيطرة الانجليز لا سلطان للحاكم العسكرى عليها وبذلك أصبح لأنور السادات ملف عند البوليس السياسى فكلما يحصل حادثة لابد أن يدخله البوليس السياسى فيها .. فالبوليس السياسى هو الذى أوعز باتهام أنور فى حادثة أمين عثمان وحادث النحاس باشا وقد سمعنا حسين توفيق يقول انه يتهم أشخاصا ارضاء لرغبة النيابة والبوليس » :

أنور السادات اعتقل طول مدة الحرب رغم أن التحقيق أثبت براءته وفى أيام المعتقل وهى طويلة ومريرة اطلق عليه لقب الحاج قبل هروبه من المعتقل وقال امام بك ان يوجد ضباط كثيرون يطلق عليهم هذا اللقب وعندما هرب لم يكن للمعتقلات قانون يعاقب على الهرب وأخيرا رأى هو أن يقدم نفسه اذن لقب الحاج لم يكن هو مفتاح القضية بالنسبة لأنور السادات .

البوليس السياسى لا يتحرى الحقيقة فى تحرياته ففى سنة ١٩٣٦ اعتدى على النحاس باشا فى مصر الجديدة فقبض على حوالى ٧٠٠ شخص بين عشية وضحاها ومنهم من تشرفوا بالمرافعة أمام حضراتكم ودائما يقول البوليس السياسى انه بلغه من تحرياته أن فلانا اشترك فى الحادث فيقبض عليه ، ومن الغريب انه تبين أن من بين من كتب عنهم تحرياته أناس موتى أو غائبون فى الخارج فالبوليس السياسى هو أساس الاتهام ، فى هذه القضية وكما كان أساسا لاتهام على ماهر باشا بالتحريض كان أساسا لاتهام الموتى فى ١٩٣٦ .

لقد اعتقل أنور السادات مدة طويلة وشرد خلال الحرب ولذلك ارجو عندما تقضون ببراءته ان تقرروا انه كان ضحية » . **وقد جاء فى حيثيات الحكم عن انور السادات انه كان ضابطا بالجيش المصرى وفصل منه بناء على طلب قلم مخابرات الجيش البريطانى لما نسب اليه من اتصاله بالفريق عزيز المصرى باشا** وقد اعتقل فى عهد وزارة النحاس باشا لما عرف عنه من حب بلاده وكره الانجليز كما قرر أنه غير منضم لأى حزب سياسى وقد ذكر أنه بعد فصله من قوة الجيش المصرى كان يعمل مقاول نقل بالسيارات واشتهر فى هذا الوسط بلقب الحاج وقد انكر معرفته المتهم الأول - ونفى وجود أى علاقة له به ولكنه ذكر أنه يعرف عمر حسين أبو على المتهم الرابع لأن لهذا أخا طيارا صديقا يدعى « أبو السعود » وكان يسكن بجواره وقد تعرف الى المتهم فى احدى زياراته لأخيه كما انه زاره فى منزله وعلل ذلك بأنه رفقا بهذا

المتهم ساعده على العمل عنده موظفا فى شركة النقل التى كانت تعمل بشركة مصر للمناجم والمحاجر وقد أنكر بتاتا انتسابه أو انضمامه أو اشتراكه فى جمعية المتهم الأول .. والتى قيل أن من أغراضـــها قتل الزعمـــاء الموالين للانجليز .

وحيث أن المتهم أنكر أيضا ما نسبه له بعض المتهمين من وقائع متصلة بالجمعية وأغراضها وخاصة استئجاره السيارة يوم حادث النحاس باشا وانتظاره بها بجوار متحف الشمع كما نفى واقعة استحضاره قنابل ومسدسين من منزل عبد الوهاب طلعت باشا وواقعة اتفاقه على قتل أمين عثمان باشا ثم واقعة مرافقته للمتهم مصطفى كمال حبيشة للمعالجة من الجرح النارى الذى قيل أنه اصابة فى أصبع يده من مسدس كان معه وانكر أخيرا الورقة التى قرر مأمور سجن الأجانب انه ضبطها بملابسه يوم ١٣ فبراير ١٩٤٦ وقرر أنها ليس بخطه ولا يعرف سببا عنها وانها اصطنعت للكيد له وقرر أخيرا أن جميع التهم التى نسبت له قد لفقها رجال البوليس السياسى ضده لأسباب عدة منها الطموح الشخصى للترقية وما لحق رجال هذا القسم بصفة خاصة من تأنيب بسبب هربه من الاعتقال وعدم تمكينهم من الاهتداء الى مكان اختفائه وضبطه حتى أظهر نفسه بعد رفع الأحكام العرفية وانهاء الاعتقالات والافراج عن المعتقلين وما تولد ذلك من رغبة فى الكيد له والنيل منه ، والعمل على التأثير على بعض المتهمين لاشراكه فى كثير من التهم الموجهة اليهم واستجابة بعضهم لهذه الرغبة الملحة ثم عدولهم عن اتهامه بعد زوال الأسباب التى كانوا واقعين تحت تأثيرها .

وفى الحيثيات :

ترى المحكمة من قبل استعراض الأوراق واستظهار ما تقدمت به النيابة من أدلة وما دفع به المتهم ما وجه اليه من اتهام وما بوشر فيها من تحقيقات بمعرفة النيابة أو أمام المحكمة أن تقرر أن للمحكمة كامل الحرية فى أن تستمد اقتناعها من أى مصدر فى الدعوى تراه جديرا بالتصديق ولها فى سبيل ذلك أن تأخذ بقول متهم على متهم آخر ما دامت قد اقتنعت بصحة ذلك .

ان أمر تقدير كفاية الدليل متروك لضمير ووجدان القاضى وانه لا محل اذن لما ذهب اليه الدفاع من وجوب عدم التعويل على هذه الاعترافات أو الأخذ بها لا بسبب الا لأنها صادرة من متهم على آخر وأن العبرة اذن هى فى بحث وتمحيص هذا الاعتراف كدليل مقدم فى الدعوى وتقدير كفايته وقوته فى الاثبات .

وتستمر حيثيات الحكم فى التدليل على براءة المتهم مما نسب اليه ثم تقضى ببراءة أنور السادات .

وكان صدور الحكم فى القضية بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٤٨ وكان يوما من الأيام الخالدة فى تاريخ القضاء المصرى وكم له فى تاريخنا من أيام خالدة .

انه موقف تاريخى رائع وقفه : عبد اللطيف محمد ، محمد صادق محمد ابراهيم ـ بل هو موقف تاريخى لكل قضاة مصر فى الماضى والحاضر والمستقبل .

ان فى مصر حقا قضاة .

صورة لبعض المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية : ويرى من اليمين محمد ابراهيم كامل ، مصطفى كمال حبيشة ، عمر أبو على ، ومحجوب على محجوب ، كمال يعقوب ، محمود الجوهرى ، محمود كريم ، أنور السادات ، عبد العزيز خميس ، خيرى عباس

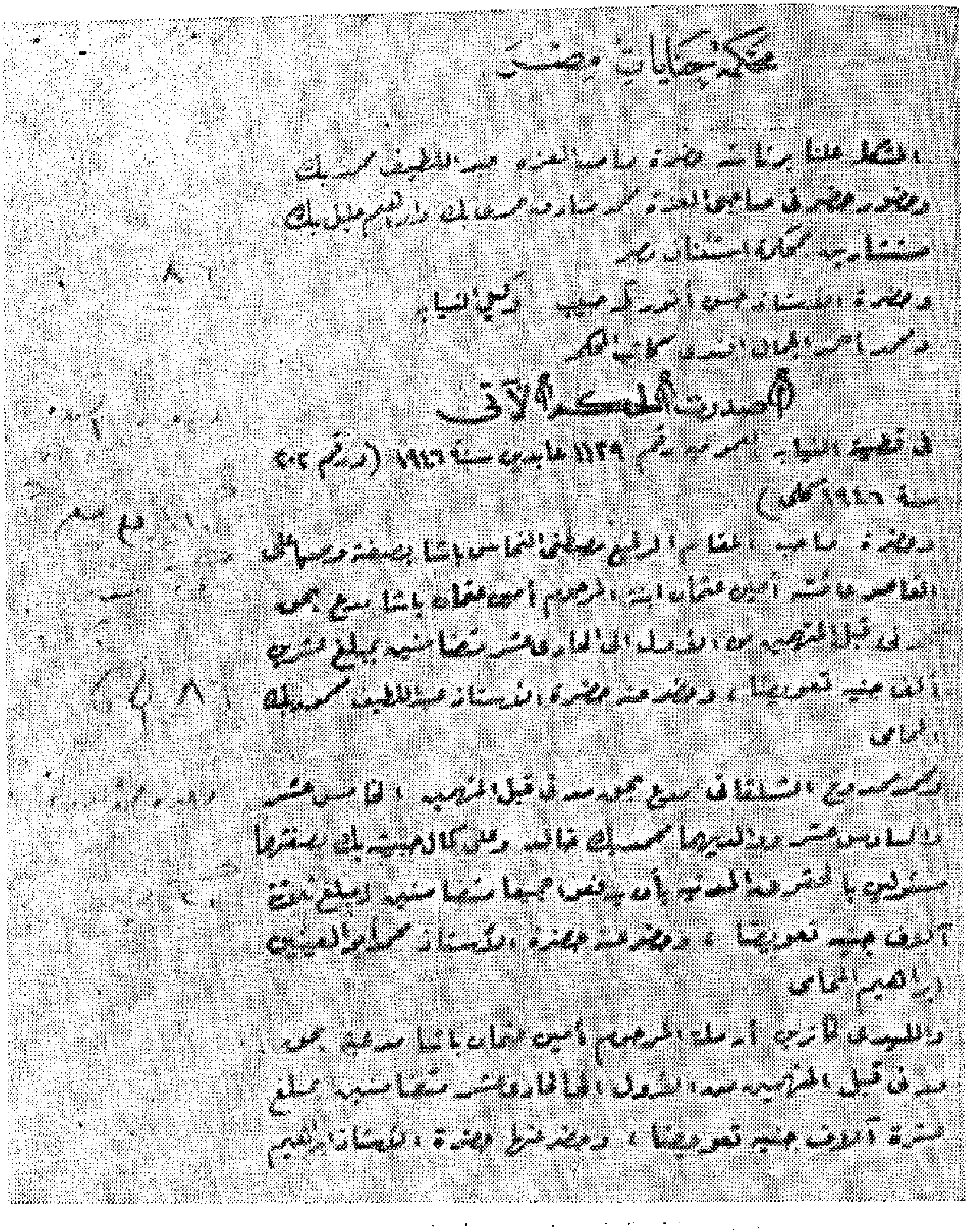
محكمة جنايات مصر

المشكلة علنا برئاسة حضرة صاحب العزة عبد اللطيف محمد بك
وعضوية حضرتي صاحبي العزة محمد صادق حمدي بك وابراهيم خليل بك
مستشاري محكمة استئناف مصر

أصدرت الحكم الآتي

في قضية النيابة العمومية رقم ١١٢٩ عابدين سنة ١٩٤٦ (رقم ٣٠٢ سنة ١٩٤٦ كلي)

صفحة من ملف قضية الاغتيال السياسية وفيها نص الحكم الذى أصدرته محكمة جنايات مصر فى القضيـة . كانت هيئة المحكمة مشكلة من عبد اللطيف محمد (بك) رئيسا وعضوية كل من محمد صادق حمدى (بك) وابراهيم خليل (بك)

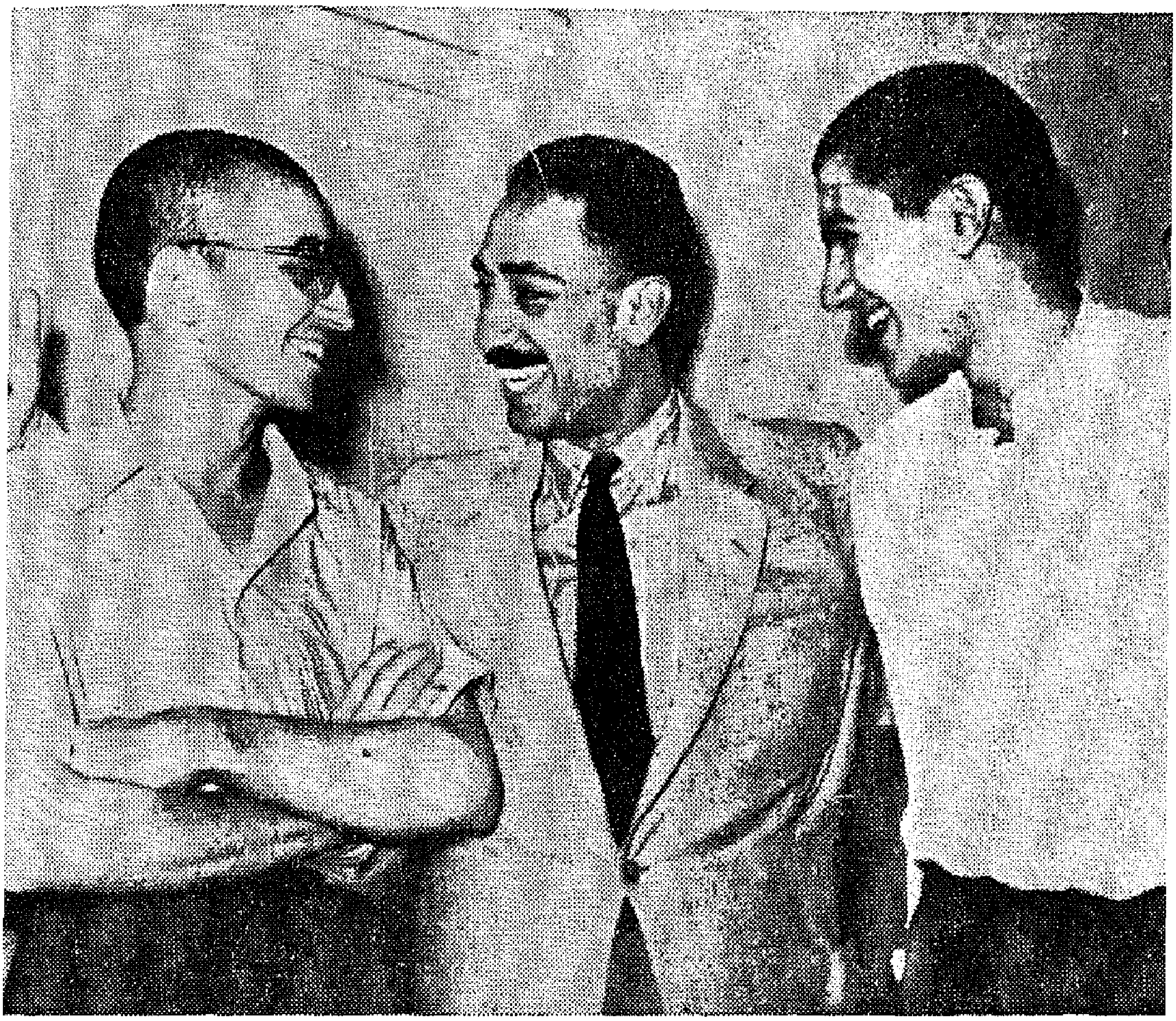

انور السادات بين احمد وسيم ومدحت فخرى عقب الافراج عنهم فى قضية الاغتيالات السياسية

السادات: ٣٠ شهرًا فى السجن

فى مساء يوم الثلاثاء ٦ مايو ١٩٤٧ وقع حادث مؤلم خطير اذ وضعت قنبلة شديدة الفتك فى دار سينما مترو تحت أحد مقاعد الصف الأمامى من مقاعد الشرفة (البلكون) .. كان الجمهور يشاهد فيلما أمريكيا اسمه **« بسكومب الشرير »** وكان العرض مشوقا وجذابا وفى الساعة السابعة والدقيقة ١٢ سمع دوى هائل اذ انفجرت قنبلة فنسفت ستة من المقاعد فأصيب خمسون رجلا ، وامرأة وطفلا وتوفى ثلاثة اشخاص اثر نقلهم الى المستشفى .

وفى نفس الليلة وفى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء وفى حديقة البناية رقم ١٤ بشارع « ضريح سعد » حيث مكتب الأغذية البريطانية فى الشرق الأوسط ، انفجرت قنبلة ثانية فتحطم زجاج « البدروم » **ووجدت قنبلة اخرى** فى نفس المكان لم تنفجر وفى نفس الليلة ايضا ــ وفى شارع الانتكخانة ــ فى مكان يشغله مكتب تابع لوزارة الاستعلامات البريطانية ، انفجرت قنبلة أخرى .

واستولى الذعر على وزارة محمود فهمى النقراشى باشا ، ذلك لأن القاء القنابل جاء فى اليوم المحدد للاحتفال بتولية الملك السابق العرش حيث كان رئيس الوزراء يقيم حفلة ضخمة فى قصر الزعفران بالعباسية ودلت التحقيقات الأولية على أن الذين ألقوا القنابل فى مكتب الأغذية البريطانية ومكتب الاستعلامات البريطانى من بين الشباب الوطنى اما قنبلة سينما مترو فان أحدا لم يتعرف حتى الآن على الشخص الذى وضعها .

وتلقت الوزارة انذارا بضرورة القبض على الفعلة فورا وبدون ابطاء ، وكان سعد زغلول فؤاد المتهم الأول فى تلك القضية مختفيا بالشقة التى كنت أقيم فيها فى شارع أنجة هانم بشبرا ، وقد أخطأ خطأ فاحشا اذ اتجهنا الى ميدان الأوبرا ذات صباح لمقابلة الاستاذ محمد قراعة المحامى عن بعض المتهمين

لنعرف آخر أخبار التحقيق ، ولم نكد نعود الى المنزل حتى قبضت علينا فرقة ضخمة من البوليس السياسى وقادونا الى محافظة القاهرة بباب الخلق حيث حضر بسرعة بالغة رئيس الوزراء ، وبعد التحقيقات الأولية نقلت الى سجن قسم السيدة زينب وكان الذين تولوا نقلى الى ذلك السجن لا يقل عددهم عن خمسين جنديا خوفا من الهرب وقد وضعت فى السجن فورا مع عشرات من اللصوص والمتشردين الذين امتلأ بهم السجن على آخره ، ولما عرفت الجهات المسئولة اننى أقضى ليلتى بذلك السجن مع آخرين أصدرت تعليماتها الى مأمور السجن باخلاء سجن النساء فورا ووضعى فيه حتى الصباح حيث نقلت بعد التحقيق الى سجن القلعة « قرة ميدان » وبقيت فى زنزانة منفردا يفصلها عن باقى الزنازين زنزانتين من جهة الشرق ، وزنزانتين من جهة الغرب حتى لا أستطيع استخدام التليفون الاوتوماتيكى الذى تعودنا استخدامه فى السجن ، وهذا التليفون ليس الا الوقوف فى شباك الزنزانة الضيق والتحدث الى الغرف المجاورة وبطبيعة الحال لم يكن فى الامكان — بعد المحاصرة تلك — الاتصال بأحد ، ولم يكن فى الزنزانة بالطبع الا جردلين صغيرين أحدهما لمياه الشرب والآخر لاستخدامه عند الحاجة ولم يكن الواحد منا يخرج الا ربع ساعة فى اليوم فيما يسمى بطابور الصباح وكان الواحد منا يسير منفردا أيضا وراءه جندى وأمامه جندى وكانت عملية المشى هذه لا تتعدى خطوات قصيرة فى « حوش » السجن ورغم كل تلك القيود المفروضة علينا ، وفى مقدمتها خطر التحدث الى أحد من المتهمين أو الحرس ، ولكننا بمرور الأيام استطعنا أن نتقابل مع غيرنا من المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية وكانوا يقيمون معنا فى دور ٢ ، نتقابل معهم — من بعيد فى السجن ونتقابل معهم — من قريب فى مبنى محكمة استئناف مصر حيث كان يدور التحقيق الرسمى (عادة) فى كل تلك القضايا الخطيرة ، وقد تعرفت الى أنور السادات ، أبرز المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية وأكثرهم تجربة ، وأقواهم شخصية ، لقد كان أنور السادات فى سجن مصر يمثل بالنسبة للشباب الوطنى المصرى المتهم فى كثير من القضايا الوطنية الزعيم الحقيقى الذى كان يتقد حماسا ووطنية والذى كان بحق يمثل العنصر الوطنى فى صفائه ، وثوريته ، وصدقه، واخلاصه واستعداده للتضحية بالروح من أجل تحرير مصر واستقلالها .

واستأذن القارىء فى أن أنقل هنا — وفى هذا الفصل — المذكرات التى كتبها فى السجن أنور السادات والتى تصور أصدق تصوير الحياة الوطنية داخل السجن والتى تعتبر فى رأيى وبدون مجاملة نموذجا رائعا للكتابة السياسية الوطنية الصادقة والمتميزة بالصدق ودقة الاحساس ورقته كما

تعتبر بحق أروع ما كتب عن ذكريات المسجونين السياسيين ، كتب انور السادات يقول :

١٨ يناير ١٩٤٦

« **دخلت امس سجن الأجانب بعد منتصف الليل بعد أن عدت من سراى النيابة** ، ها هو ذا سجن الأجانب يضمني ثانية بعد أن كنت نسيته تماما ، اذ أن آخر ذكريات لى فيه انتقلت الى ركن بعيد من ذاكرتى ، ولكننى ارانى الآن استعيدها كما لو كانت بالأمس .. فها هى ذى الغرفة رقم ٢٨ التى كان يسكنها اربعتنا محسن والشندى وجعفر وأنا ، وقد نقلت الى السجن فى شهر سبتمبر ١٩٤٤ ، على أثر مشادة بينى وبين ادارة المعتقل بالزيتون ، تمهيدا لترحيلى الى الطور كما ارتأى الحاكم العسكرى وقتذاك .. ! »

اننى اذكر جيدا الآن كيف جاهدنا لنجعل اقامتنا هنا محتملة وشيقة فقد رأينا من المستر هيكمان مأمور السجن السابق استعدادا طيبا لذلك وكنا نمضى اليوم فى لعب الطاولة والدومينو او القراءة على كراسى البحر التى استحضرناها وأذكر أيضا ذلك اليوم الذى أعلنا فيه بالسفر الى « الطور » وكيف نقل الشندى الى سجن التخشيبة وقضينا نحن الثلاثة فى انتظار ميعاد قدوم الطوافة التى ستقلنا الى الطور اذ ان رحلتها كانت شهرية ، واحضروا لنا طعام الرحلة من المتعهد لكى نحمله فى سفرنا وهو عبارة عن قسماط ناشف ، وجبن ، وحلاوة !

كما انى لا أزال أذكر انه قدر لهذه الرحلة الا تتم ، فقد تدخل الانجليز فى عدم اتمامها ولهذا التدخل قصة طريفة : فقدكان رجال المخابرات البريطانية دائمى التردد على سجن الأجانب بشأن قضاياهم وذات يوم حضر الى السجن المدعو المجور سمسون من قلم الجاسوسية البريطانية فى الشرق الاوسط ، فقابل مصادفة محسن وهو فى الزيارة بغرفة المأمور ، وسأله عن سبب وجوده فى سجن الاجانب فأخبره محسن بوجودنا جميعا ، تمهيدا لترحيلنا الى الطور ، فثار سمسون ثورة هائلة لأننا كنا معتقلين على ذمة السلطة البريطانية فكيف لم تستشر فى امرنا !! ثم اعطى محسن وعدا قاطعا بالغاء هذا الترحيل وعودتنا للمعتقل ، وكانت السفارة البريطانية مصدر السلطات حقيقة وقتذاك ، فانه لم يمض يوم واحد على زيارة سمسون المذكور حتى ألغى الحاكم العسكرى امره بترحيلنا للطور وعدنا الى المعتقل فى عهد خلفه المرحوم ماهر باشا .

ومازلت اذكر كيف دفعنى الفضول لاستقصى سر « سمسون » هذا ، فعلمت انه كان موظفا فى شركة تأمين انجليزية كبرى فى القاهرة قبل قيام

الحرب بزمن طويل ، وكان يعمل فى قلم المخابرات البريطانية فى نفس الوقت فلما أعلنت الحرب جند رئيسا لقلم الجاسوسية فى القاهرة برتبة كابتن ، وكانت مدة خدمته السابقة كفيلة بأن تجعله يجيد العربية بجميع لهجاتها « بحكم الصنعة » ويتغلغل فى جميع الأوساط ويقف على جميع الاتجاهات . ولم تستطع الامبراطورية العجوز أن تستغنى عن خدماته بعد الحرب فهو يشغل الآن وظيفة دبلوماسية فى السفارة البريطانية .. ترى ما هى حقيقة العمل الذى يؤديه الآن ؟

ان الذكريات تتدافع الى رأسى فى كل اتجاه وكأنها فيلم تتوالى حوادثه فى تشويش واضطراب لقد نسيت اننى الآن متهم فى قضية أمين عثمان باشا .

اننى أرى جو السجن رهيبا بخلاف ما عهدته الا اننى أعتقد ان الوضع سيكون على أية حال أحسن ، فلست الآن تحت الأحكام العرفية كما كان الحال فى المرة السابقة ولعل وجودى على ذمة النيابة يكون خيرا من وجودى على ذمة الحاكم العسكرى المفضال .

٢٠ يناير ١٩٤٦

« **مضى على الآن ثلاثة أيام وأنا ببدلتى** ، فقد نقلونى الى هنا مساء الخميس السابق بدون أن يحضروا ملابسى وحاجاتى من سجن مصر ، حيث كنت ... هذا برغم أننى شكوت شفويا ثلاث مرات فى الأيام السابقة لمأمور السجن اننى الاحظ تغيرا شديدا فى معاملة المأمور لى بالنسبة للمعاملة التى لقيتها منه المرة السابقة وهو يحيلنى دائما على البكباشى امام الذى اخفقت فى محاولة الاتصال به .. لذلك كتبت خطابا شديد اللهجة الى النائب العام فى شأن هذا الاهمال ، وتركنى بدون ملابسى أو حتى صابونة لاغتسل .. وقد سبب لى النوم بالبدلة التهابا شديدا فى فخذى جعلنى « أهرش » كما لو كنت « أجرب » .

٢١ ـ يناير ١٩٤٦

« **يظهر أن خطابى للنائب العام أحدث أثرا** ، فقد أحضر لى مأمور السجن ملابسى ، وكذا أحضر الصابون ..

لا أريد أن افكر فاننى اشعر بأسئلة عديدة تؤرقنى ولا اجد لها جوابا فان هيكمان يتغير فى كل لحظة كما يبدو لى بشكل جاف لا أدرى له تعليلا .

الفسحة فى السجن معدومة ، وأكاد أقضى الأربع والعشرين ساعة فى الغرفة ، وهى مظلمة وشديدة الرطوبة لانها فى الدور الأول على سطح الأرض .. ولما طلبت تفسير ذلك من هيكمان هز رأسه ولم يجب ! »

٢٢ يناير ١٩٤٦ :

أصبحت الحالة لا تطاق ـ فلم يسمح لى الضابط النوبتجى اليوم بالتوجه الى دورة المياه فى الصباح كالمعتاد وعبثا حاولت التفاهم معه ، ولم ينقذ الموقف الا نزول هيكمان من منزله فسمح لى بأن أقضى حاجتى وأتوضأ .. !

وقد كتبت للنائب العام مرة ثانية اعلمه بهذه المعاملة الشاذة ، فطلبنى وكيل النيابة عند الظهر وأثبت شكواى ، وخاصة فيما يختص بالسماح لى بالقراءة ولكنه ، سامحه الله لم يسمح لى بشىء حتى ولا بالمصحف الشريف .

٢٧ يناير ١٩٤٦ :

خرجت اليوم للفسحة فقابلنى شاب اخبرنى انه صحفى معتقل على ذمة قضية صحفية وأخذ يحدثنى عن قضيته ثم تدرج الى التحدث عن السياسة والانجليز والذين يتعاونون معهم وكيف أن الكفاح الحق يجب أن يتجه أولا الى القضاء على هذه الفئة من المصريين لأنها طابور خامس يكمن فى ظهر البلد.. الخ وكنت طوال الوقت أقوم بدور المستمع ثم سكت « الصحفى » قليلا وعاد يخبرنى أن الغرفة التى أسكنها وهى رقم ٦ كان يسكنها فى وقت من الأوقات شفيق منصور الذى أعدم فى قضية اغتيال السردار وكيف تمكن البوليس والنيابة من أخذ الاعترافات منه ، فقال انهم لهم يكونوا يسمحون له بالنوم ، ثم يأخذونه فى ساعة الفجرية وهى ساعة « النومة الحلوة » فى عربة حنطور ويمشون بها على النيل ويأمرون شفيق منصور بالوقوف طول الوقت ، حتى اذا أخذته سنة النوم أيقظته أسنان سناكى المرافقين له ، وبذلك وبطرق أخرى « لم يوضحها » تحطمت أعصاب المتهم وُدلى باعترافه .. وعاد الصحفى الى السكوت فترة أخرى وهو ناظر الى فى اشفاق ثم قال لى أنه علم من أحد العساكر السجانين أن الغرفة رقم ٢ « وهى مقفلة دائما ويسدل خلف بابها ستار سميك بخلاف جميع غرف السجن ، تحوى سرا غريبا ، وهو أن بها آلات وأجهزة تركب على الجهاز التنفسى للانسان وعلى رأسه ليصبح فى غيبوبة ، يدلى فيها بكل ما فى قلبه من أسرار يحرص على اخفائها وهو فى حالته الطبيعية ! ولاحظ صاحبنا اننى لا أتكلم مطلقا واكتفى بأن أظهر له

علامات عجبي من آن لآخر ، فسألني لماذا لا أتكلم واخبره بالحقيقة عله يتمكن من مساعدتي قانونيا ، فقلت له بهدوء « أنت بتمسك كام ساعة نوبتجية » ، فرد على الفور بدون تفكير : « ١٢ ساعة » ثم احمر وجهه وأدرك خطأه فقام في الحال وتركني .. وحضر الى السجان يعنفني لانني تأخرت في الطابور ويأمرني بالذهاب الى غرفتي فقمت وانا أضحك في كمي .

٣٠ يناير ١٩٤٦ :

حدث في الساعة الثالثة من صباح اليوم مشـــــهد مسرحي رائع ! فقد استيقظت في الساعة الثانيـــة صباحا على صرير فتح القفل ودفع المزلاج بشدة للخلف ثم دخل الضابط الجـزار وطلب الى أن ألبس لأنني مطلوب للتحقيق ، فقمت من تحت البطـاطين على السرير لأنتظر ما يقرب من ساعة في جو هو الثلج تماما ، ثم عاد الجزار وقادني الى الطرقة الخارجيـة حيث وجدت ثلاثة شبان ينتفضون من شدة البرد مثلي ، وكان أول أثر انطبع في ذهني عند رؤيتهم انهم طلاب في الابتدائي أو على الأكثر في أوائل الثانوي — وأمرت أن أقف مع هؤلاء الأولاد ولكن بعيدا قليــــلا ، بحيث وقف الجزار وتوفيق السعيد بيني وبينهم وظللنا صامتين فترة ولدت في نفسي ، بالاشتراك مع سكون الليل وبرد الساعة الشديد رهبة هي مزيد من الخوف والقلق ، قلقا شديدا .. وأردت أن أحول فكري عن هذا القلق فتوجهت بالحديث الى توفيق السعيد أسأله عن أخيه وهو زميل لي بالجيش ولكنـــــه رد بخشونة طالبا الى السكوت لأن « البك وكيل النيابة » في الطريق فزادت هذه المعاملة من اضطرابي ومضت فترة قد تكون قصيرة ولكن خيل الى أنها أيام ثم خرج الينا وكيل النيابة ونحن في موقفنا هذا ، ورأيته أول ما رأيته يزيح ستارة الغرفة رقم ٢ الخضراء ويقف قليلا حيث انعكس عليه ضوء الغرفة ثم تقدم الينا في خطوات ثقيلة وبدأ بالثلاثة الصغار فتفرس في وجوههم ، ثم أتى الى فتفرس في وجهي وفي لهجة عميقة سألنا من منكم يعرف الآخر ؟ فتعرف أحد الشبان الثلاثة على الاثنين الباقيين وهو ينتفض ، ولم يتعرف على أحـد ، ثم كرر هذا الأمر ثانية مشيرا الى بشكل ذكرني « بأبي حجــاج » وهو يمثل رجل الساعة في برنتانيا ! ولكن لم يتعرف على أحد فأمر باعادتي الى غرفتي بحيث لم أنم الى الصباح .

٣١ يناير ١٩٤٦ :

آمنت بالله . نار الحـاكم العسكري ، ولا جنة النيـــابة . تكرر نفس المشـهد التمثيلي في الساعات الأولى من صباح اليـوم ولكن بثلاثة وجـوه

جديدة ، بدأت أشعر بتعب وارتباك عصبى شـديدين لذلك أرسلت للنائب العام تلغرافا أستنجد به وأطلب مقابلته بحضور محامى .

٢ فبراير ١٩٤٦ :

استدعانى اليوم وكيل النيابة ظهرا وكان بيـده التلغراف وحقق معى بشأنه فرفضت الادلاء بسبب ارساله الا بحضور المحامى ، سواء أمام النائب العام أو أمام المحقق ، ولما أعلمنى باسـتحالة ذلك لسرية التحقيق أجلت الادلاء بما أريد الى فرصة اخرى .

٤ فبراير ١٩٤٦ :

ليلى الهندية تحب السجين رقم ١٩ ، هذه هى العبـارة التى يرددها السجن كله قالتها لى سـنية الفراشة والسجانة والعسكرى السجان ، بل أكثر من هذا تقدمت ليلى للمأمور بطلب اعطاء المسجون رقم ١٩ فسحة أطول لكى تتمتع بالتحـدث اليـه ومناجاته ، وقد دفعنى الفضول لرؤية هـذا (الحبوب) وبكل عنـاء تمكنت من أن أراه لمدة نصف دقيقـة على الأكثر فوجدته يستحق اعجاب ليلى فعلا اذ كان شابا أشقر ذا أنف رومانى وشعره أصفر . وتقاطيع متناسـقة فى رجـولة وقد علمت فيما بعـد أنه يدعى محمد ابراهيم كامل .

٥ فبراير ١٩٤٦ :

تحسنت معاملتى نسبيا ، واتضح رسميا ان صاحبنا ((الصحفى)) اياه لم يكن سوى أحد أعوان البوليس السـياسى أو احد « العمـلاء المغررين » بالتعبير الفنى ، وكان يتحاشى مقابلتى عند خروجي للفسحة الأسـيفة وهى عشر دقائق طول اليوم زيدت عشرا اخرى ، وسمح لى بقراءة المقطم والأهرام والمصور ، ولكن لم يسمح لى بالكتب ولا باستحضار أكل من الخـارج ، فى حين انهم يصرحون لباقى المتهمين بكل شىء .

٨ فبراير ١٩٤٦ :

حدث أن خرجت من غرفتى الى دورة المياه ظهرا ، فوجدت العسكرى المراسلة يدخل الغرفة رقم ٢ ومعه لفة كباب وكفته اخترقت رائحتها احشائى ولما سألت قيل لى أن المتهم الأول فى هذه الغرفة هو وستة آخرون ، وانهم يأكلون ما يشاءون . فثرت ولم أدخل الغرفة الا عندما حضر المأمور ــ وكان قد تعين مأمور مصرى فى هذه الفترة ــ فتكلمت معه بغلظة هى رد فعل الجوع كان من نتيجتها أن سمح لى بعد جهد باكلة من الشيمى على حسابى ولا ازال أحس بحلاوة هذه الأكلة الى الآن .

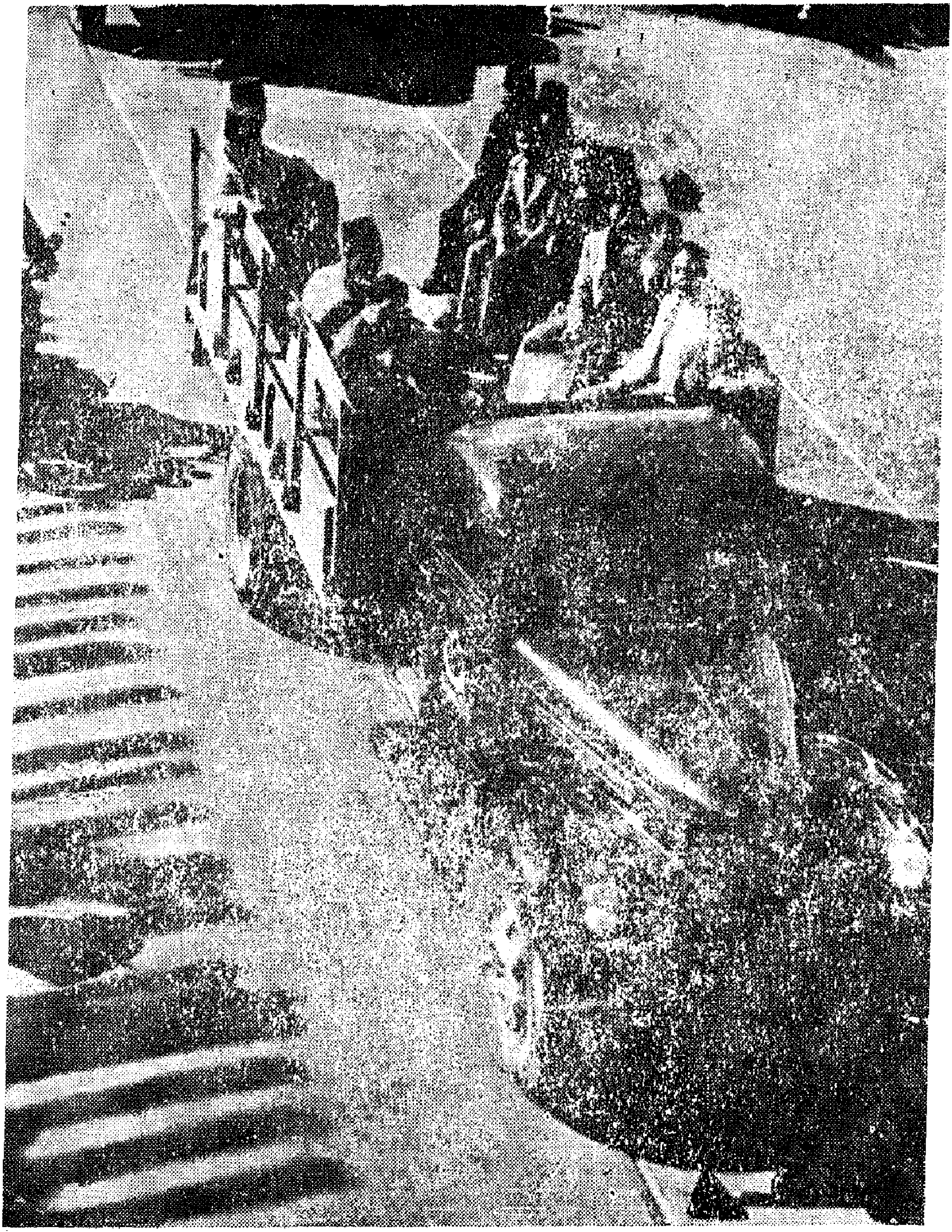

المتهمون فى قضية الاغتيالات السياسية ، أثناء نقلهم من السجن الى دار المحكمة فى سيارة لورى . وقد أشير الى السادات بعلامة ×

١٤ فبراير ١٩٤٦ :

ليس فى الامكان أبدع مما كان فقد استيقظت اليوم على صوت حنون يغنى كليوباترة وآهاتها .. انهـا ليلى فى الغرفة المجاورة . لقد امتزجت البراءة مع رقة الأنوثة فى اخراج هذا النغم الساحر حتى خيل الى أنه ليس صـوت بشر .

انتى أعشق الموسيقى بكل جوارحى ، واكثر من ذلك فهى تضفى على الجو الرهيب لونا خفيفا طلبـا من الجمال الذى يرتفع بالنفس الى آفاق الروح فينسى الانسان الزمان والمكان والأسماء .

أستغفرك اللهم واحمدك حتى ترضى .

١٧ فبراير ١٩٤٦ :

طلعت علينا جريدة المقطم وفيها خبر نقل كيلرن من مصر ولما كنت أبغض هذا المخلوق الذى دمى كرامة مصر كلهـا فقد صممت على أن أحتفل بهذه المناسـبة بقدر ما أتمكن وأرسلت فى شراء دسـتة جاتوه باسم المسجونة ليلى الهندية ، ووزعتها على ليلى والسجانات والسجان ، والفراشة ، واستبقيت لنفسى ثلاث قطع أحتفل بأكلهـا على فنجان شاى المساء ، وقد استمتعت بأكلها أيما استمتاع ، خاصة وأن المعـازيم تركوها لى من النوع الدسم ، المملوء بالكريمـة . وفى نحو السـاعة الثانيـة صباحا استيقظت على مغص واسهال مروع واتضح لى أن الجاتوه كان تالفـا وقد جىء به من دكان فى شارع محمد على .

اننى أقرر اوجه الحقيقة أن بغضى لكيلرن قد تحول الى حقد دفين منذ هـذه الليـلة .

وفى صفحات أخرى من مذكرات أنور السادات التى نشرها المصور كتب يقول عن الحياة فى سجن مصر « قرة ميدان » .

٣٠ يونيو ١٩٤٦ :

« **لقد مضى على منـذ نقلت الى هذا السجن أربعة أشهر كاملة خلتهـا** بشدة ما اكتنفنى خلالها من ظلام ــ أطول من أربعة أعوام .

وطالما حاولت خلال تلك الفترة أن أسطر شـيئا ، لعلى أنفس بذلك عن صدرى ما يخيم عليه من الكآبة والجمود ، ولكن هيهات لى أن أجد القلم فان الأقلام هنا محظور وجودها وغرفتى وثيابى يفتشان بانتظـام ودقة مرتين

يوميا وأن وجد القلم فلا يوجد الورق ، وحيازتى لورقة بيضاء جريمة أعاقب عليها واذا اراد الله لى ان اجمع بين ورقة وقلم واحتفظ بهما بمنحـــاه من التفتيش انتظارا ، كنت بذلك أغالط نفسى فالزنزانة التى تحتوينى مصممة بحيث لا ينفذ اليها النور الا من قرب السقف يسمح لضوء النهـار فقط أن يغازل الغرفة اما فى الليل فيجب أن تقترن الوحدة بالظلام .

لا سبيل الى الكتـابة اذن ولا سبيل ايضــا الى القراءة فقد تعبت من استحضار كتب أو قراءة صحف واصبحت ـ فى القـرن العشرين ـ أعيش عيشة حيوانية بحته ، فى قفص من الحجر ، طوله ثلاث خطوات وعرضــه خطوتان طيلة الأربع والعشرين ساعة لا يقطعها الا صرير مفتـــاح الحارس عندما يفتح باب القفص ليقذف لى بالأكل ثم يعيد القفل ثانية وهكذا .

ولماذا ؟ لأنه يراد أن أقضى تلك الفترة القلقة فى سجن الأجانب على نحو من الفزع والرهبة ، ثم تتلوها هذه الحصة فى سجن مصر فى ظلمة واجـدار ووحدة ، ان شر ما يصاب به انسان ذو مثل عليا هو الانحطاط العقلى فالقراءة والاطلاع الزم للفرد من الطعام فى هذا العالم الذى اتصل قاصيه بدانية ، ولكنهم فى النهاية ـ سامحهم الله ـ لا يؤمنون بذلك فيما يظهر بدليل انهـم امروا بأن تطبق علينا شىء كريه يسمى لائحة السجون ذلك الأثر البربرى من آثار الاحتلال البغيض .

ولقد حاولت جاهدا خلال هذه الفترة ان احتفظ بشىء من معنوياتى بعد ان نفذت كل امل فى الانصاف والعدالة بل لا أكون مغاليا اذا اعترفت لنفسى صراحة بانى كدت أن أفقد توازنى وأن أشك فى كثير من القيم ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده فقد أراد لى ولباقى المتهمين فى يوم من أيام شهر يونيو ١٩٤٦ ان تزاح هذه الغمة عن صدورنا فصدر أمر باختلاطنا أثناء النهـار ، وركب الكهرباء فى الزنزانة ، وأضيئت ليـلا وســمح لنـــا بقـراءة الكتب والصحف وبالأقلام والورق ، وهكذا بدأت الحياة تدب فى نفوســـنا ، من جديد ، وبدأت أفيق من ذلك الكابوس وكأنما اشرقت علينـــا الشمس بعد طول الظلام وطلع علينـــا امل منعش بعد مآسى مفجع ، ولا غرو فهى حيــاة جديدة حتى ولو كانت داخل القضبان .

١٥ يونيو ١٩٤٦ :

اســـتدعانى اليوم ضابط العنـبر ، لكى يسلمنى أدوية وردت لى من الخارج وقد سمح لى بالجلوس نظرا للزمالة السابقة ، اخذنا نتجاذب اطراف الحديث وفجأة سمعت عويلا ، وصراخا على الباب الخارجى للسجن ، ولما

استفهمت قال لى فى بساطة ان مسجونا توفى وأن أهله فى انتظار تسلمه وبعد فترة وجيزة خرجوا بالجثة من باب الوسط الذى فى مواجهتنا وقد تملكتنى رهبة لجلال الموت تشردت برهة لافيق على زغاريد وغنـــاء من ناحية سجن النساء يا الهى كم فى هذا من تناقضات تهز المشاعر هزا ، نظرت الى الضابط فى استفهام مرة أخرى ، ويظهر انه لاحظ ما انتابنى فضحك قائلا : انهـــا سنية الغســـالة لابد أن تكون وضعت مولودا وهذه زغاريد زميلاتهـــا فى المستشفى يحيينها التحية المعتادة لمثل هذه المناســـبة ، تفضل انت لاننى سأذهب لأثبت المولود فى الايراد وأحذف الميت فى الرحيل ، عدت الى غرفتي بانفعالات مشوشة ولكن أليست هذه هى سنة الحياة ، ايراد وترحيل .

٢٢ يوليو ١٩٤٦ :

أفزعنا محجوب أنس فى طابور بعد الظهر بصرخة مكتومة جعلتنـا نسرع نحوه لنرى الخبر فأشار وهو فاغرفاه الى شـــباك الدور الثانى حيث كانت تجلس حورية آية فى الجمال ، دهشنا جميعا لهذه المفاجأة ، ودهشنا اكثر لأن مثل هذا الجمال يكون نزيلا لزنزانة وبالسؤال اتضح انها نبوية شاهين النشـالة الغائبة التى حيرت رواد شبرا وأغنيـاء الحرب ويظهر أن صاحبنا محجوب وهو شاعر مطبوع ـ وقع فى شراكها ـ فقد طالعنـــا صباح اليوم بقصيدة عصماء فى التشبيب بنبوة وتمجيد فن النشل قال فى مطلعهـــا :

انى أرى نبوى آية صنعة	فى الخلق من بداية الأزمان
وجه يضىء بنور صبح فاتن	ويدان تنشل مهجة الأبدان

٢٥ يوليو ١٩٤٦ :

حياتنا تحمل الآن طابع الاستقرار والأمن الا من المناقشـات بعد قراءة الصحف ، ان أهم ما يشغلنا فى الوقت الحاضر هو المفاوضات كثيرون منـــا يتنبأ بفشلها وآخرون يعترضون على مبدأ المفاوضة فى حد ذاته لنيل حقوق البلاد ، لذلك قررنا عقد مؤتمر لمناقشة هذه المشلكة وان تبطل المناقشات حتى ينعقد المؤتمر .

٣١ يوليو ١٩٤٦ :

حدث اليوم عندما كنت عائدا من طابور الصباح ان مررت فى طريقى الى المنبر أمام المطبخ واذا بأحد المساجين يخرج مهـرولا الى ويمسك بالبيجاما وهو يبكى ، وقفت فى مكانى ، الا اننى ادركت ان وجهــة مألوف لدى ولكننى لا اذكره . أخذت اهدىء من روعه واساله ما يريد ، فذكرنى بنفسه واتضح

أنه ابراهيم رضوان الذى كان جنـــديا وسائقا لسيارتي بالجيش واخـــذ يرجونى أن اتوســط له لدى الضابط النوبتجى . (مصمما على أننى ما زلت ضابطا) لأنه يخشى عقابا معينا وقد اتضح لى فيما بعد أن سبب خوفه شكوى الجاويش بأنه يسرق اللحم فى (غيبتـه) وكذلك الفراخ ، والبصل ليبيعهـا للمساجين .

١٦ أغسطس ١٩٤٦ :

انعقد مؤتمر المفاوضات أمس واليوم وهذه صورة سريعة لبعض ما دار فى الجلستين ، وهو أن يكون مطبوعا بطـابع الشـباب والاندفاع الا أنه فى اعتقادى صورة لما يعتمل فى صدر كل شاب مصرى اليوم هى أن الشباب فقد الى الأبد فى الحزبية وقادتها وكل محترفى السياسة .

بدأت الجلسة الأولى عندما أعلن الرئيس وهو أصغر الأعضــاء سـنا مصطفى حبيشه افتتاح الجلسة والموافقة على أن المناقشة حرة فى القضية المصرية ينتهى بقرار تبطل بعده المناقشـات فى مسـألة المفاوضات فوافق الجميــع .

مدحت فخرى : أطالب وقف الجلسة حدادا على الشهداء منذ مذبحـة الاسكندرية الى دنشواى الى ثورة ١٩١٩ الى شـهداء مارس الماضى ووافق الأعضاء ثم عادت الجلسة للانعقاد .

حسين توفيق : بعدما استعرض تاريخ الحركة القومية منـذ القرصنة البريطانية سنة ١٨٨٢ الى الآن قال ما معناه : ويقينى يا أخوانى اننا نجتاز الآن فترة كالتى اجتازتها تركيا فى أعقاب الحرب الأولى فالتشابه بيننا شديد من حيث الانحلال وضعف الروح المعنوية وما جرته علينا الحياة الحزبية من انقسام جعل هم كل زعيم سياسى ، هو الفوز لشخصه هو ولحاسيبه بأكبر الغنم ، وترك ما دون ذلك حتى ولو كان استقلال البلاد وكرامتها وانكم لترون أن الدستور كان أكبر نكبة منيت بها البلاد بعد الاحتلال فقد شـغلنا عن الكفاح فى سبيل استقلالنا بالكفاح فى سبيل كراسى الحكم والتعصب فتفرقنا شيعا وجعل كل منـــا يهدم الآخر بكل الطرق ، شريفة أو غير شريفة حتى وصلنا الى هذا الحال وأبلغ مثل على فشل الأحزاب والسياسة فى مصر هو حادث ٤ فبراير .

وسيم خالد : (بعد ما استعرض كيف استقلت ايرلنـــدا والتشـابه الشديد بين حالتها وحالنا قال ما معنـاه) لا حل لقضيتنا الا بجمل الشعب

كله للسلاح فالشعب الذى لا يعرف كيف يحارب لا يستحق الاستقلال لذلك فأنا أرى أن تتحول مصر كلها الى ترسانة وميدان وبهذا وحده سنأخذ استقلالنا ومن حركة ايرلندا يجب أن نفهم أن الاستقلال حتى يؤخذ ولا يعطى .

سيد خميس : (بعد فذلكة طويلة فى تاريخ الثورات الاستقلالية بوصفه طالبا فى قسم التاريخ بكلية الآداب قال ما معناه) .

اننى سأكافح بعد خروجى من السجن بسلاحى الخاص فى سبيل الوطن وهذا السلاح هو سلاح العصر الحديث البتار هو العلم (صيحات استنكار وصفير وهجوم شديد عليه) .

الرئيس : لكل عضو الحق فى أن يقول ما يشاء ، فاتركوه لأن هذا جهده.
محمود مراد : (فى انفعال) أرجو أخذ قرار بأن الوطن برىء من كل كفاح من نوع كفاح سيد خميس .

موافقة اجماعية :

وبعد هذا أدلى الباقون بآرائهم وهى لا تختلف كثيرا عما تقدم ثم وقفت فى ختام المناقشات وقلت :

اننى أشكر وكيل النيابة الذى جمعنا وما كنا لنجتمع أو يعرف بعضنا بعضا ، لولا عبقريته وخياله الفذ ، واننى أشاركم فى أن الحزبية قد فشلت فى بلادنا فشلا ذريعا وأن السياسة فى بلادنا من نوع عاصر الاحتلال وأشرب فى قلبه الخوف والاستكانة ، وقد استغل الانجليز ذلك أبشع استغلال .

ورأينا أخيرا ذلك النصاب العجوز تشرشل يتكلم فى مجالسهم وكأن وطننا أرث آل اليه من جده الابرل المحترم ورأيت من قبل ذلك المخلوق الوقح كيلرن يعجب حين أبلغه النقراشى مذكرة الجلاء ووحدة وادى النيل ، ظنا منه أن النقراشى لا بد أن يكون قد جن ليطالب بهذا .

ان المسئول عن الهوان الصارخ وهذا الاذلال الميت هو ذلك الجيل المتخاذل الذى لن يستطيع أن يموه طويلا فقد كشفه الشعب وفضحته الحوادث .

يجب أن يتنحى هذا الجيل فان من المستحيل أن تسير عقارب الساعة الى الوراء ، وانتهت المناقشة بالقرار الآتى :

على الشباب وحده أن يعد نفسه ويتقدم للموت فذلك خير من أن يحيا حياة ذليلة .

٢٠ اغسطس ٤٦ :

عاد الينا الهدوء : حدث أمس أن اشتبك محجوب ووسيم فى مناقشة حادة وذهبت لأستطلع الخبر فعلمت أن الاثنين وهما رئيسا تحرير الجريدتين اللتين اعتزمنا اصدارهما داخل السجن ، يتشاجران على استخدام محمود الجوهرى ، وهو الرسام الوحيد وبعد تدخل منا اتفقنا على أن يستخدم كل منهما الجوهرى ، احدهما قبل الظهر والآخر بعده وأقسم الجوهرى يمينا بعدم اذاعة أسرار أى مجلة للاخرى ، أو للقراء وكفى الله المؤمنين شر القتال.

١٠ سبتمبر ١٩٤٦ :

الحياة رتيبة والجو مسيطر عليه هدوء بديع .. الجميع منصرفون الى القراءة وقد استحضرنا مجموعة كتب وروايات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية واستحضرت مجلدا لمجموعة كتب بالألمانية فأنا أعشقها .

اننى أميل الى قراءة النوع الغرامى من الروايات فان لها تأثيرا لطيفا على أعصابى هنا ، فضلا عن أنها تحليل للحياة ولوجه شيق من أعظم وجوهها وهو الحب :

يقول الألمان فى مثل من أمثلتهم : **أن نحب وان نحب** فهى أعظم نعمة فى الوجود .

أى والله كم أنا فى حاجة لحب عظيم يملأ نفسى ويغذى قلبى : وبعد اليس الحب فى مختلف صوره هو أسمى عواطف الوجود .

١٥ أكتوبر ١٩٤٦ :

انتهت جلسات الاحالة وصدر الحكم باحالتنا الى محكمة الجنايات لدور نوفمبر المقبل .

٢٠ أكتوبر ١٩٤٦ :

دعا وسيم ومحجوب الى حفل لمناسبة قرب صدور الجريدتين واشترطا للاشتراك فى الحفل والتمتع بالتورتات الفاخرة والحلوى والشاى أن يكتب من يريد الاشتراك مقالا أو قصيدة يقدمها واحتججنا على هذا الإستغلال بدون جدوى ، ولما كنت لا أحتمل أن تفوتنى هذه الفرصة فقد جلست استوحى شياطين الشعر وكتبت قصيدة بعد عرق وفيها :

سلونى أجبكم ان قد مليحة ... لأطيب عندى من طعام ابن خالد
فوالله مالى للطعام شهية ... وقلبى على الخلان يرغى ويزبد

وطعام وسيم خالد ، كان ولا يزال عروس يومنا .

٢٣ أكتوبر ١٩٤٦ :

صدرت اليوم بعد طول شوق وانتظار مجلة ((الهنكرة والمنسكرة)) ، ورئيس تحريرها وسيم خالد وهى مجلة فكاهية وتحوى مواضع شـــيقة وقفشات وصورا كاريكاتيرية لطيفة وقد هاجمنى وسيم بالكتابة والكاريكاتير

٢٦ أكتوبر ١٩٤٦ :

صدرت مجلة ((ذات التاج الأحمر)) وهى آية فى الطبـــع والتبويب (التلوين) ولم أنجح من هجومها وقد احتفظت بالعدد الأول منها .

٢٠ نوفمبر ١٩٤٦ :

أحمد الله فقد بدأت علاقتنا تتحول الى صداقة عميقة بعد أن مرت فترة التهيب والكلفة وان أكبر الفضل فى ذلك يرجع الى الحملات الصحفية اللطيفة ولو أن معيشتنا رتيبة الا أنها شيقة على أية حال .

٢٥ ديسمبر ١٩٤٦ :

انه لغنى ذلك الذى يرى الحياة اكتشافا مستمرا .

اليوم هو يوم عيد ميلادى لا أدرى لمـاذا تداعبنى خواطرى وبها ميـــل فى ابتهاج ونشوة ، فمنذ ثمانية وعشرين عاما خلت وفى مثل هذا اليوم ، كان مولدى الساذج ، فى تلك القرية الهادئة بالمنوفية .

سأذكر دائما ذلك اليوم ، وسأذكر أيضا عشيرتى من الفلاحين الكادحين فى بساطة ووداعة فهذه الذكرى ترفعنى فوق لؤم المدينة وخداعها ومظاهرها المتكلفة وأهلها التافهين .

سأذكر دائما بيئتى القروية الساذجة حيث تمتلىء النفوس بالايمـــان بالله ، وحيث يرجعون كل شىء الى الله ، فهناك تعلمت أن الله حى فى كل شىء ، وأن العبرة بنقاء السريرة قبل العلانية ، سأذكر محصــــول الثمانية والعشرين عاما ، الماضية بفخر واعزاز وسأسير مرفوع الرأس غير خاش أن يساء فهمى ، او يؤول قصدى .

اللهم حمدا وشكرا فانت وحدك القوى المكين .

وفى حلقة جديدة من مذكرات انور السادات تحت عنوان : اشـترينا محررا بأربع سجائر كتب السادات ، وهذه الحلقة تكاد مخصصة لصحافة السجن .

أول يوليو ١٩٤٦ :

اجتمعنا اليوم نحن المتهمين فى قضية أمين عثمان لأول مرة للتعارف وقد كان يسود الجو ريبة ، وشك شديدان وكان جلنا لا يعرف الآخرين فقد كنت مثلا لا أعرف منهم سوى واحد فقط هو « عمر » ، الا أن سرد أهوال سجن الأجانب قرب من نفوسنا على الفور فاقترحت أن نفكر فى كيفية النهوض بحالتنا وجعل حياتنا هنا شيئا محتملا بقدر الامكان .

٢ يوليو ١٩٤٦ :

تقابلنا اليوم ثانية وناقشنا الحال وانتهينا الى القرارات الآتية :

— يصير توزيع جميع الأطايب (الحلويات وما شابهها) التى تأتى لأحد المتهمين على الجميع .

— على أولاد الناس الطيبين الذين يأتيهم طعام من منازلهم أن يشركوا أولئك الذين يأتيهم طعام المتعهد فى الأكل معهم ، لأن طعام المتعهد ردىء وليس فيه التشويق الكافى . اذ أن الأكل هو المتعة الرئيسية أثناء النهار .

— التفاهم مع ادارة السجن للسماح لنا بشطرنج وكوتشينة وكذلك بالتدخين .

— اصدار مجلتين أسبوعيتين يتضمنان الحوادث العامة والتعليق عليها وتقد المتهمين أنفسهم والتعليق على ما يدور من حوادث فى السجن هنا بخلاف أى مواد أخرى يتفنن فى اضافتها وابتكارها رئيسا تحرير المجلتين وقد عهدنا الى هيئة منا أن تتولى تنفيذ هذه القرارات .

١٠ يوليو ١٩٤٦ :

وما أجمل الحركة بعد السكون . المكان هنا يطن كأنه خلية نحل فبينما أخذ المتهمون فى استحضار الكتب والمؤلفات والروايات نجد رئيسى تحرير المجلتين المزمع اصدارهما وهما « وسيم خالد » و « محجوب الجابرى » يتقدمان خطوات كبيرة فى الاستعداد وقد أخذ كل منهما يتفنن فى اختيار الأقلام الملونة والورق ، وقد سرت اشاعة أمس أن المقالة الجيدة أو القصيدة الموزونة سيكون ثمنها سيجارة .

ولا شك أن ضخامة التمويل هذه تبشر بانتاج رائع ، فالسيجارة هنا أندر من الذهب .

١٧ يوليو ١٩٤٦ :

القافلة تسير ولا زالت الاســـتعدادات تجرى لاخراج الجريدتين وقد حدث أمس أن فوجئنا بصراع شديد صــادر من « غرفة الجلوس » رقم ٧ فاتجهنا اليها جميعا حيث وجدنا وسيم خالد ومحجوب الجابرى مشتبكين فى عراك عنيف من أجل « محرر » هو « عمر أبو على » ، كل يريد أن يحتكر مقالاته وانتاجه فاتفقنــا على حل المشكل بعمل مزايده على المحرر بالسجائر وكان وسيم هو الرابح ، لأنه اشترى المحرر بأربع سجاير وكفى الله المؤمنين شر القتــال .

أغسطس ١٩٤٦ :

المجلة فى خطر لأن الضابط النوبتجى صادر دســتة اقلام ملونة كانت مستوردة فى الزيارة فى الوقت الذى تمكن فيه وسيم من استحضار أقلامــه وقد توترت العلاقات بين هيئتى تحرير المجلتين .

أغسطس ١٩٤٦ :

اللهم انقذنا من الصحافة والصحفيين أصبحنا ولاهم لنا الا فض اشكال الجريدتين ويظهر أن حمى السبق الصحفى ستفسد علينا معيشتنا .

حدث أمس أن استحضر محجوب ومدحت ورقا من نوع فاخر لبــده المجلة وحفظوه لدى مدحت فما كان من وسيم وعصابته الا أن انتهزوا فرصة وجـود مدحت فى دورة الميــاه وسرقوا الورق ، وبعض المسودات وكانت « وقعة سودة » لولا توسطنا نحن أولاد الحلال وقد ساوم وسيم على اخراج مصطفى حبيشة من تحرير المجلة فاخرج وأعيدت الأوراق والمسودات .

أغسطس ١٩٤٦ :

اســتيقظنا اليوم لنرى فى غرفة كل منا اعلانا صــادرا من تحرير مجلة « الهنكرة والمنكرة » . وهو الاسم الذى اختــاره وسيم خالد لمجلته تحوى أقذع الشتائم ويتهم محررى الجريدة الأخرى بأنهم مأجورون ، يتقابلون فى ادارة السجن وان محجوب شــوهد مع الضابط النوبتجى فى خلوة بينمــا وسيم ينحدر من ذرية خالد بن الوليــد العربى القح وفى نهاية الاعلان يتوعد وسيم محررى المجلة المنافسة . اللهم الطف بنا من هذا الجحيم .

سبتمبر ١٩٤٦ :

قاتل الله البروباجندا :

اليوم نظمت هيئة تحرير المجلة موكبا مر فى طرقة السجن يتقدمه محجوب ومن خلفه مدحت يعزف على مندولين مصنوع من « أستك » الكلسونات ومشدود على علبة فواكه فارغة وسعيد يحمل طبلة مصنوعة من ورق مشدود على صحن المياه المنصرف لنا .

وسار الموكب والمسجونون يصفقون ويهللون الى أن وقعت الطامة وجاء ضابط السجن ، على هذا الضجيج ، وكان نصيبنا أن أقفلت علينا الغرف طيلة اليوم وهددونا بقفلها طيلة الأربع والعشرين ساعة ان عدنا .

الا قاتل الله البروباجندا .

سبتمبر ١٩٤٦ :

دعانا اليوم مدحت الى وليمة دسمة لمناسبة قرب صدور المجلة وانتهز هذه الفرصة فوزع على كل منا سيجارة هدية منها وألقى خطبة طويلة فى فوائد الصحافة الحرة وكيف أن المجلة « هى جريدة كل مصرى » واختتمت الحفلة بزجل لمحجوب كله تشويق للمجلة قال فيه :

يا عواذل موتوا من ناركم   دى ذات التاج طالعة لكم

اكتوبر ١٩٤٦ :

السكون ثانية والهدوء العميق ، هيئة تحرير المجلة لا ينزلون طابور الصباح ولكنهم مجتمعون بصفة مستمرة طوال اليوم المسودات تحرق والاقلام يعاد بريها اكثر من مرتين .

ترفض هيئة التحرير الاشتراك معنا فى الأكل أو المناقشات وترتفع فى الجو مئات من علامات الاستفهام لا شك أن هذا ايذان بجولة شىء عظيم اننا نرتقب بشوق ولهفة .

طلع الصبح ، وطلعت علينا المجلة يا الهى **ما اجمل ان يشرق النور فيبدد ظلام الانتظار ولهفة الشوق** ها هى مجلتنا بين يدى وسأحتفظ بها تذكارا لهذه الفترة ولعلى أهديها لقومى فى يوم من الأيام .

وكانت مجلة ذات « التاج الأحمر » عن جماعة الاغتيال السياسى وصاحب امتيازها سعيد توفيق ومدير الادارة مدحت فخرى رئيس التحرير محجوب الجابرى .

وكان العـدد الأول يحمل تاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٤٦ ومن العـدد الأول اقتطفنا تلك الفقرات :

الفقرة الأولى : موال « يا غلبي أنا » وقد جاء فيه :

الأولة بقتل أمين عثمان تهموني
والثانية لبطح مصطفى النحاس سجنوني
والثالثة ع الاتفاق الجنائى لاموني

الأولة بقتل أمين عثمان تهموني وأنا مظلوم ليه تشنقوني .
والثانية ببطح مصطفى النحاس سجنوني وليه ياقوم تجنوني
والثالثة ع الاتفاق الجنائى لاموني كفاية هموم وسيبوني
والفقرة التالية أشبه بالبرامج الاذاعية ومن بينها :

الساعة ٥ حديث علمي للأستاذ القدير « محمود كريم » عن الأجنـاس الملونة .

الساعة ٦ حديث الأطفال الأسبوعي للمربي الفاضل بابا أنور .

وهذه حلقة أخرى من يوميات أنور السادات فى السجن :

وكانت تحت عنوان صندوق الدنيا فى محكمة الجنايات .

اول ديسمبر ١٩٤٧ :

وأخيرا بدأ نظر القضية بعد عامين طويلين طفحا بالألم ، ولكن الله لطيف وجميل اذ شاءت ارادته أن يحنو ويرحم فملأ نفسي بحلاوة الأمل **وها هو الأمر ، قد أوشك أن يبين وها أنذا داخل القضبـان فى الغـرفة رقم ٤ أتحـدث الى نفسي حـديث المسـافر الذى أوشكت رحلته على النهـاية** فهو تعب من طول الطريق ومن طول ما تحمل من مشـقاته وهو جزع من صدمة الوصول ، ورهبة اللقاء لأن نفسه قد أذابها الأمل وأحرقها الفراق .

٢ ديسمبر ١٩٤٧ :

طالما اشتقت لرؤية أولئك السـادة الذين يطلقون على أنفسهم زعمـاء وقد كانت فرصة جميلة تلك التى أتاحتها لى القضية لأراهم يؤدون الشهادة.

وكم طابت نفسي حينما تولى المحامون تشريحهم أمام منصة القضاء .

كان يخيل الى انى أشاهد صندوق الدنيا يعرض السفيرة عزيزة : ويونس الجميل والفارس الغضبان .

وكان مصطفى النحاس باشا أول من طالعنا ، وهنا أقف قليلا وأعود بذاكرتى الى الوراء ، لكم أحفظ له من ذكريات .

أذكر فى العاشرة من عمرى وكنت اقطن كوبرى القبة وأذكر كيف كنا نجتمع نحن أولاد الحتة لنحيى الرئيس الجليل كل ليلة عند عودته من بيت الأمة الى مصر الجديدة مارا بضاحيتنا وأذكر جيدا كيف كانت تتملكنى الرهبة لهذا اللقاء العابر .

وأذكره وأنا فى السادسة عشرة حينما عاد من أوروبا ولقبه ذو الرئاسات الثلاث وقصفت له المدافع وقرعت له الطبول وكانت هذه الطبول وتلك المدافع ، ايذانا بنهاية البداية اذ ولدت معاهدة ١٩٣٦ .

ثم تقفز بى الأيام فأذكره وأنا فى الثالثة والعشرين حاكما عسكريا تولى الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وكانت هذه بداية النهاية .

ثم انتهى بى الأمر أن أراه أمس يقف فى ساحة القضاء المقدسة تكلم النحاس وأسهب فى الحديث واجتاز مواطن الحرج فى غموض شعرنا به وأسفنا له .

١٠ ديسمبر ١٩٤٧ :

الصور تتوالى فى صندوق الدنيا .

رأيت حسين سرى باشا على شاشة الصندوق أحسن من يمثل ((نفشة)) الديك الرومى وانتفاخ الأوداج .

ورأينا هيكل باشا يشهد بما تفوه به كيلرن تعديا وتحديا .

ورأينا حافظ رمضان باشا يقول : أنا لا أسمع الا باذن واحدة ونصف ما أسمعه بها كلام فارغ وكانت حكمة .

ورأينا زكى على باشا يشهد شهادة القاضى الدقيق ويقرر الحقيقة فى قوة ولياقة .

ورأينا بهى الدين بركات باشا يتحدث فى السياسة حديث الجنتلمان المتزن فى غير حزبية ، ثم إنتقل الى الاقتصاد فكان العالم الواثق من نفسه

وأقر بوضوح خراب البلاد على أيدى عصبة السياسيين وحليفتهم .

وسمعنا ، وسمعنا :

سمعنا ، عجبا وألما ورأينا على المشرحة أولئك الذين قادوا البلاد خلال ربع قرن أو يزيد فما تغير رأيى المتواضع فيهم أبدا .

يا قومى يا مواطنى : أعلموا أن السياسة فاشلة فى بلادنا ، على وجه لا يصدقه العقل يا قومى لن يغير الله مابيننا حتى نغير ما بأنفسنا .

٢٠ فبراير ١٩٤٨ :

استخف بنا الطرب فنظمنا لأول مرة مهرجانا نفسنا فيه عن نفوسنا كربا كان حبيسا مكتوما وكم يطيب لى أن أروى فى هذه الصفحات وصفا لهذا المهرجان الهستيرى ، لعلى أتمتع بقراءته فى الخارج فى يوم من الأيام كان المهرجان سهرة فى قصر « هارون الرشيد » واشتركنا جميعا فى وصفه وتمثيله واخراجه والاستمتاع به فى آن واحد .

وكان توزيع الأدوار كالآتى :

أنور السادات	هارون الرشيد (الخليفة)
حسين توفيق	السياف
السيد خميس	القهرمانة وكبيرة القيان
سعيد توفيق	كبير الحجاب
مدحت فخرى	شهر زاد ـ الراقصة المغربية
عمر أبو على	اسحق الموصلى
أحمد وسيم محمد كريم محجوب	فتيات الكورس
الجوهرى مراد	بائع اللب الخواجة ورئيس وفد الفرنجة

تبدأ السهرة بأن يشير الخليفة الى القهرمانة لتدير العزف والغناء فيرتفع صوتها هى وفتيات الكورس فى توشيح جميل .

بالذى أسكر من خمر اللما كل مسجون أسيف وحيا
والذى أجرى دموعى عندما أخرج والظلم سوا

ويطرب الخليفة فيستعيد النغم مثنى وثلاث ، ويطرب الحضور فيندفع الجميع فى جو كله طرب وحبور ثم يهدأ الجو ، ويشير الخليفة الى القهرمانة لتغنى أحدث الحان الموصلى ، قائلا فى نشوة :

اطربينا يا قهرمانة وابعثى فى الجو أشجى الألحان
ولتغن القيان وليحرق البخور فى أرجاء المكان

فتنحنى القهرمانة أدبا وخضوعا وفى حنان ورقة يرتفع الغناء فيعم الارجاء

جانا الخليفة جانا والسعد أهو ويانا
فى مجلسه حيانا وبخمرته سقانا

وتأخذ القهرمانة فى ترديد النغم على مختلف الألحان والموصلى يهتز للاوزان فيأخذ الطرب بمجامع الخليفة فلا يتمالك من أن يندفع ويرد على القيان .

أنا جيت لكم والله يا أولاد
أنا أحبيكم قوى يا ولاد
أنا جيت لكم أنا جيت دا الاتهام « لخبيط »

ويرتفع فى الجو النشوة ويتمايل الخليفة يمنة ويسرة ويعم السرور ويعبق البخور وهنا يدخل كبير الحجاب مستأذنا فى دخول وفد الفرنجة ليقدم الهدايا للخليفة فيأذن ويدخل رئيس الوفد ، والمجلس كله وقار وسكون ، والخليفة معمم بعمامة الخلافة الشاهية ، ويقدم رئيس الوفد للخليفة هداياه النفيسة من السجاير المعدومة فى مملكة الخليفة ثم يطلب باسم عاهل الرومان عقد معاهدة تحالف وأخاء فيقف السياف عبد الله معارضا فى هذه المعاهدة ويزوم الحضور ، ويزمجرون ويطلبون الى الخليفة الا يتعاون مع الأجانب الذين لا يحفظون العهود ولا يحترمون الحدود .

ويدير الخليفة المناقشة فى هدوء ، ولكن يندفع السياف طالبا السماح له بقطع رقبة رئيس وفد الفرنجة وفى نفس الوقت يرتفع فى المكان أصوات تقول « أقلب ــ أقلب » فلا يسع الخليفة الا أن يشير الى القهرمانة فتندفع هى والقيان فى لحن بلدى .

طل على الحليوة من طجان البيت
جات الجمر فى السما واش دلدله على الحيط
يابا يابا يابوى .... يابوى

ثم يعود الوقار الى المجلس ثانية فيهدىء الخليفة من روع القوم ويؤكد أنه لا يتعامل مع الأجانب الا ندا ، لند ، على أساس احترام حدود الخلافة ويهدأ السياف ، وينصرف وفد الرومان مودعا بالشتائم والسباب ثم يطلب الخليفة الى القهرمانة أحدث مواويل الموصلي التي تبعث في النفس الصبر والسلوان فتنشد مع القيان .

نامت عيـــونك وعـــين الله مـــا نامت
مافي شـــــدة على مخلوقهـــا دامت
وان دامت الشـــــدة ما يدوم صاحبهـــا
راحت ليالي الهنـــا يا ليتهـــا دامت

هنا يطرب الخليفة ويستزيد وتنشد القيان ، وتعيد وتندفع الراقصة المغربية « شهر زاد » في أحدث الرقصات على نغمات الموال و .... ويصيح الخليفة من فرط النشوة ..

هـــد هـــدوني هـــد هـــدوني
أطربـــوني أطربـــوني

ويردد الجميع كلمات الخليفة ويضج المكان بمختلف الألحان وينتهز بائع اللب هذه الفرصة فينادي على بضاعته بصوت نشاز فيأمر الخليفةباخراجه من المكان . ويحـل وقت العودة الى الزنزانات فينتهي الحفـل بين رنين الضحكات وباسم الثغور وبالغ البهجة والحبـور وغضبة السجانين وصك الأقفـال .

٢٠ مارس ١٩٤٨ :

سيطر المرح على الجو برغم التأجيلات المتوالية عاودنا نشاطنا السـابق **فالقراءة على أشدها والكتب تنهمر علينا من الخارج وعاد الطلبة من المتهمين يفكرون في مدارسهم** بعد أن أهملوا ذلك سنتين أو أكثر وكل يرسم لنفسه الطريق الذى سيسلكه عقب خروجه : **الروح المعنوية في أقصى درجات ارتفاعها** أنه الأمل بعد طول الانتظار ـ **اللهم حقق لنا الآمال .**

٣٠ مارس ١٩٤٨ :

حدث اليوم أن كنا في طابور الصباح ، تقدم الينا المدعو عبد الله زيدان مساعد العشماوى وجعل يحدثنا عن عمليات الشنق التي باشرها في الأربعة عشرة مديرية ـ على حد قوله ـ ثم داعبنا بأن أخذ يعاين رقبة كل منا ويصف

لنا الحبل الذى يناسبه والمدة التى يستغرقهــا النبض وكان حديثه مدار دعابتنا طول اليوم .

١١ أبريل ١٩٤٨ :

ترافعت النيابة أمس واليوم وقد استهل الأستاذ/أنور حبيب ، مرافعته أمس استهلالا خالدا هز مشاعرنا وأبهج قلوبنا ونحن جلوس فى قفص الاتهام واليوم أتى النائب العمومى « لينسخ » ما قاله الأستاذ أنور ولكن هيهات : لقد عاب على تشبيهات وردت فى حق الحليفة على لسان الأستاذ أنور ونسى اننا شتمنا أكثر من مرة من منبر برلمان الحليفة ونسى سنة ١٨٨٢ ، ونسى فظائع المستعمرين ونسى أرواح الشهداء الى اليوم .

أبريل ١٩٤٨ :

لأول مرة منذ أكثر من سنتين سمحت النيابة للمرضى منا الذين لا يجدون علاجا فى السجن بالخروج تحت الحراسة للعلاج عند الأطباء الخصوصيين على نفقتهم الخاصة وأول من سمح له بذلك هو مدحت فخرى .

وقد عاد اليوم يحدثنا حــديثا عجبا : لقد جلس على كرسى من الجلد وتناول قهوة باللبن عند الدكتور وفى طريقه الى العيادة رأى ثكنات قصر النيل بعد أن آلت الى أصحابها ورأى السماء غير مخططة بقضبان الشبابيك ، وقال أنها واسعة والنظر اليها يبهج النفس ورأى النيل ورأى ، ورأى .. مما أعاد القاهرة الى اذهاننا بعد أن كدنا ننسى معالم الحياة فيها .

يونيو ١٩٤٨ :

فجأة ودون أن يعلم أحد هرب حسين توفيق ــ لقد وصلنا الخبر أول ما وصل على وجه السجانين والضباط ، ثم انهالت علينا القيود ((والتشديدات)) وعدنا الى سالف العصر والآوان .

لقد كان حسين شرا فى وجوده ، وشرا فى هروبه ففى وجوده كان خير من يثير عنيف المناقشات وزعبرة الجو بالتكهنات والخرافات ــ ثم هرب فكان سببا فيما نزل بنا من كبت وارهاق ــ اللهم سامحه والطف به ، وبنا .

٧ يوليو ١٩٤٨ :

انتهى اليوم الدفاع .. وتأجلت القضية الى جلسة ٢٤ يوليو للنطق فيها بالحــكم .

٨ يوليو ١٩٤٨ :

بدا اليوم رمضان ..

ولرمضان فى النفس رهبة ونشوة فالرهبة وليدة التكريم الذى خص الله به هذا الشهر دون بقية الشهور ـ وهى وليدة المجهود الذى يبذله الانسان فى مغالبة نفسه للتحكم فى شهواته ـ واما النشوة فهى وليدة الانتصار حين يفطر الانسان فى نهاية اليوم ، ويشعر انه تغلب طيلة اليوم على شهواته وما تعرض له من **مغريات** .

والمزيج من هذه النشوة وتلك الرهبة كفيل بأن يشغل على الانسان فكره وجنانه وحسه ووجدانه ، بحيث لا يبقى لهذين العاملين محل فى النفس ولكن هل علينا رمضان برهبته ونشوته والنفس مشغولة كأشد ما يكون الانشغال والقلب يتلهف والانفعالات تعتمل فى عنف وهدير ، ولا عجب فنحن اليوم على **أبواب المصـــير** .

لا استطيع أن أصور ما سيكون عليه الحال خلال هذا التأجيل للحكم ولكنى جزع من طول هذه المدة . جزع من فرط ما أخشى من الغيب .

ولكن لم الجزع ، ولم الخوف يا نفس ؟

الم يقل الله سبحانه وتعالى ((قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)) اليست حياتى من صنع الله وتيسيره ـ وهو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما ـ يا نفس أثبتى ، ولا تضعفنك الدنيا ، واعلمى أن الحكم لله والأمر لله واحتفظى بالقوة والعزة تعودى الى ربك راضية مرضية وتدخلى فى جناته .

وفى حلقة أخرى من مذكرات أنور السادات كان عنوانها فى رأسى برج بابل كتب السادات يقول :

١٠ يوليو ١٩٤٨ :

لا شيء يزعج النفس ويشغل القلب كالانتظار فنحن الآن فى شبه غيبوبة يتراءى لنا الماضى بأطيافه وذكرياته كأنه حلم يبتعد شيئا فشيئا وسيطر علينا فى حاضرنا شعور لا يمكن وصفه أو تحديده ـ فتارة هو مزيج من القلق ، وتارة هو مزيج من عواطف متباينة جمعت هذا وذاك والنتيجة أننا فى شوق ورهبة وخوف وقلق وجزع وأمل .

انه الانتظار وقديما قالوا عنه أن يورث الاصفرار .

١٢ يوليو ١٩٤٨ :

عاد نظام الشلل ، فأنا ارى كل شلة منسجمة يجلس أفرادها وحدهم ، حيث يتدارسون ــ على ما يظهر ــ أمرهم بعد الحكم ، فمنهم من يأمل فى الافراج ومنهم من ينظر الى المستقبل نظرة سوداء وبين هذا ، وذاك آخرون فى حالة « توهان » فبينما يؤلف مدحت وسعيد والجوهرى ووسيم ومحجوب شلة بيضاء نجد عمر والجوهرى وخميس « يندبون بشقافة » .

١٤ يوليو ١٩٤٨ :

أطلقنا على وسيم لقب ابن النـــاس « الأكابر » لانه طالمـا أطعمنا بشهى الأطباق وامس كانت احدى هذه الأكلات الطيبة ، ورأينا أحدنا ــ وليس هو مدحت ــ يبكى وهو يأكل من فرط اللذة وقد دعونا الله أن يربط مصيرنا بمصير وسيم « ويا نعيش سوا يا نموت سوا » .

١٧ يوليو ١٩٤٨ :

اليوم طويل جدا ورمضان يزيده طولا ، على طوله ، جلسنا أمس نفكر فى حالنا وكلما مضى الوقت زادت الكآبة وبينما نحن على هذا الجمود انبرى محجوب وقال اسمعوا باجماعه سأروى لكم قصة ستجدون فيها تسلية وطرافة وهى حقيقية فى كل حرف من حروفها فما رأيكم ؟

وتوالت الاحتجاجات لا لشىء الا للمعارضة ولما هدأت بدأ محجوب يروى القصة فقال :

تبدأ قصـــة فتانا ــ واسمه شهاب ــ فى قرية هادئة من قرى الريف وعندما يسمع الناس فى احد منازلها صراخا فيجتمعون ليعرفوا سـببه وليقدم كل منهم ما يستطيع من مساعدة وفق التقاليد القروية السـمحاء فلا يلبثون ان يفاجأوا بالزغاريد ثم يقال لهم ان « الافندى » ولد له ، ولد (والافندى) هنا هو والد « شهاب » اذ جرت العادة فى القرية أن يطلقوا هذا اللقب على المتعلم تكريما وتمييزا .

ويندفع القرويون وزوجاتهم كل يحمل ما تسمح به حالته ويدخلون الدار فى سباق لأن الأفندى غائب فى جنوب الوادى فى عمله وتدخل القرويات على الأم تهنئنها ويبقى الرجال فى صحن الدار حيث تخرج اليهم القابلة تحمـل المولود الذى لا ينفك عن البكاء والصراخ ويشب الطفل مع الأيام فلا يرى من حوله الا « الهدهدة » ، والبساطة ، حتى اذا بلغ الرابعة أرسلته جدته الى كتاب القرية ليتعلم القراءة والكتابة ، ويحفظ القرآن كما أمره أبوه فيجفل أول الأمر من رهبة العريف (وفلقته) ولكنه لا يلبث ان يعتاد هذا المنظر على

مر الايام بل اكثر من هذا يشتعل وجدانه ويطرب حسه ، **حينما يردد النشيد الذى علمه اياه الريف والذى استقبل به أهل المدينة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومطلعه :**

طلع البدر علينا من ثنيات الوادع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ويبدأ خيال فتانا يتفتح شيئا فشيئا فكل ما حوله ينطق بالجمال والروعة ويعود الافندى من الجنوب ويستصحب اسرته الى القاهرة حيث استقر ويبدأ الفتى مراحل تعليمه وقد اورثه الريف بساطة فى الطبع وعمقا فى الخيال واعتدادا بالنفس ويتدرج فى التعليم حتى يصل الى نهاية الدراسة الثانوية وهو ما يزال ريفى الطبع نافرا من المدينة وزخرفها منكرا لزيف أهلها وتكلفهم فما يكاد ينتهى سنته الدراسية حتى ينطلق الى الريف مهبط وحيه وغذاء خياله وقد ملك عليه مشاعره ما سمعه من أبيه عن نابليون وعظمته الخالدة وكيف سطر تاريخه بحروف من البطولة والشجاعة وكيف رفع علم وطنه من خزى وتفكك وفرقة وانهيار فلم يلبث أن لقى مصيره المعروف وتلفت الفتى حواليه ليرى بلاده مغلوبة على أمرها وليطالع فى صحفها عجبا وفى كتب تاريخها ما هو أعجب ويشاء القدر أن يخر صديق له برصاص المغتصب وهو ينادى بعزة وطنه واستقلاله فيثير هذا الحادث فى نفسه عاطفة جديدة هى الحقد على المغتصب ، حقدا يؤجحه حبه العميق لوطنه ، ويشاء السميع العليم أن تطيب نفس الفتى فيلتحق بعد دراسة الثانوية بمعهد عسكرى أرضى ميوله ووافق هواه وكان التحاقه به ايذانا ببدء المرحلة التالية فى ميدان الحياة والكد فما كادت دراسته فى ذلك المعهد تنتهى ويتخرج حتى بدأت شخصيته تتحدد وآماله تتجدد فكان أول ما فكر فيه كيف يوفق بين شخصيته ووضعه الجديد وبين أهدافه وآماله التى ثبتتها الايام رسوخا فى قلبه وزادها فساد الحال رسوخا فى عقله فانتهى من تفكيره الى أن خدمة الوطن ممكنة فى كل وقت وعلى أى وضع ، بل هى واجب حتمى على كل من انجبه الوطن فراح يعمل فى هذا السبيل جاهدا وهو لا يخشى شيئا لأنه اقتنع بأن الأرض وطنه وان الكفاح عنصر أساسى فى حياة كل رجل وان أشرف كفاح واطهره هو ذلك الذى يهبه خالصا للوطن فضلا على أنه سبيل القوة والحق على الأرض فهو عبادة وحمد لوارث الارض وواهب الحياة والموت .

وتمر الايام وصاحبنا يعمل فى غير ملل لتحقيق مثله واهدافه ولكن عينا خبيثة يهولها ما تراه من أمره وتخشى ما قد يصيبها من أهدافه فلا يلبث أن

يرى نفسه مسرحا من سلكه ، مرسلا الى مكان ما ليبقى فيه بلا حراك وهكذا فقد آخر منصبه وفقد حريته فكان ذلك اول خطوة من خطوات المجد بينه وبين نفسه وسأكتفى اليوم بهذا القدر من القصة يا جماعة لأن موعد اعلان الزنازين كيف استطاع صاحبنا ان يسوس الحياة ويجعل منها حلما جميلا وقضيته فى مبناها ومعناها قصة الحق والقوة والجمال .

ووقف محجوب عند هذا الحد وكلنا شوق ولهفة لسماع بقية القصة حتى لقد الح عليه بعضنا ان يكتب البقية ويرسلها اليهم فى الزنازين ليطالعوها ولكنه أبى الا ان يصمت وجميع الوان السباب تنصب عليه من فرط ما شوقنا .

لقد مراليوم شيئا والحمد لله فاللهم الطف بنا فى الباقى .

٢٠ يوليو ١٩٤٨ :

لم يستطع محجوب أن يتم قصته شهاب لأننا منذ يومين مشغولون بالأحلام التى هطلت كالمطر ويظهر أن للحالة النفسية المسيطرة علينا الأثر الأول فى تكاثرها فقد رأى مدحت فى المنام انه يلبس ثيابا بيضاء ويركب حصانا أبيضا ويسير الهوينا فى نادى سبورتنج ولما التقينا رفض أن يكلمنا لأنه من الأسياد ونحن فلاحون وقد نال جزاءه على ذلك بأن فسرنا له الحلم ألعن تفسير .

ورأى « عمر » فى المنام انه معزوم فى مأدبة كبيرة فيها ما لذ وطاب ولكنه كلما مد يده ليتناول لونا من الطعام تحول فى يده الى لب وحمص حتى (انقطع قلبه) على حد تعبيره وفجأة رأى العزومة تنقلب الى عنبر من عنابر السجن والطعام يتحول الى (يمك) من (يمك) السجن فاستيقظ مهموما متألما .

ورأى محمد كريم فى المنام أنه قد نبت له ذيل وأنه كان يبكى خجلا من أن يعرف زملاؤه ذلك .

٢٢ يوليو ١٩٤٨ :

فى كل زيارة لأى متهم منا تأتينا أخبار عجيبة فقد قيل ان المحكمة ستؤجل الحكم مرة أخرى لاتمام المداولة وكان هذا الخبر أشبه بالصاعقة **ثم جاء خبر آخر ان الاحكام كلها بالاشغال الشاقة** وقد أكد مصدر هذا الخبر أنه سمعه خلسة أثناء تداول المستشارين .

وقال خبر آخر أن الحكم سيؤجل الى ما بعد فترة الاجازات وان المستشارين قد بعثوا بعائلاتهم الى المصيف وهكذا قضينا الأيام الأربعة الأخيرة فى حرب اشاعات لا يعلم ما نعانيه منها الا الله .

٢٤ يوليو (مساء فى حلوان)

« قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » فقد قال القضاء كلمته واذا هى تقرر انى برىء مما ارادوا ان يتهمونى به وها انذا اكتب هذه الكلمات من اللوكاندة ولا زال السجن يسيطر على فكرى وحسى وخيالى — ان فى رأسى زحاما كبرج بابل حتى أصبحت لا أستطيع الكتابة ولا استطيع القراءة ولا أستطيع حتى التفكير .

« اللهم لك الحمد حتى ترضى »

ويكتب أنور السادات عن أولاده الأحد عشر الذين كانوا له فى السجن فيقول :

شاءت ارادة الله ان تعوضنى عن مرارة الاسر وذل السجن نعمة هى من خير النعم أضاءت جوانب نفسى ولطفت من حدة الى انها نعمة الأبوة لأحد عشر ولدا كانوا يقيمون معى فى السجن ويسموننى بابا أنور .

لقد كانت أيام الأب وأبنائه كلها شدة ، ففى الوقت الذى كنا نحاول فيه التغلب على سأم الايام ارهقنا الزمن بأحداث وارزاء فعرفنا معا سجن الأجانب وسجن مصر وقاسينا معا هول السجون وصنوفا من الكبت والارهاق وامضينا ليالى كالحة أسود من حنك الغراب ولكن كان لنا دائما من علاقاتنا سد منيع يحمينا غوائل الألم ويفيض بألطف واحلى ما يروى النفس ويجددها على مر الأيام .

وها هم أولادى ابنائى أقدمهم فى سطور قليلة لمن لم يعرفهم من الناس .

السيد خميس : الدكتور : دكتور فى الآداب — طبعا لأنه فى كلية الآداب وهو الطالب الوحيد بين المتهمين الذى ثابر وهو فى السجن على دروسه وكان ابدا المشغول بمستقبله الا أن للدكتور شخصية لطيفة كانت محل قفشاتنا باستمرار فهو يعنى بأمر ملابسه وكلامه وعرضهما على سجن النساء وفى الجلسة على طريقة (دون جوان) الذى يخلب لبهن .

حسين توفيق : جموح فى الشخصية واندفاع فى تقدير الأمور : حدث ان اقتنع فى مستهل التحقيق بالاعتراف فاندفع كالسيل بل اقنع الجميع

فكان ما كان ، ثم عاد واقتنع بالانكار فتراجع بنفس القوة ونفس الاندفاع : اذا جلست اليه لتناقشه فى أمر من الامور فهو العاقل الهادىء بل وأكثر من ذلك ترى شخصا خجلا وروحا سمحاء فاذا تعرضت المناقشة لأمر يخالف ما يوحى اليه به عقله تغير العقل وانقلب الهدوء الى ثورة تتخطى الحواجز والقيود .

محمود الجوهرى : خميرة (العكننة) استمر الجوهرى يسبب لنا كهربة الجو مدة سنة أو أكثر ونحن لا نشعر الى ان اكتشفنا ذلك ومن هذا التاريخ أعلنا عليه حربا كان من أثرها انه أصبح هو الذى (يتعكنن) باستمرار : دائما يأخذ الرأى المضاد فى اى مناقشة لا لشىء الا للقريفة والعكننة : أحبه لأنه مخلص ، يرعى الصداقة وارجو له (عكننة وقريفة) .

سعيد توفيق : اشعب : سعيد ابنى اشعبى بحق ، فحينما يستعمل احد صابونته يعلو صراخه وحينما يشاركه احد صنفا طيبا يبكى من هول ما تكبده أهله من مصاريف ، ويشكو لطوب الأرض ، وحرنا فى أمره ولكن همس هامس أن هذا هو طبعه فقد كان قبل السجن مولعا بتربية الارانب والدواجن فى المنزل وبرغم أن أكل هذه الدواجن كان على حساب المنزل الا انه كان يبيعها لاهله بالميزان والتسعيرة التى تنم عن الجشع .

محجوب الجابرى : يظهر ان نشأته واقامته بين الفلاحين كان لها ذلك الاثر الذى يلمسه فيه الانسان لأولما يراه فهو طيب سليم الطوية ففى الأوقات التى كنا لا نجد فيها سجائر كان (عمر) يستغل طيبته ويحدثه عن حبه له واعجابه بشخصيته فلا يسع المسكين (محجوب) الا أن يعطيه ما معه من السجاير ويبقى هو طول الليل (خرمان) .

محمد كريم : « الزربون » كان محمد لا يتحمل ان يحك له على انفه احد لذلك ما اكتشفنا هذا حتى انهلنا عليه بالتريقة حتى انصلح بعد أن تعب هو نفسه من كثرة (زربنته) شخصيته لطيفة غاية اللطف ولا أدرى السر فيما يتمتع به من جاذبية جعلت سكان سجن النساء (يتهافتن) عليه مما أوغر عليه الدكتور خميس وكان هذا محل سوء تفاهم مستمر بينهما زدناه نحن وقودا ولهذا احبه لانه اسود (زى حالاتى) .

مصطفى حبيشة : نيتشة فيلسوف الربع ، قرأ مصطفى كثيرا لنيتشه الى حد أن أصبحت هذه القراءة خطرا عليه حتى قبض عليه وهو فى الخامسة وفى التوجيهية وهذا نبوغ وثابر على الاطلاع فى السجن مما جعل التفاوت كبيرا جدا بين عقله وسنه وهنا مكمن الخطر ، أحب هذا الولد لنبوغه المبكر واسأل الله له السلامة والتوفيق .

أحمد وسيم خالد : أشبه الاشياء بالقذيفة المتدفقة التى لا تلوى على شيء وهو برغم سنه الصغير يحمل رأسا كبيرا وأصبح هذا الاندفاع امرا طبيعيا للتفاوت الشديد بين السن والعقل : حدث مرة ان كنا نتناقش فى أمر من أمور السياسة فاندفع يتحدث عن الاستقلال لجميع شعوب الأرض ولما سأله خبيث عما سيعمله بعد ان تستقل الارض جميعا قال فى بساطة نطالع المريخ .

يجمع فى قلبه وعقله عناصر شخصية قوية ولكنها مشتتة ولكن تقدم السن كفيل بتحديدها .

عمر أبو على : المفجوع : أتعبنا هذا الابن (بفجعنته) فهو ابدا يسرف فى الأكل والأطايب فى الاوقات التى نتغيب فيها عن غرفنا وحدث مرة أن سرق ثمرة مانجو من سعيد كان يعتز بها لدرجة أنه لم يشأ أن يأكلها فأكلها عمر وكانت مصيبة (وواقعة سودة) واتخذ سعيد تاريخ سرقة المانجو يوما يؤرخ به الاحداث فى السجن .

مدحت فخرى : باشبوزق انكشارى منعم كنا نغيظه حينما نذكر له النكتة المصرية التى تروى أن تركيا دخل مسمطا وطلب راس تركى فجاءته من غير مخ : تتجمع فيه صفات قوية وشخصيته بارزة وخلقه متين ففى كثير من الأوقات كان لا يتكلم بتاتا ويسرح طويلا وحين يتكلم نلمح بشاشة واعتدادا بالنفس ونقاء فى القلب لم يشك يوما ولم يتبرم بالسجن مرة واحدة واخذ الحياة كما هى : احبه برغم (نفشة) الديك الرومى التى يتقن اداءها .

محمد مراد : (أميغ الامغاء) كانت اللدغة فى حرف الراء محل قفشة لاذعة لمحمود طالما اشتكى منها يحمل هذا الابن فى صدره قلبا أبيض صافيا كاللبن ونفسا هادئة خيرة ، وروحا طيبة سامية : هو فى وقت واحد البراءة والسماحة والنبل ، أحبه من كل نفسى وأرجو من الله أن يمتعه ويرعاه وأن يبلغه من الأمل ما يحلم به ويتمناه » .

« وبعد » لا أعتقد اننى بقادر على التعليق على يوميات انور السادات فى السجن فهى فى الحقيقة ليست بحاجة الى تعليق .

وعلى أية حال فلنا عودة الى هذا الموضوع مرة أخرى ان شاء الله فى الجزء الثانى من الكتاب .

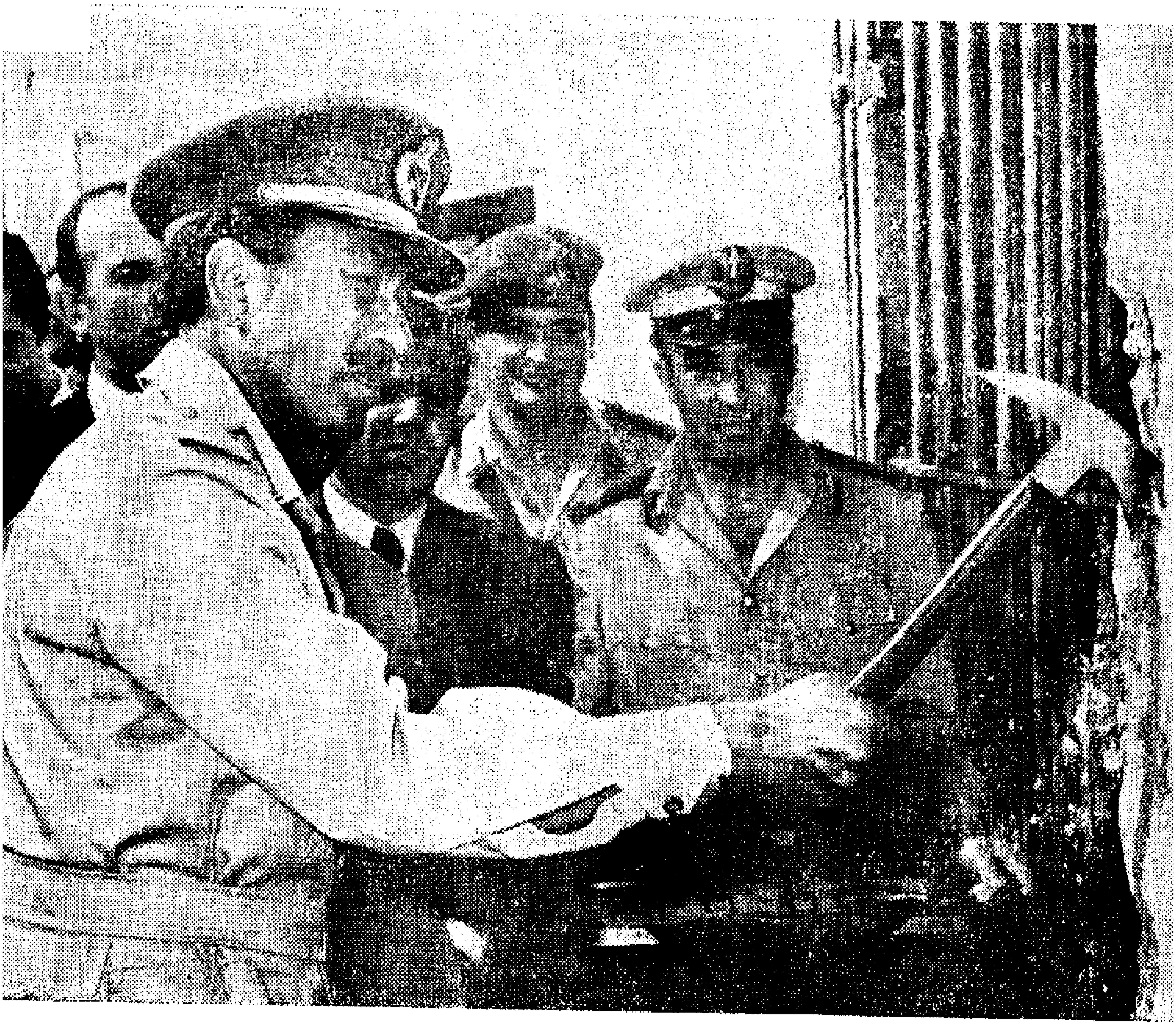

الرئيس محمد أنور السادات يهدم آخر معاقل الاستبداد (سجن طره)

فهـــرس

	صفحة
الاهـــداء	٥
جيل ثورة ١٩١٩	٧
مجتمع الأسرة الواحدة	٣٢
طالب منضبط وضابط ثائر	٥٢
بداية العمـل الثـورى	٧١
بين عزيز المصرى وأنور الســادات	٨١
٤ فبراير .. وما بعــده	١٠٩
من ميس الضباط الى ســجن الأجانب	١٣٩
انطلاقة جديدة لشباب مصر بعــد الحرب العالمية الثانية	١٥٥
أخطـر القضـــايا	١٨١
الســادات : ٣٠ شــهرا فى السجن	٢٠٧

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٣٣٦٨
الترقيم الدولى ٢٦ ـ ٢٩٦ ـ ٩٧٧ ISBN

قرش جنيه
٧٥ ١

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م